

# الكتاب وحكيات نظر

في الثقافة والسياسة والفكر

Weghat Nazar - Volume 5 - Issue 58 - November 2003

مجلة شهرية، العدد الثامن والخمسون، السنة الخامسة، نوفمبر ٢٠٠٣، الثمن عشرة جنيهات



الخطأ الأمريكي في العراق / ويزلي كلارك  
العنصرية من المهد .. ماذا يقرأ أطفال إسرائيل ؟ / أنطوان شلحت  
كيف ناكل دون خوف ؟ / مصطفى نوفل  
عن الحرية والابداع .. والقهر الداخلي / يحيى الرخاوى  
حديث الانصراف ومازق الإعلام العربي / سلامة أحمد سلامة

رئيس التحرير  
سلامة أحمد سلامة  
رئيس التحرير الفني  
حلمي التوتوي  
مدير التحرير  
أيمن الصياد

# الكتب وجهاً نظراً في الثقافة والسياسة والفكر



تصوّر عن:  
الشركة المصرية  
للنشر  
العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة  
إبراهيم المعلم

السنة الخامسة  
العدد الثامن والخمسون  
نوفمبر ٢٠٠٣  
عضو مجلس الإدارة للتدب للإنتاج  
أحمد الزبدي  
البحوث والتأليف  
هديل غنيم



## محتويات العدد:

- ٣ ..... سلامة أحمد سلامة  
توب: حديث الانصراف ومآثر الإعلام العربي.
- ٦ ..... ويزلي كلارك  
الخطأ الأمريكي في العراق.
- ١٢ ..... رضوى عاشور  
حكاية إدوارد.
- ١٩ ..... مصطفى البروفاني  
إدوارد سعيد المتقضى.
- ٢٢ ..... فهمي هويدي  
التحالفات السرية تهدد باختراف العالم.
- ٢٦ ..... يحيى الرخاوي  
من الحرية والإبداع.. والقهر الداخلي.
- ٣٢ ..... مبريدى النحاس  
كتاب الماني: لماذا تنظم أمريكا الحرب والإسلام؟  
Wer Weint Schon Um Abdul und Tanaya?  
تأليف: جورج جرين تودينغوفر
- ٣٤ ..... عمدي عزام  
الإرهاب الدولي وبنود المخابرات المركزية.  
Die CIA and 11. September  
تأليف: أندرياس فون بيلوف
- ٣٦ ..... وحيد عبد المجيد  
انصراف هيكل في عيون كتاب عرب: الصواب والخطأ في رؤاهم.
- ٤٤ ..... محمود يوسف خضر  
دعواته التسع في عصر الفاطمية.
- ٥٠ ..... مصطفى عبد الرزاق نوافل  
كيف نأكل دون خوف؟ انضمام على الطريقة الفرعونية.
- ٥٦ ..... أنطوان شلحيت  
«ماذا يتعلم أطفال إسرائيل؟»
- ٦٠ ..... أوريئيل أوفك  
دامتوا هذا الغداء العروحي الفاسد.
- ٦٤ ..... محمد عبد الرحمن بولس  
شهر زاد شعراً.
- ٧٢ ..... إسماعيل  
رسائل
- ٨٠ ..... أيمن الصياد  
قراءة: الحالة، النظرية، بين العراق والكوت

## كتب العدد:

- أنطوان شلحيت .. كاتب ومترجم من عرب ٤٨.
- أوريئيل أوفك .. باحث وتأليف أدبي إسرائيلي.
- أيمن الصياد .. صحفي.
- حمدي عزام .. دبلوماسي مصري سابق.
- رضوى عاشور .. روائية، أستاذة الأدب الإنجليزي بجامعة عين شمس.
- سلامة أحمد سلامة .. صحفي.
- فهمي هويدي .. صحفي.
- مبريدى النحاس .. باحثة مصرية في العلوم السياسية تهتم في ألمانيا.
- محمد عبد الرحمن بولس .. محاضر في جامعة الدراسات الأجنبية ببيكين.
- مصطفى البروفاني .. مستشار قانوني لجميع التقاضي بأبواب طلبة.
- مصطفى البرغوثي .. مكرّم المبادأة الوطنية الفلسطينية ورئيس الإغاثة الطبية.
- مصطفى عبد الرزاق نوافل .. أستاذ علم وتكنولوجيا الأغذية بجامعة الأزهر.
- وحيد عبد المجيد .. مساعد مدير مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية.
- ويزلي كلارك .. جنرال أمريكي متقاعد.
- يحيى الرخاوي .. أستاذ الطب النفسي بجامعة القاهرة.

## رسوم العدد للفنانين:

محمد حجي - محمد حاكم - سعد الدين شحاتة - أحمد اللباد



يحظر التسع أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية  
أو غير الحاسبات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغضير إذن كتابي مسبق من الناشر.



## المراسلات:

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي  
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية  
ت: ٢٨٢-١٩٧ / ٢٨٢-١٩٧ / ٢٨٢-١٩٧ فاكس ٢٨٢-١٩٨ (٢٠٢)  
البريد الإلكتروني (التحرير): info@alkeob.com  
الموقع على الإنترنت: www.weghatnazar.com

## الاشتراكات:

السنة الواحدة (أشهر عدداً) شاملة أجرة البريد: داخل مصر: ١٠٠ جنيه مصري -  
اتحاد برود عربي: ١٠٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا: ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا  
كندا: ٨٠ دولاراً أمريكياً - باقي دول العالم: ١٠٠ دولاراً أمريكياً.  
إدارة الاشتراكات: ٨ شارع سيويه المصري، ص. ب. ٢٢ البانويما - مدينة نصر  
هاتف: ١٠٢٣٢٩٩ - فاكس: ١٠٤٥١٤٦ - e-mail: wegat@alkeob.com

## ذمن التسعة:

في مصر: ١٠ جنيهات مصرية. السعودية: ٢٠ ريالاً. الكويت: ١,٥ دينار. الإمارات  
٢٠ درهماً. البحرين: ديناراً. قطر: ١٥ ريالاً. عمان: ريالاً. لبنان: ٥٠٠٠ ليرة. سوريا  
١٥٠ ليرة. الأردن: ديناراً نصف. ليبيا: ديناراً. الجزائر: ٢٠٠ دينار. المغرب: ٢٠ درهماً  
تونس: ٤ ندانير. اليمن: ٢٠٠ ريال. فلسطين: ٢ دولارات.

Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA\$5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

# “نهج”

## حديث الانصراف ومازق الإعلام العربي



وماذا يطلب الجلساء عندي  
أرادوا منطقي وأردت صمتي  
ومثل هذا الانصراف الذي يمثل  
حالة نفسية أو شعورية يرميها الكاتب  
أو الشاعر أو المفكر لا ينبغي أن تترك  
دون محاولة لتفسيرها وفهمها... إن  
يمطو الكاتب صفحاته ويرفع أقلامه،  
ويتخلى عن وظيفته، بينما الكتابة  
بالتنسية له حياة متصلة لم تتوقف.  
لم يضل بها يوماً في ظروف أشد  
عسراً، ولم ينقطع عنه قراءه أو  
تنحصر من حوله دوائر الاهتمام  
والتابعة سواء بين من رضوا عنه أو  
سخطوا عليه، ولم يهجزه المرض أو  
يقعده عن التفكير ولم تحوّه جدران  
أو قضبان تحول بينه وبين جمهوره  
الواسع، فلماذا أن تكون هناك أسباب  
أخرى من خارجه أو على الرغم منه  
هى التى أوهنت رغبته فى مواصلة  
الكتابة، وتنبئت له الحاجة إلى  
الانصراف أو الابتعاد لأمد قد يطول  
أو يقصر.



ولا يستطيع المرء أن يسرف على  
نفسه وعلى الناس بتكهنات  
واستنتاجات قد تكون أقرب إلى  
الظنون منها إلى الحقيقة، ولكن  
الأمر لا يخلو من تقديرى من أجواء  
الإحباط الشديد التى باتت تخيم  
على المزاج العربى بمصفا عامة وعلى  
المفكرين وقادة الراى بمصفا خاصة،  
فالإحباطات السياسية التى تضاعفت  
شدة وتأثيراً بسبب حرب العراق  
وانسداد أفق القضية الفلسطينية  
والهروب من مواجهة الحقائق  
والأكوام على مستوى الدول  
والحكومات، وتضليل الشعوب عن  
أهدافها، وتشويه قواعد اللعبة  
السياسية، قد خلق انطباعاً قوياً بأن  
مجتمعاتنا العربية  
يجرى إقصاءها بأساليب

وجد كاتب كبير بحجم محمد  
حسّنين هيكلاً وتاريخه وموقعه  
الفريد فى الإعلام والسياسة نفسه  
مسوقاً إليه بدوافع عديدة، تراوحت  
بين انقطاع حبل الحوار، وأزوار عن  
مواصلته، وبأس من جدواه فى ظل  
ضغوط سريعة وعشوية. وبين شعور  
عميق بأن الكاتب قد أدى ما عليه من  
واجبه فقال كلمته وأطال فى القول  
حتى أصيبت الأذان بالصمم والعمىون  
بالعمى وبلغت الجروح الحلقوم عند  
بعضهم، فلم يعد أمامه من سبيل إلا  
أن يلزم الصمت ويمضى لحال سبيله  
لا يلوى على شيء.. مردداً قول أبى  
العلماء العربى:

خذي راى وسبك ذلك منى  
على ما رى من عوج وأمت

أصبحنا نرى حرية مصطنعة للتعبير  
وإعلام موجهة إلى الخارج، حملت  
كثيراً من القيود والتحفيزات التى  
اعتادت أن تحجزها وراءها، ولدى فى  
الوقت نفسه قيوداً وسدوداً مفروضة  
على هذه الحرية حين تكون موجهة  
إلى الداخل.. مما خلق حالة من عدم  
التوازن الإعلامى بين الداخل  
والخارج، أو حالة من ازدواج الشخصية  
الإعلامية إن صح التعبير. وأصبح  
الانتقال من حالة إلى أخرى يتطلب  
قدراً كبيراً من الالتفاف والاستهداف  
والتخيط.

التطور الأول الذى أحدث نوعاً  
من الصدمة والصدمة على امتداد  
العالم العربى وروما خارجه، جاء فى  
حديث الاستئذان بالانصراف، الذى

« واحدة من أهم الظواهر التى  
أفرزتها حرب العراق، بروز ظاهرة  
الإعلام أو الميديا بمعناها الواسع  
كسلاح للحرب، يستخدم فى الإعداد  
والتخطيط والتعبئة، كما يستخدم  
فى الدعاية والهجوم والمراوغة، على  
نحو لم يسبق له مثيل فى الحروب  
والصراعات السابقة، وبينما ظهرت  
دراسات كثيرة عن التخيفات  
والتشوهات التى لحقت بالإعلام  
العربى فى ظل الأحداث العاتية خلال  
السنوات الأخيرة، وبالأخص بعد  
زلزال سبتمبر وتوابعه، فى أفغانستان  
ثم فى العراق والشرق الأوسط وما قد  
يستجد، وفى ظل حكومة يمينية  
محافظلة وواشطن.. لم يحظ  
الإعلام العربى بنظرة فاحصة على  
الرغم من التطورات المبررة التى وجد  
نفسه مندفعاً إليها مع متغيرات  
داخلية وخارجية متسارعة، بحكم  
الدفاع عن النفس أحياناً، أو لأن  
الأنظمة العربية التى تسبىط  
بطريقة مباشرة وغير مباشرة على  
وسائل الإعلام، أطلقت لها العنان فى  
لحظات اليأس واستجابة لفرجة حب  
البقاء من ناحية أخرى، وذلك دون أن  
ترفع يدها عن التدخل فى حرية  
التعبير كلما عن لها ذلك.

ولا يمكن وصف حالة الإعلام فى  
العالم العربى إلا بأنه ضحية لأوضاع  
والأنظمة وحكومات، هى بدورها  
وبطبيعة تاريخها ونشأتها وتكوينها  
ضحية لتراكبات تاريخية وحضارية  
صعبة ومعقدة، وحين يصبح الشيء  
ضحية لضحية أخرى فإن الأمر يزداد  
صعوبة وتعقيداً... الأمر الذى جعل  
صورة الإعلام العربى تنمكس متممة  
غير مجولة ولا ناصعة فى تطووين  
مهمين تقاطعا فى لحظة تاريخية  
واحدة من لحظات التقهقر والياس  
التي هببت على الأمة العربية.

وليس غريباً أن يكون أحد  
التطووين علامة على الآخر وقرينة  
ته، وربما كان سبباً من أسبابه. بحيث

لا يمكن وصف حالة الإعلام  
فى العالم العربى إلا بأنه ضحية لأوضاع  
أنظمة وحكومات، هى بدورها وبطبيعة تاريخها  
ونشأتها وتكوينها ضحية لتراكبات  
تاريخية وحضارية صعبة ومعقدة

وحيل مختلفة خارج لعبة السياسة،  
إلا في إطار هامش يضيق أكثر مما  
يتسع، ويختفى أكثر مما يظهر،  
ويتحول إلى سراب في معظم  
الأحيان..

يجري إلقاء الشعوب العربية  
بإغراقها في أشكال واللون من الفنون  
الرخيصة والتسلية المنهكة للعقل  
والخيال، ومباريات ليست لإذكاء روح  
المنافسة الرياضية بل لتحويل  
الطاقات والهوايات بعيداً عن  
الانشغال بالهموم الحقيقية  
للمجتمع والاشتغال بها. فإذا  
استيقظت على وقع الأحداث الجسام  
التي تحيط بها، وأهالت إلى صراخ  
الضحايا القريبين منها في فلسطين  
أو العراق أو أفغانستان أو غيرها فلا  
بأس من أن تتجاوب وسائل الإعلام  
معه، وتفتح الفضائيات عدساتها،  
وتسلط الأضواء عليها... والمهم هو أن  
يظل الأفق السياسي مغلقاً في  
الداخل عند مستوى الرؤية القريبة  
والاحتكاك المباشر، فلا يتجاوزها ولا  
يتعداها إلى التعمق في شئون تتصل  
بحياته اليومية ومسئوليته كمواطن  
وعضو في المجتمع سواء بالمشاركة في  
تحمل حق المواطنة وتقرير مصيره  
بنفسه، أو بالمحاسبة والتعبير عن  
القلق وعدم الرضا الذي يحق  
للمحكوم أن يتوجه بها إلى الحاكم.  
ولهذا تناسلت وتكاثرت أنواع من  
الفضائيات التي تخصصت في لفت  
أنظار الشعوب عن المشاكل والتحديات  
التي تحيط بها، لتغرق الجميع في  
فنون التسلية السهلة والرقص  
الفاضح والأغاني البذيئة  
والاستعراضات شبه العارية، وادى  
التنافس فيما بينها إلى إقامة  
مسابقات لاختيار نجوم للفناء  
والرقص، وهو نوع من النشاط لا بأس  
فيه إذا أعطت هذه الفضائيات إلى  
جانب ذلك بعض الاهتمام بما يجري  
على صعيد العالم من تقدم في  
الفنون والعلوم وفي الإرتقاء بأذواق  
الأجيال الناشئة ونشر الثقافة الجادة



والتحريض على ممارسة الفكر. وهو ما لم يحدث. بل حدث العكس رغبة في الهروب من حالة اليأس والانحدار التي عبادة ما تعقب الهزائم في الحروب والمعارك القومية حين تنخفض الروح المعنوية إلى درجات تقترب من القاع.

ولكن في مقابل ذلك ظهرت في أفق الإعلام العربي فضائيات أخرى تبدو في ظاهرها وكأنها قد تسردت على قبضة السيطرة الحكومية والرقابة الرسمية.. انطلقت بسرعة صاروخية خلال سنوات قليلة لا تتجاوز أسابيع اليد الواحدة إلى مناهضة الفضائيات العالية، لتحقق نجاحاً ملموساً في التغطية الإخبارية ومحاولة السبق، وعدم تهيب الانطلاق إلى ميادين الحرب والقتال. وإشفاق الإنسانية التي إرسال أطعم المصورين والحررين لتقديم خدمة تليفزيونية تسم بالواقعية والصق لأحدث تقنيات نقل وبت الحدث والضرورة.. مصحوبة بجهد واسع من التحليل والتعقيب والتدقيق وتقديم الخلفية الإخبارية اللازمة للمشاهد.. جريت هذه الفضائيات نفسها في حرب أفغانستان فاشتبت أنها ند منافس لوسائل الإعلام الأمريكية والفرنسية، ثم اقتحمت حرب العراق فتوقلت على السى. إن. إن. والفوكس نيوز وال. بي. بي. سي. وغيرها. ولم تخضع للقيود التي خضعت لها وسائل الإعلام الأمريكية وبعض الوسائل الأوروبية من الامتناع عن نشر أخبار أو تصريحات أو قائل ترضى عنها الأجهزة الحربية مثل رسائل بن لادن، أو خطب الطواهرى، أو مشاهد القتل والحرق والتدمير التي ارتكبتها القوات الأمريكية محاربة بذلك قوانين الحرب وأخلاقيات جنيف. بل إن هذه القوات العربية عززت خدماتها الإعلامية بعشرات من محطات والحوارات والتوك شو التي انفتحت على

مصراعها أمام عشرات المفكرين والمثقفين والسياسيين والصحفيين. إلى جانب عدد لا بأس به من ادعاء المعرفة والراغبين في حب الظهور.



ولقد تأسر المرء بعض الشكوك حول مدى ثمره هذه الفضائيات على سيطرة الحكومات والدول التي تصدر منها. وما هي حدود الحرية التي تتمتع بها.. فقد بدت هذه الحرية أشبه بنوع من الاتفاق الضمني أو الترتيب المتفق عليه بين القنلة التليفزيونية وبين الدولة التي ترعاها أو تحتضنها مادياً وإديبياً وسياسياً. ولهذا السبب اصطدمت قنلة «الجزيرة» مثلاً في سنواتها الأولى بمعظم الدول العربية فأغضبتها واضطرتها بيمين وقت وآخر إلى مقاطعتها أو منعها أو إغلاق مكاتبها. ولكن يبقى أن يقال إن أحداث سبتمبر والماسى التي أعقبها. والهجوم الضارى الذي تعرضت له الدول والشعوب الإسلامية، سواء في صورة الحروب التي وقعت في أفغانستان والعراق، أو في الحروب السياسية التي شنتها الإدارة الأمريكية ضد الإسلام وضد الجماعات الإسلامية باعتبارها مسئولة عن إفراز العناصر الإرهابية التي بدت الهجوم الذي وقع على واشنطن ونيويورك، قد أسهمت بشكل خطير في تغيير شروط المشهد الإعلامي السائد في العالم العربي.. مما حرض دولاً عربية عديدة على تسهيل ولادة قنوات فضائية أخرى مثل «العربية»، و«الوطني»، و«ال. بي. سي.» و«البلتانية»، والمثارة، الناطقة بلسان حزب الله، وكلها اقتحمت ميدان المنافسة الإعلامية التي وضعت أزمة العالم العربي من جميع جوانبها في قلب الحوار والمناقشة والنقد والثناء والهجوم والدفاع

والحاصل هو أنه برغم الحرية المتطلقة بغير حدود لوسائل الإعلام الفضائية والمطبوعة، والتي عبرت عن نفسها في تغطية حرب العراق بدرجة غير مسبوقة، فإن سياسات الإعلام الرسمية في العالم العربي كله وبدون استثناء ما زالت تقصر قيوداً صارمة وخطوطاً حمراء على ما يتصل بالشأن الداخلي فيها.. قد تسمح بقدر لا بأس به من الشفافية وكشف الأسرار وممارسة النقد إذا تعلق الأمر بدولة عربية أو أجنبية أخرى لا يصيبها منها أذى أو ضرر، ولكنها تكون شديدة الحساسية والانتباه والتركيز، إذا تعلق الأمر بالنظام السياسي فيها أو بالأسرة الحاكمة أو بممارسات الفساد واستغلال السلطة عند مستوى معين من الحكم. بل إن بعض التفاضلات والانتفاضات الدولية الحساسة مع دول كبرى في مجال الثامن العسكري والأمن والمخابراتي تظل بعيدة عن الرأى العام العربي لا يحق له مناقشتها، ولو وجدت برلمانات فلا يحق لها بحثها أو إفرازها والتصديق عليها. مع أن كثيراً من هذه الاتفاقيات والمساعدات تجد طريقها إلى النشر والعلن في دراسات المراكز المتخصصة والدوريات والوثائق الأجنبية التي تذاغ بعد أن يفرض عنها خاتم السرية أو حتى قبل أن يرفع منها الحظر، بهدف إخراج أطراف أخرى أو ابتزازها. وكثيراً ما اذاعت أجهزة المخابرات المركزية قوائم بأسماء شخصيات تعاونت معها وحصلت على دعمها المالى والمخابراتى.

ويكفى أن تشير في هذا الصدد إلى ما ورد في تقرير التنصية الإنسانية الذي صدر أخيراً عن وسائل الإعلام العربية، عندما وصفت الصحافة العربية بأنها محكومة بيئية تتسم بالترديد الشديد لحرية التعبير، مصحوبة بالعديد من الاتهامات التي تتراوح بين الإغلاق والضبط والتعتيل.

ومن هنا تبدو الاتهامات المتبادلة بين بعض الحكومات وفي الإعلام الرسمي العربي حول مسئولية بعض وسائل الإعلام عن ممانلة النظام العراقي البائد والدفاع عنه حتى اللحظة الأخيرة قبل سقوطه، اتهامات زائفة ولا تستند إلى أساس. في ظل ثقافة الاستبداد الإعلامي السائدة في العالم العربي.. والتي دأبت حكوماته على أن تنتظر للأمر بعين واحدة دفاعاً عن أوضاع ونظم قائمة. وفي غياب قوانين تضمن لوسائل الإعلام من الصحافة والتلفزيون استقلاليتها وحريتها كاملة، كما تضمن لها حق الحصول على المعلومات.

ويكفى أن ننصف. وهناك من يطالب هيكل بالإفراج عن وثائق تاريخية يزعمون أنها في حوزته، وربما كان هذا سبب الاعتداء الغاضب على أوقافه. أنه لا توجد دولة عربية واحدة من بين نحو ٥١ دولة كان آخرها الهند، تملك قانوناً يسمح لمواطنيها الحق في الحصول على المعلومات أو الاطلاع على الوثائق الرسمية والأوراق الحكومية. ليس الآن وليس بعد ثلاثين عاماً ولا بعد نصف قرن. ولذلك تظل ممرقنا بتاريخه الوطني. بواقفه وأسواره وأحداثه، مبرهونة بما يكشف عنه الآخرون، خصوصاً كانوا أو أصدقاء أو أعداء. وتظل رؤيتنا لثاننا معكوسة في مرآة كبت من صنع بل من صنع الآخرين، وتصحب شمس الحقيقة كبراً في أيدي من يمكن حجبه أو تزيفها بما يعمق ثقافة الاستبداد والجبل والتخلف، ويزرع اليأس في قلوب المؤمنين بأوطانهم، السامين إلى إيظاف الوعى ونشر الحقيقة. فلا يعود يجرى غير منطق الصمت والرغبة في الانصراف.

سلامة أحمد سلامة

# الخطأ الأمريكي

المتوقعة لتأجيلها. فهو يتطوى بطبيعته على المخاطر حيث لتتج المخاطر في العادة من عوامل غير محتملة أو لا يمكن التنبؤ بها. لذلك يفرض المنطق السليم ضرورة تقليل الأخطار المتوقعة قبل بدء أية أعمال عسكرية.

كانت القوات الإضافية متاحة، بل كانت مكلفة بالاستعداد للقتال في العراق. وكانت هناك فرقة قتالية أخرى، وقوة إضافية لتأمين خطوط الإمداد، والمزيد من الشاحنات ووحدات التموين لتوفير الفرزاة التي تتطلبها العمليات الحربية، حيث يقلل كل منها المخاطر. وكان بعض المخططين يعلم أن استخدام تلك القوات أو عدمه هو المسألة الأساسية داخل التورتات المستمرة أثناء عملية التخطيط، إلا أنها لم تُنشر إلا بعد فوات الأوان.

في أوائل شهر مارس، في الوقت الذي بات فيه واضحاً أن تركيا لن تسمح بمرور القوات الأمريكية، كان الوقت قد فات بالنسبة لتركز فرقة قتالية رابعة في الكويت. ولكن على الأقل كان من الممكن نقل فوج الفرسان الثاني أو الشرطة العسكرية الإضافية جواً إلى داخل العراق، بدلاً من تأخير وصولها إلى ما بعد الأزمة التي حدثت على طول خطوط الإمداد بعد بداية الحرب بخمسة أيام. ومن الصعب تصديق أن القوات الإضافية على طول خط الإمداد ما كانت لتساعد في الحيلولة دون الخطأ الذي كلف بعض جنود فرقة الصيادين ٥٠٧ حياتهم.

أصبحت مخاطر خطة الحرب الزائدة عن الحد واضحة في مرحلة ما بعد القتال، فقد كانت القوات والقدرات الأمريكية غير متكافئة مع المهمة. فقد كان من واجب المخططين أن يتوقعوا الأمور الطارئة المختلفة، بما في ذلك احتمال مقاومة الاحتلال الأمريكي بعد الحرب، وتحديد ما يتناسب معها من إمدادات، ما جعل ذلك مستحيلاً هو فلسفة «البنائية المتدحرجة» الخاصة بكبار القادة، التي بدأ أنها ناشئة عن مشاكل نشر القوات المستمرة بقدر نشرها من أية

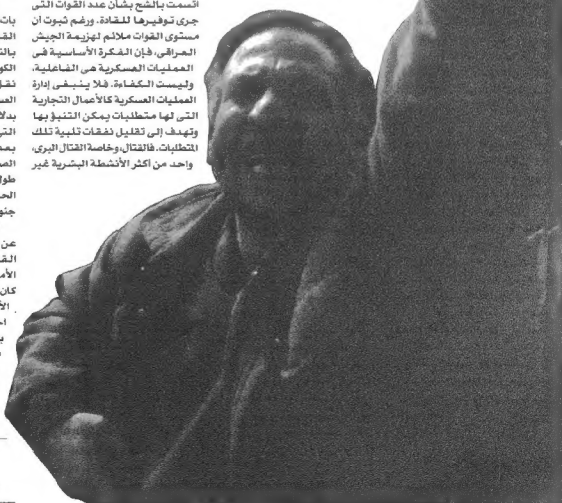
■ كانت المرحلة الحاسمة من الحملة الأمريكية تقزو العراق والاستيلاء على بغداد ناجحة نجاحاً ملحوظاً. ويرجع نجاح الحملة في المقام الأول إلى قدرة الوحدات الحاربية، وخاصة الرجال والنساء الذين يتعاملون مع الأسلحة والمعدات، هيدون التفوق الذي وفرته قدراتهم لما استطلعت القوات الجوية ضرب القوات العراقية بفاعلية على الأرض. ولما تمكنت قواتنا البرية من التقدم مختربة الحرس الجمهوري بهذه السرعة وبذلك الخسائر الطفيفة، وكان دور القادة الأمريكيين هو تشكيل تلك القدرة وتطبيقها على الوضع الوشيك، وهو ما فعلوه ببراعة.

إلا أنه كانت هناك كذلك مشكلات لا ينبغي تجاهلها. أولاً، أوجدت الخطة العسكرية مخاطر لم يكن لها أي داع، لأنها اتسمت بالشع بشأن عدد القوات التي جرى توفيرها للقادة. ورغم ثبوت أن مستوى القوات ملائم لهزيمة الجيش العراقي، فإن الشكوة الأساسية في العمليات العسكرية هي الضاعية، وليست الكفاءة. فلا ينبغي إدارة العمليات العسكرية كأعمال تجارية التي لها متطلبات يمكن التنبؤ بها وتهدف إلى تقليل لفقات تلبية تلك المتطلبات. فالقتال، وخاصة القتال البري، واحد من أكثر الأنشطة البشرية غير

يعد الجنرال ويزلي كلارك أحد أبرز القادة العسكريين الأمريكيين المعاصرين. وقد تولى قيادة قوات حلف شمال الأطلسي في أوروبا في الفترة من ١٩٩٧ حتى عام ٢٠٠٠، ثم عمل محللاً عسكرياً لشبكة «سي. إن. إن.» وهو الآن مرشح بارز لنيل لفة الحزب الديمقراطي لخوض انتخابات الرئاسة الأمريكية في العام المقبل.

وهذا المقال خلاصة أفكار كلارك عن الحرب الأمريكية في العراق والتي نشرها في كتاب بعنوان «النصر في الحروب الحديثة.. العراق والإرهاب والإمبراطورية الأمريكية» والذي صدر الشهر الماضي في الولايات المتحدة عن دار نشر «بابلز أفيرز».

«المحرر»



# فنى العراق

## ويزلى كسلارك

الأولى على خطة ما بعد الحرب (كيفية تحقيق الأهداف الحقيقية للخلق عراق آمن ومسالمة). ركزت هيئات البنتاجون العسكرية على الاستفادة من خبرتها الأساسية. تطبيق القوة العسكرية. بدلاً من المتطلبات الأكثر اتساعاً الأصيلة في هذا الوضع. وقد أضيف إلى ذلك صراع بيروقراطي مستمر بين وزارتي الخارجية والدفاع. حيث كانت الأولى حذرة وحكيمة. بينما الثانية عاقدة العزم على الحضي قدماً متجاهلة المسائل على ما يبدو. وكان ذلك صراعاً لم يحسمه حتى يناير ٢٠٠٣ إذ قرار من البيت الأبيض بتحويل وزارة الدفاع مسؤوليات ما بعد الحرب بالكامل.

لا يفتنى هذا أنه كانت هناك بنية حقيقية أو تنظيم حقيقي لدمج التخطيط العسكري داخل الحكومة الأمريكية. فالوكالة الأمريكية للتنمية الدولية USAID، وهي جزء من وزارة الخارجية، تبرم عقوداً مع منظمات خارجية. وهي ليست هيئة تخطيطية. وتنفذ. فقد مضى زمن طويل على أي أثر لبنية كانت تسمى وراء بناء الأمة في قيامها. فقد أنشأ الجيش معهد حفظ السلام في كلية الحرب التابعة له في كارليل باراكس بولاية بنسلفانيا، ولكن المجموعة الصغيرة من المحاضرين الخلفيين هناك خفض عددها مراراً. وكانت تحارب ضد قرار الميزانية الذي كان سيؤدي إلى قطع الأمر إلى إغلاق المعهد. وأنشأ الكونجرس المعهد الأمريكي للسلام في فورة من المثالية المباشة للحرب في السبعينيات. وكان بمثابة مركز مهم للثقافة والبحث. ولكنه لم يكن نظيراً حقيقياً لمركز الأبحاث والتطوير التابع للجيش الجوية، أو مركز التحليلات والبحرية التابع للجيش. وأصبح الأبحاث والتطوير في أوروبا والشرق الأوسط. وكل منها يمول تمويلاً ضئيلاً كي يبحث القضايا الصعبة المرتبطة بمهام القوات المسلحة. كما أنه لم تكن هناك بنية بيروقراطية مخصصة للاستثمار المباشر في كل عام لتحسين قدرتنا كي ننفذ عمليات ما بعد الحرب. ولم تكن هناك ثقافة للصناعات القتالية. بما لديها من جيوش من الاستشاريين وأعضاء جماعات الضغط للحصول على المصصات المالية.

إدراكاً من حكومة

العمليات التي تلى ذلك. وفي هذه الحالة كانت الأهداف. كما أعلن وزير الدفاع رامسفيلد. تتضمن القضاء على نظام صدام حسين. وطرد الشبكات الإرهابية المزعجة. والاعتراف على أسلحة الدمار الشامل وتدميرها. والقضاء على أية أنشطة إرهابية أخرى. وخلق الظروف للانتقال للعراق السريع إلى حكومة نيابية. لا تهدد جيرانها. يتطلب النصر تخطيطاً. حيث يبدأ بتعريف لنجاح ما بعد الحرب يليه تحديد كل من طبيعة العمليات اللازمة والقوات الضرورية. وهنا قوض تركيز الحكومة وتصميمها على كسب الحرب من الناحية العسكرية احتمالات النجاح بمجرد احتلال البلاد.



فشرت حكومة بوش الوضع داخل عراق ما بعد الحرب بأنه مسألة افتراضات لم تتحقق. فقد كانت تبذل إلى الاستهانة بالمشكلة. ومن الواضح أنها كانت تعتقد أن القضاء على صدام حسين سوف يقضي على تهديد حزب البعث. وأن أعداء كثيرة من الجيش والشرطة سوف تنضم إلى الأمريكيين. وأن الموقفين العراقيين سيقبضون في أعمالهم.

الواقع أن قلة الاستعدادات كانت من ناحية تهيئة للقيادة واتخاذ القرار داخل حكومة بوش. ومن ناحية أخرى نتيجة لقوى واتجاهات أشد قوة تعمل مع الحكومة الأمريكية والجيش الأمريكي. فعند البداية كانت العمليات الحاسمة. كيفية هزيمة القوات العراقية) لها

نسبياً كانت أمراً غريباً. ذلك أن أسئلة وزير الدفاع رامسفيلد المستمرة عن الخطة ونشر القوات أريكت العملية وحسب. إلى حد أنه لم يمكن توصيل القوات المطلوبة. وأن القادة تكيفوا في النهاية مع هذا الوضع. حيث لم يكونوا يرغبون في مواجهة غضب الوزير بإثارة الاعتراضات. ومع ذلك فقد أشار آخرون إلى أن القوة البرية كانت صغيرة نسبياً بسبب إصرار رامسفيلد على تقليل التكاليف المالية. ويعنى هذا أن القوات الإضافية كان ستحتاج إلى أن تكون هناك حاجة واضحة إليها. ورأى البعض أن رامسفيلد بتجهيمه القوة البرية كان يثبت رأيه بشأن الغزاة النسيبة للقوات الخاصة والقوة الجوية مقارنة بالجيش التقليدي. وكما قال أحد الضباط. فإنه «كان يريد دائماً تقليل عدد قوات الجيش البرية. كما حدث في أفغانستان... ربما ساهمت هذه العوامل كلها في عدم نشر القوات على الوجه الصحيح.

الانتقاد الرئيسي الثاني لخطة الحرب يتعلق بالمرحلة الأخيرة. فقد جعلت التخطيط ما بعد الحرب أقل مما يجب أن يكون عليه. والواجب على من يخططون العمليات العسكرية الخاصة بأية حرب أن يأخذوا في اعتبارهم ما بعد انتهاء تلك العمليات. وهناك أربع خطوات لا بد من أخذها في الاعتبار: نشر القوات. وحشد القوات. والقتال الحاسم. وعمليات ما بعد الصراع. ويخلق هذا قوت العدو على أرض الحركة ظرفاً ضرورياً للنصر. ولكنه ليس بالظرف الكافي. فليس هزيمة الجيش العراقي وحدها هي التي تحقق أهداف الخطة الشاملة ونواياها. بل هو النجاح في

حسابات استراتيجية. وكانت النتيجة عند انتهاء الأعمال القتالية الرئيسية هي أن القوة الأمريكية كانت عاجزة عن توفير الأمن ووقف أعمال السلب والنهب والتخريب وخلق حضور جدير بالتصديق في أنحاء البلاد. حتى داخل بغداد. وقضى ما نتج عن ذلك من فوضى على بعض النشام في المصادفة الأمريكية التي اكتسبت على أرض الحركة. كما فتح الطريق أمام مقاومة أشد وأكثر تنظيماً في الأسابيع التالية.

في الشهرين من مارس. حين بدأ القتال. كان لدى مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) أربعة أفواج مستعدة للحرب. وكان لدى الجيش الأمريكي سبعة ألوية مقاتلة فقط موجودة في الكويت. ثلاثة ألوية من الفرقة الثالثة مشاة. وثلاثة من الفرقة ١٠١ المحمولة جواً. ولواء من الفرقة ٨٢ المحمولة جواً. وكان البعض في ١٠١ غير مستعد للذهاب. وبحلول الحادي عشر من أبريل. حين سقطت الموصل وتكريت. كان عدد ألوية الجيش في العراق قد ازداد إلى تسعة بوصول الفوج الثاني فرسان واللواء ١٧٣ المحمول جواً. وفي الأول من مايو أعلن الرئيس بوش انتهاء أعمال القتال الرئيسية. ونهاية مايو كان عدد الجنود على مسرح العمليات قد بلغ سبعة عشر لواء من الجيش. وفي ذلك الوقت جعلت الفوضى المنتشرة النجاح النهائي للهمة معرضاً لخطر متزايد. رغم القوات الإضافية التي وصلت متأخرة.



قد يقول قائل إن هذه «البدائية المتحجرة». حيث تجرى إضافة الوحدات على مدى شهور حتمية في الحرب العملية. ذلك أن بناء قوة أمة بأساً. أو البدء في جميع القوات ميكراً. كان سيخرب محاولات البحث عن حل دبلوماسي. إلا أن بيانات الرئيس بوش أثناء هذا الأمر. فقد كان من المعتاد الإعلان عن نشر القوات قبل طویل من بدء القوات تحركها الفعلي. وكان يبالغ في حجمها. ما يعطى انطباعاً بوجود أعداد أكبر كثيراً مما هو مشارك بالفعل في القتال.

أشار آخرون إلى أن قوة مشاة أقل عدداً العدد الثامن والخمسون. نوفمبر ٢٠٠٣ م

## أظهرت تجربة ما بعد الحرب العالمية الثانية مزايا العمل في إطار تحالفات ومؤسسات متعددة الجنسيات. وتجعل الولايات المتحدة نفسها، بتجاهلها تلك الدروس، معرضة للمخاطر القانونية والمالية والعسكرية



كليتوتون للمشكلة، حاولت على أقل تقدير خلق ألية للتنسيق بين الوكالات لتجميع كل الوسائل المتاحة للحكومة الفدرالية ووضع منهج شامل للتعامل مع مشاكل ما بعد الصراع. ولأن سلسلة من الإجراءات الإدارية قد اتخذت بطريقة براجماتية نتيجة للاستعدادات الموسعة لتوفير استراتيجية خروج لقوات الجيش الأمريكي من هايتي عام ١٩٩٤، فقد جعلت كل وكالة مسئولة عن التعاون مع الأخرى على مستوى النواب. وكان هذا المنهج في المقام الأول توسيعاً لإجراءات تخفيض أركان الجيش وأمرًا لوكالات الحكومة الأخرى. حيث كلفت الوزارات المدنية والعسكرية بتنظيم مهام ومبرمها وإنجازها. وقد صيغت العملية في هيئة الأمر الرئاسي رقم ٥٦ المنشور في عام ١٩٩٧. ولكن حتى الأمر الرئاسي رقم ٥٦ لم يكن كافياً بالنسبة لتساع وكشافة التحديات الموجودة في التعامل مع مشكلة الدول المخادنة مثل هايتي.

حين عدت إلى البنتاجون لمراجعة الحقائق قبل الإذلال بتهادى أمام مجلس الشيوخ بشأن مشكلة العراق في سبتمبر من عام ٢٠٠٢. خاب أجلي عندما علمت أنه جرى القليل جدا من المناقشات حول تخطيط ما بعد الحرب الخاص بالعراق. فقد أبلغوني أنه ليس موضوعاً محبوباً في الطابق الثالث، حيث تقرر القيادات المدنية سياسة وزارة الدفاع. حين بدأ التخطيط أخيراً في ذلك الخريف كان يقوم على افتراض أن الغزو الأمريكي سوف يلقى ترحيباً من معظم أهل العراق. حاربته تحريراً، فقد أساءوا تقدير قوة حزب البعث والقومية العراقية القطرية. وكذلك الحال بالنسبة لدرجة الروح الحزبية بين الشيعة. وحدث الشيء نفسه بالنسبة لاحتمالات المشاركة المستمرة من جانب سوريا وإيران. وغيرهم. إلى جانب الاحتمال الأساسي وهو أن القوة الأمريكية المسيحية في معظمها لن يقبلها الشعب العراقي، خاصة إذا شقت طريقها إلى داخل البلاد بالقتال.

هكذا ركزت كل استعدادات عراق ما بعد الحرب من جانب مكتب المتحاربين والمساعدات الإنسانية بقيادة اللفنتانت جنرال جاي جرانر على المهام الأقل أهمية. لقد كان من الأولي مهام معالجة المشاكل الأساسية. وهي استعادة النظام والإحساس بالانتماء. قبل بداية إعادة التعمير. وعلاوة على ذلك لم يتحرك لجاي جرانر ما يكفي من الاتصالات والنقل والأمن والموارد البشرية لمواجهة هذه المشكلة وحسب. بل إنه بدأ من أن

أكبر من المضرورة الدولية. وخاصة في أوروبا. كان من الممكن الاستفادة من المزيد من التأثير على الحكومات في أماكن أخرى. ذلك أن سلطة الأمم المتحدة لها ثقلها المهم في ميدان الرأي العام العالمي. وكان من الممكن أن يتوفر هذا كله للولايات المتحدة. لو أن حكومتنا أدركت وحسب أنه من الضروري السعي للحصول عليه.

أظهرت عملية تحرير العراق الحاجة إلى قدر أكبر من التخطيط والمشاركة متعددة الأطراف. وخاصة أثناء مرحلة ما بعد الصراع. وهذه بعض الأسس المتواترة التي لم يُبحث البحت الواجب. فمن الذي سيقود قوات الشرطة ويؤمن الأمن العام؟ وعلى أي أساس من السلطة هل سيكون هناك نظام قضائي، بما فيه من محامين وقضاة وسجون؟ قانون من هو الذي سيحكم؟ كيف سيكون التعامل مع مسلسل الجريمة المنظمة والفساد والسلطة شبه الحكومية من جانب القيادات الدينية وغيرها من القيادات؟ إن طرح الأسس الصحيحة وإيجاد الحلول المناسبة ليس من المهام التي تقوم بها قوة واحدة بمفردها. حتى ولو كانت قوة في عظم حجم الولايات المتحدة. فقد أظهرت تجربة ما بعد الحرب العالمية التي شئت أكثر من خمسين عاماً مزايا العمل. حيث يكون ذلك ممكناً. في إطار تحالفات المؤسسات متعددة الجنسيات. وتجعل الولايات المتحدة نفسها، بتجاهلها تلك الدروس لمصلحة التعاون الثنائي في غالبه، معرضة لمخاطر من الناحية القانونية والمالية والعسكرية. وبغض النظر عما نقوله اللغة العسكرية من «العمليات الحاسمة»، فإن الأحداث على الأرض في العراق، بعد نجاح العملية العسكرية في هزيمة قوات صدام، كانت تستلزم حاسمة بالفعل على المدى الطويل.



الطورت رؤية وزير الدفاع وامسقبل الاستراتيجية الخاصة بتخسير استراتيجية الحرب الأمريكية على قدر أكبر من الاعتماد على الضربات المحكمة والقوات الخاصة. على أن يصاحب ذلك تقليل الاعتماد على القوات البرية الكبيرة. وأكدت العمليات التي جرت في العراق حكمة عدم التوقف عن تعديل استراتيجية جيتيك في ذلك الاتجاه: إلى حد معين، إلا أن تلك لم تكن رؤية جديدة بحال من الأحوال. فالقوات المسلحة

يعمل مباشرة تحت إمرة الرئيس أو وزير الدفاع. كان مروضاً كذلك لقادة الجيش الأمريكي في المنطقة. كان أثر ذلك الخزال مهمة جارثر. بينما كان هناك أقل أثر لسلطة الأمم المتحدة. وإنفاق لإقناع الحلفاء والدول الصديقة المترددين لتوفير قوات الشرطة والجنود والمترجمين ومساعدات إعادة الإعمار المدنية التي يمكن أن تقلل المخاطر بالنسبة للقوات الأمريكية. وتشارك في عيه إعادة البناء وبناء الأمة. ولم يكن هناك وجود لأي برنامج يحظى بشريعية السلطة الدوائية كي يحل محل قوانين صدام حسين البائدة. أو لشعر قوات حفظ السلام في المحافظات. وكذلك لم تكن هناك آلية بخلاف المناشدة المباشرة. لجذب الدول الأخرى إلى المهمة. وفشل حكومة بوش في اجتذاب القدر الكافي من الموارد والدعم الذي كان من الممكن توفيره.



المشاركة في أن بعض أعضاء الكونجرس، الذين كانوا يشكون من الشكوى لسنوات من الجيش بشأن مشاركته في بناء الأمة. وكانوا يشكون من «دعر المهمة، والمشاركة في الأعباء» مضطرون الآن لدعم الجيش الأمريكي وهو يقوم بهذه المهمة بمفرده في واقع الأمر. لقد كانت (ولا تزال) مهمة أكثر صعوبة وخطورة وعدم تحديد موعد انتهائها من أية مهمة سابقة.

يعيدنا هذا إلى الانتقاد الأساسي الثالث لحطة الحكومة. وهو أنه أثناء محاولة الاحتفاظ بالسيطرة الثامة، زادت الحكومة تكاليف المهمة واضطرابها بتمتعها استفادتنا من نفس الحلفاء والموارد الذين كان من الواجب أن يتوافروا للولايات المتحدة. فلم تكن حكومة بوش حتى ذلك الوقت على استعداد للاستفادة من الشرعية والدعم الدوليين اللذين كان يمكنها الحصول عليهما من المؤسسات الدولية كالأمم المتحدة وحلف الناتو. فبدلاً من كسب التفوذ من طريق الشرعية الدولية، رفضت الولايات المتحدة، حتى خلال صيف ٢٠٠٣ الطويل، التخلي عن السلطة السياسية للأمم المتحدة أو منح سلطة مهمة لأية مؤسسة دولية أخرى. ومع ذلك كان لتلك الشرعية أهميتها إذ إن للحكومات الأوروبية أن توفر القوات والموارد للمساعدة في جهود ما بعد الحرب في العراق. ففي ظل قدر





الأمريكية يجري تغييرها باستمرار منذ خروجها من حرب فيتنام في منتصف السبعينيات، وكانت القوات التي حاربت في عام ٢٠٠٣ إلى حد كبير من إنتاج خمسة رؤساء أمريكيين وعملية تطوير مستدامة زادت سرعتها بالتفاعل بعد حرب الخليج في عام ١٩٩١.

أعدت قيادة الأركان المشتركة الأمريكية في عام ١٩٩٦، بمساعدة فروع الخدمات، أول مشروع لخوض الحرب بصورة مشتركة، وهو «الرؤية المشتركة ٢٠١٠» وشرحت تلك الوثيقة غير السرية مفاهيم السيطرة العسكرية باستخدام كامل الموارد العسكرية، والضربات المحكّمة، والحماية عالية التطوير للقوات، والأعمال اللوجستية دقيقة الترتيب، وقد نُفذت جميعها على أرض المعركة في العراق، وبما أنه كانت هناك رؤية تنطوي على التغيير

الأساسي، فمن المؤكد أنها كانت سابقة على تغيير الإدارات في عام ٢٠٠١، وكانت قد أصبحت رؤية جماعية. إذ كانت تُدرس في مدارس الأفرع، وتناقش في التدريب والمناورات، وتُدرج في مبادئ التعليم، وتُروى للعدّاء، والأبحاث

والتطوير، والمشاريع. أكدت الرؤية قيادة أعمية السيطرة من خلال التحكم في المعلومات والضربات المحكّمة، وقال أحد كبار الضباط، «لن صندروها من أرض العدو عرضة ٢٠٠ كيلومتر عرقه ٢٠٠ كيلومتر ينبغي علينا تحديد كل هدف معاد هناك، وأن نضرب كل هدف لزيدة وقتله»، كانت رؤية متعمقة بما تميزت به من بساطة ووضوح، وقد جرى تأملها في البرامج والميزانيات وجلسات استماع الكونجرس وحتى الثقافة الشعبية. إذ كانت الإدارة الجماعية التي خلفت رؤية التغيير كاسحة.

ولابد بطبيعة الحال من استمرار التغيير الأسرع مجالاً للدفاع وجعله أكثر قوة وحيوية، فمن بين التجديدات الكثيرة الأخرى، ينبغي أن يكون لدينا أجهزة إحساس أفضل، واتصالات أكثر حماية، ومدى أبعد للشنار، وصواريخ أسرع، وأثار أقدام، أعمية أصغر حجماً للقوات، وتكامل أفضل للأفرع والتعميل الخاصة، واعتماد متزايد على شبكات الاتصال تركيز التعاميل. إلا أن جوهر المهمة، الكشف المتقدم تكنولوجياً عن قوات العدو وتدميرها على أرض المعركة بأقل مخاطرة بالنسبة للقوات الأمريكية، لن يتغير.

لأبد أن تحذروا تجربة العراق أن من خلال التغيير، أو على الأقل ما سنعناه من رؤية وزارة الدفاع لها. لم

يكونوا كامين، حيث كانا يركزان فقط على «العمليات الحاسمة، وضافية الكثافة العالية، الخاصة بسلسلة الصراعات المحتملة. وفي منتصف التسعينيات، حين وضعنا «الرؤية المشتركة ٢٠١٠» على الورق لأول مرة، كثيرين معنيين بضرورة موازنة إيقاع القتال السريع ورويته عالية الكثافة مع برامج ما يجري قبل وبعد. ولم يكن ذلك ضيق أفق من جانب الجيش وحسب، فالأرجح أن الجيش لا بد له من التعامل مع ذلك الواقع وكان بذلك الفرع الأكثر تكيّناً من التغيير عن المخاوف، وأرباباً مراراً أن تدمير القوات المعادية لم يكن وحده كافياً أو الفوز، في معظم الأوضاع التي قد تجد القوات الأمريكية نفسها فيها. فقد كانت هزيمة القوات العسكرية ضرورية لكسب المعركة، ولكنها لم تكن كافية لكسب الحرب.



شهدنا الصعوبات في القتال وسط السكان المدنيين في نماء أثناء البحث عن الرئيس البنتي مانويل نورييجا، ومشاكل التعامل مع اللاتجيين وعدم الاستقرار وأسرى الحرب في أعقاب حرب الخليج الأولى، والفشل في الصومال والصعوبات في هايتي والتحديات الكثيرة الخاصة بالعمليات في البلقان، وكان معظم تلك الصراعات ينطوي على مواجهة العسكرية المكثفة القصيرة والعلمية اللاسعة طويلة المدى الأقل كثافة ولكنها ليست أقل أهمية. ولابد من تدريب القوات المسلحة وتزويدها بالعدّات التي تتعامل مع هذه التخطّيات.

هناك القليلون داخل الحكومة وخارجها الذين يدعون إلى نوع أكثر تسامحاً من التغيير للتعامل مع هذه

الأوضاع الصعبة. وبدلاً من التثبيت بهذه الأنشطة باعتبارها المهام الجوهرية، يتقادم الجيش منذ فترة طويلة الاستثمار والمشاركة في عمليات ما بعد الصراع والعمليات السلمية، ويرتبط جزء من هذه المواجهة بمجموعة قوانين الولايات المتحدة الحالي (وخاصة القانون العسكري ١٠ Title)، التي تحدد أدوار الأفرع والمهام وتضمن على أن يدرب الجيش الأمريكي قواته وينظمها ويؤيدها بالعدّات، من أجل القتال البري المستدام.

إلا أنه للإنصاف القول إن كثيراً من التردد يعود إلى الجمع العسكري الصناعات والمهاتم البقاء تنظيمي. فقد جعل الجيش، بعد وقوعه لسنوات في شرك الرؤية القوية الخاصة بالتغيير العسكري التي هيبت بالانشطة ما بعد الصراع وحفظ السلام إلى مرتبة أقل من الأولوية، وجوده معتمداً على تجديد التكنولوجيا الفائقة ووضع برامج مشتركة مثيرة للإعجاب وبعيدة النظر مصممة من أجل القتال عالي الكثافة في الشرق الأوسط أو في كوريا. شأنه في ذلك شأن سائر الأفرع، وفي ظل أولويات الدفاع الأمريكية العامة، كان ينظر إلى تلك البرامج على الأرجح على أنها تناقض بنجاح للحصول على التمويل، وما إن تحصل على التمويل حتى تنال التأييد المهم من المسؤولين والباطن في كثير من دوائر الكونجرس. كان يعزّل تلك الاتجاهات الجو شديدة الحزبية داخل واشنطن في أواخر التسعينيات حيث كان متوقعاً أن يكون رد فعل الكونجرس الذي يسيطر عليه الجمهوريون قوياً ضد أي شيء يرون أنه «بناء أمة»، وكانت الحقيقة أن أبحاث عمليات ما بعد الصراع والاعداد لها لم تكن تحظى بالدعم السياسي، سواء قال جورج بوش أثناء مناقشات الحملة الانتخابية في عام ٢٠٠٠، وكان وقتها



## هزيمة القوات العسكرية ضرورية لكسب المعركة، ولكنها لم تكن كافية لكسب الحرب



حاكم تكساس، «لا أظن أنه ينبغي استخدام قواتنا فيما يسمى بناء الأمة، بل أظن أنه ينبغي استخدام قواتنا للقتال وكسب الحرب، وأظن أن قواتنا ينبغي أن تستخدم للمساعدة في الإطاحة بأي دكتاتور... حين يكون هذا أفضل مصالحنا».

مما يؤسف له أن هذه على وجه الدقة هي الطريقة التي جرت بها مقارنة المهمة، ففي العملية تحرير العراق، سرعان ما اتضح على الأرض ما حققته الخطط الحزبية والتغيير العسكري من نجاح وما أصابها من فشل على الأرض، فقد أجلس الجيش بلاء حسناً في «العمليات الحاسمة، التي قام بها، إلا أنه في مجهود التخطيط الأوسع مجالاً، وفي التفكير في الطبيعة الحقيقية للحرب الحديثة، أساء المدون فهم ما كنا بحاجة إليه، ربما كان من السهل جداً التركيز على القتال وقتل العدو وتدمير قواته، إلا أن كل طالب جاد من طلاب الكلية الحربية يعلم أن الحرب تسعى إلى تحقيق أهداف سياسية، وأن القوة العسكرية مجرد وسيلة ضمن وسائل عديدة تشمل الدبلوماسية، وأنه لا بد من تعزيزها جميعاً تعزيزاً مشتركاً.



لا يمكن أن يكون التناقض مع حملة الناتو الخلافة في كوسوفو، التي خدمت فيها قائدًا عسكرياً، كحد وضوحاً، فقد اتعبن هناك بالسلطة الدولية في معنى دبلوماسي للحيلولة دون حدوث المزيد من التطهير العرقي، واستمرت المفاوضات والتخطيط شعوراً وهي تسير بسرعة، وقد أثرت كل العملية المتحدة في مرحلة مبكرة واستمر إشراكها، وتولى الناتو وليس الولايات المتحدة أمر المشكلة، وفي البداية كان هناك نقاش حول إصدار إنذار، ثم استخدمت الإنذارات الحقيقية لممارسة الدبلوماسية، ولم يكن هناك حد زمني محدد سلفاً للمقيام يعمل عسكرياً، فالواقع أن الناتو فطس شعوراً غير عادي في تخاض الاضطراب إلى القيام بعمل عسكري، وحاول العديد من قادة الدول بشكل متفرّد الوساطة للتوصل إلى حل، وقد عقدت هذه الدبلوماسية التخطيط العسكري، لقد استخدمت القوة باعتبارها الملاذ الأخير، ولم يحدث ذلك إلا بعد وضع التخطيط للفترة التي

تعقب القتال والالتزام

## كتاب الزاوية



### الإشارات الإلهية

#### لأبي حيان التوحيدي

لأبي حيان التوحيدي علاقات وثيقة جداً بالتصوف وللمتصوفة، التصوف سلوك شخصي وكعلم لدني، والمتصوفة كالأقطاب يتشكل فيهم التاريخ الصوفي. وكثيراً ما كان يروى عن أولئك الأقطاب أقوالاً مأثورة وحكماء تُحذَر. وقد وصف أبو حيان التوحيدي بأنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة لأنه إذا كتب في الأدب كان أديباً خالصاً وإن كتب في الفلسفة ظننته لا شيء إلا فيلسوفاً. وقد كتب مناجيات روحية هذة بين كتابات المتصوفة جميعاً، وأشهر هذه الكتابة كتابه (الإشارات الإلهية) الذي يشرف بنا أن نختاره كتاب الزاوية لهذا العدد.

يضم هذا الكتاب حوالي مئتين رسالة موجهة إلى شخص مجهول، وتأخذ شكل الشكوى أو الدعاء (المناجاة)، تبدأ الرسالة بالدعاء وتنتهي بالدعاء، وما بين الدعاء والدعاء يبدو التوحيدي كأنه يطلب الهداية والنجاة لشخص ما، يغريه بسلوك طريق التصوف.. وتتلون الرسائل بأحوال نفسية بين اللين والشدة والحدة والترقق والعقلانية أحياناً والوصول إلى حالة من الوجد أحياناً أخرى. وقد حار محققو التوحيدي في معرفة كنه هذا الشخص الموجهة إليه الرسائل والذي يخاطبه دائماً ب: يا هذا، ولكننا نرى الأمر أبسط من ذلك إذا تذكرنا أن التوحيدي يؤمن - كما تؤمن جميعاً - بأن النفس البشرية نفسان: النفس الأمارة بالسوء، والنفس البرية المفطورة على الخير والصلاح والتقوى. وفي اعتقادنا أن هذه النفس الطيبة تخاطب النفس الأمارة بالسوء في هذا الكتاب الفريد العظيم، وكان التوحيدي يخاطب نفسه بنفسه متمسكاً لها طريق الهداية، فكان هذا الفيض الداقي: الإشارات الإلهية.

إعادة نشر القوات وقامت بعملية عسكرية كبيرة لتعزيز المناطق المهددة والهجوم. وأعلن القائد العام للقوات البحرية، «هذه الحرب لم تنته بعد»، وبحلول الحادي والعشرين من سبتمبر كان أكثر من ثمانين أمريكياً قد قُتلوا وجرح ما يزيد على خمسمائة في الصراع منذ الأول من مايو.

لقد نجحت حملة العراق في الإطاحة بنظام صدام حسين، إلا أنه حتى أواخر سبتمبر ٢٠٠٣ لم يكن قد عثر بعد على أسلحة الدمار الشامل. وكان الاحتمال لا يزال هو أن نظام صدام كان لديه قبل سقوطه على أقل تقدير بعض البوابات الجاهزة لتصنع تلك الأسلحة أو تحسينها، وخاصة فيما يتعلق بالأسلحة البيولوجية؛ بل ربما كان هناك مخزون من الأسلحة ونحن لم نعرش عليها وحسب، إلا أنه كان من الواضح بعد استيلاء قواتنا على البلاد أنه يجري تشكيل شبكات إرهابية جديدة أو استبرادها لمواجهة الجهد الأمريكي. لذلك كان لابد أن نحول ديمقراطي في العراق أن يدخل في صراع مع تهديد إرهابي جديد، بالإضافة إلى كثرة التحديات الشكافية والسياسية والإقليمية والاقتصادية.

لم يكن ليصدق أن أحد عند تلك النقطة أن إحداث التحول الديمقراطي سيكون سهلاً أو سريعاً أو ورعياً. صحيح أنه إذا كان الهدف الأساسي للحملة العسكرية هو إظهار مهارات القوات الأمريكية وشجاعتها ولكنه غير معلن، فحينئذ يكون ذلك نجاحاً بالتأكيد. فقد بنت ثلاثون سنة من الجهد المخلص جيتاً أمريكياً لا مثيل له في قدرته على هزيمة العدو على أرض المعركة. ولكن القوة تخلق خصومها، وهؤلاء الذين عقدوا العزم على الدخول في صراع مع القوة الأمريكية سوف يبحسون عن الطرق التي تقلل من المزايا العسكرية التي جمعت لدينا. ولا يزال هناك عمل أكبر لابد من القيام به إذا كان للولايات المتحدة أن تحقق نجاحاً في تعزيز قيمنا وأمننا ورفاهيتنا. وبما أن كل ما عدا ذلك يتساوى، فالمناطق والشعب العراقي أفضل حالاً بعد هزاج صدام. إلا أن الأعمال الأمريكية ضد الخصوم القدامى مثل صدام لها ثمنها وعواقبها التي قد تجعلنا لا نكاد نكسب الحرب الجديدة ضد الإرهاب. بل إن آثار الحرب قد تعوق بالفعل جهودنا لتحقيق ذلك الهدف الأخير. ■

بذلك. وقد جرى قياس تطبيق القوة في البداية. وبعد ثمانية وسبعين يوماً من الضعف، والتهديد بشن غزو يرى، أعلن الرئيس الجيوسلافى سلبودان ميلوسيفتش لشروط التنازل. وسمح لحوالي مليون ونصف من البان كوسوفو الذين أبعادوا بوحشية بالعودة إلى ديارهم. وانسحبت القوات الصربية، ودخلت القوة التي يقودها الناتو (حيث أسهمت الولايات المتحدة بحوالي خمس تلك القوة فقط)، واليوم يحاكم ميلوسيفتش على جرائم الحرب في لاهاي. ويوجوسلافيا ديمقراطية ناشئة. ولم يقتل جنود أو طيارون أو أفراد مارينز أمريكيون أثناء العمل العسكري في تلك الحملة.

أما في العراق، وفي بداية عام ٢٠٠٣، لم يكن أحد ليخضع أسرار المقاومة الحازمة. كانت الولايات المتحدة تواجه الكمائن وأعمال القنصاة، وخاصة شمالي بغداد وغربيها. وكانت تلك مناطق لم تخضع فيها القوات الأمريكية الصغيرة قنلاً بل برأياً قط، فقد ظهرت على المسرح فقط وسط انهيار حكومة صدام حسين الذي أعقب الحرب. وفي داخل بغداد، ورغم العودة التدريجية إلى النظام المدني، ظلت هناك أعمال متفرقة من القنص وإطلاق النيران والتخريب. وكان يبدو أن حركة ميثية غير واضحة المعالم أطلقت على نفسها اسم «العودة» قد ظهرت. أوقفت الولايات المتحدة بعضاً من





# حكاية إدوارد



كانت هزيمة ١٩٦٧ وما ترتب عليها  
نقطة تحول واضحة في المسيرة الفكرية  
والعملية لإدوارد سعيد، طرحت عليه تلك اللحظة  
من بين ما طرحت، تصورا مختلفا لدوره  
حمل له إجابة على أسئلته الوجودية



## بدايات

في عام ١٩٦٦ نشر إدوارد سعيد كتابه الأول بعنوان: «كونراد ورواية المسيرة الذاتية، Conrad and the Fiction of Autobiography» وهو نسخة من رسالة الدكتوراه التي أجازت له من جامعة هارفارد قبل ذلك التاريخ بثلاث سنوات. يقدم الكتاب قراءة مفصلة لرسائل الروائي الإنجليزي جوزيف كونراد (ثمانية محادثات جمعت كل ما رواه... إلخ) فقرأها سعيد مستمعين بادوات مدرسة جنيف النقدية ساعيا إلى كشف عناصره وعي الكاتب وإشكال التفاعل بين تجربته كمهاجر ومشروعه الإبداعي. كان كونراد مهاجرا بولنديا ترك بلاده في سن المراهقة. عمل طويلا

في البحرية الإنجليزية، يتحدث بالفرنسية وهي لغته الثانية بعد البولندية، وإن أصبح في نهاية المطاف كاتبا بالإنجليزية، وأحد الروائيين الأكبر الكاتين بها في مطلع القرن العشرين. لا اضيف جديدا، حين أشير إلى أن اهتمام الشاب إدوارد بذلك الكاتب البولندي الأصل يرجع إلى المشتركات بينهما، فكلاهما غادر بلاده في بلد آخر في سن المراهقة، ووجد نفسه يكتب بلغة غير لغته الأم ويعيش موزعا بين تربيين. لاحقا سيقول سعيد إن كونراد سيلازمه كأنه نحن أساسا حاضرا باستمرار في خلفية كل تجاربه.



في كتابه الأول هذا يقتبس سعيد رسالة وصلت كونراد من الروائي الأمريكي هنري جيمس، يشكره فيها على النسخة التي أرسلها له من كتاب «مرآة البحر». يقول له فيها: «لم يستخدم أحد من المثقفين ما لديك، فلا أحد منهم يعرف ما تعرفه عن هذا الموضوع كله، لديك كنان سلطة لم يقرها أحد بعد». ويقول سعيد تعليقا على تلك الرسالة المكتوبة في ١ نوفمبر عام ١٩٠٦ إن المعنى الذي قصده جيمس، وفهمه كونراد، لم يكن إشارة إلى تجربة البحر والملاحاة التي عاشها الكاتب البولندي الأصل. وكتب عنها العديد من نصوصه الروائية. يقرأ سعيد في رسالة هنري جيمس إشارة إلى تجربة المعنى والتوزع

كولونياليا بامتياز: مدرسة «الجزيرة» برب، ثم «فكتوريا كوليدج»، وفي البيت «عاملت، يقرأها مع أمه، ودرس البيانو على يد مدام تيجرمان». وفي وقت الترفيه «نادى الجزيرة». ثم إن والده وديع وإن كان فلسطينيا من القدس إلا أنه هاجر في شبابه إلى الولايات المتحدة وحصل على جواز سفر أمريكي، ثم عاد إلى القدس ومنها انتقل إلى مصر، واستقر في القاهرة حيث أسس «ستاندر ستيشنري» وهو محل لبيع الأدوات المكتبية والآلات الكاتبة، يحتفل في المناسبات برفع علم أمريكي صغير فوقه. كان وديع الأب الذي سمى نفسه وإيام، منح ابنه اسم إدوارد، وسمى بنتاته، روزماري، وجين، وجريس وجويس.



في هذا السياق نشأ إدوارد، يتحدث بالأمريكية المدارجة المصرية أو الفلسطينية، ويتعلم بالإنجليزية. وصار قادرا. وهو بعد مراهق صغير السن، على قراءة «ميون الأدب الإنجليزي وإن لم تتج له معارضة بالغة العربية قراءة ميون الأدب العربي، القديم أو الحديث منه. كانت الأسرة تقيم في حي الزملايك في القاهرة، تتردد بين حين وآخر على القدس، ثم لسبب أو آخر انتقلت للإقامة في «الطابية» في سقطت عام ١٩١٧ ولكنها اضطرت حين سقطت الطابية في أيدي الصهاينة إلى العودة إلى القاهرة.

## 1- Representations of the Intellectual

Edward Said  
Vintage Random House NY  
1996

## 2- Culture and Imperialism

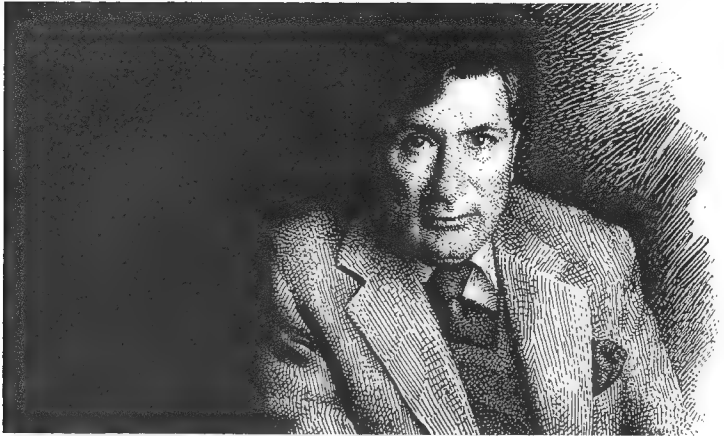
Edward Said  
Alfred A. Knopf, NY, 1993

## 3- Orientalism

Edward Said  
Vintage Random House NY,  
1979

## الاشارة والإمبريالية

## الاشارة



لم تكن أسرة سعيد تنتمي لها جرى النكية بقدر ما تنتمي عن كان يطلق عليهم «شوام مصر» الأكثر تضرعاً وقرباً من الشرائع العليا من الطبقة الوسطى المصرية. ومن هذا السياق سافر إدوارد لواصلته تعليمه الثانوي في الولايات المتحدة ثم ضمن له ذكائه وتفوقه الالتحاق بجامعة من الجامعات الأكبر مكانة في سلم الجامعات الأمريكية. درس في جامعة برينستون حيث حصل على الليسانس، ثم انتقل إلى جامعة هارفرد لواصلته دراساته العليا ومنها حصل على الدكتوراه عام ١٩٦٣.

صدر كتاب إدوارد سعيد الأول عام ١٩٦٦

## سؤال الهزيمة،

كانت هزيمة ١٩٦٧ وما ترتب عليها نقطة تحول واضحة في السيرة الفكرية والعملية لإدوارد سعيد، طرحت عليه تلك اللحظة من بين ما طرح، تصورا مختلفا لدوره حمل له إجابة على أسئلته الجوهرية

وهنا أقف لحظة كبيرة تحملني إلى كتاب «صور المشتك» (١٩٩٤)، وهو مجموعة من المحاضرات ألقاها سعيد عام ١٩٩٣ في الإذاعة البريطانية، في إطار سلسلة محاضرات ريتش، Reith Lectures وهي سلسلة بدأها برتراند راسل سنة ١٩٤٨، وشارك فيها أرنولد

المدد الثامن والخمسون، نوفمبر ٢٠٠٢ م

توينبي عام ١٩٥٠ واكتشبت بهديين الاسميين وغيرهما مكانة كبيرة. عندما أعلنت الإذاعة عن محاضرات سعيد انهل الهجوم بدعى أنه لا يستوفى شروط المشاركة. فهو يعتقد الموضوعية مصروف سانحياره إلى الفلسطينيين والدفاع عنهم، يتقصه الموقف المتوازن المتوقع من المشاركين في السلسلة.

ورغم الهجوم -الذي إدوارد سعيد محاضراته الممت، وبعد عام أصاف إليها مقدمة قصيرة ونشرها في كتاب.

تناول المحاضرات تعريف المثقف كما صاغه الكتاب الأبرز في الثقافة الغربية في القرن العشرين وسهم أنطونيو جرامشي وجوليان بندا وميشيل فوكو وروحي وديريه وثيودور أدورنو وغيرهم. يعرض سعيد أفكارهم عن دور المثقف وجاوبها ويتفق ويختلف ويمدل وصولا إلى بلورة مفهومه هو للمثقف



ينتصر سعيد مفهوم المثقف المعارض إذ يرى أن أبرز ما يميز المثقف هو مواجهة السلطة بالحقبة، والانتصار للضماعة والمضطهدين، من لا حول لهم ولا قوة ولا صوت، فيصطلح بالتعبير عنهم وتعليمهم. المثقف الحق، في رأيه، منطبق على الأوضاع القائمة يسعى إلى تغييرها بإثارة مناخ أخلاقي يرفض الظلم والترف والتسليم بالآمر الواقع. ليس المثقف في نظره جزءا من نخبة

منعزلة بل يتوجب عليه أن يسعى إلى الوصول إلى جمهور واسع عبر المتاح من المنابر. عليه أن يجذب اهتمام هذا الجمهور لثبته لديه الأسئلة ويخفّل المستتب من الأفكار والأسلمات، والمثقف في مفهومه يجمع بين الوهبة والعمل الدؤوب الصارم لتوسيع وتعريق معارفه إذ أن من مهامه التثقيب عن الوثائق المطمورة وأحياء التاريخ المهملة والمنسية، وإثارة الخلاف والسجال وطرح الأسئلة، وتحطيم الأصنام وقصص الصور الزائفة وكسر القوالب الجامدة والأفكار الجاهزة القاصرة دائمة عن الإحاطة بالواقع.

ويرى سعيد أن دور المثقف يتقلب منه إنتاجا فكريا وممارسة عملية. يستتبع الفن الأول إعمال العقل النقدي في كل ما يتناوله من مواضيع، أما الشق الثاني فيطلب منه العمل المؤثر في الواقع. المثقف بهذا المعنى، معارض نامتياز يختار طريق مواجهة الظلمة والمتنصرين، ولذلك فهو هامشي بالضرورة. مسافر وحيد، مهاجر وإن عاش في بلاده، باختصار المثقف، في مفهوم سعيد، شخص موهوب، واسع المعرفة، يشترع الحقيقة في وجه القوة العاشمة مستندا إلى قاعدة عريضة من الجمهور يتواصل معها ويؤثر فيها. وهو، رغم ذلك، مغترب تغلب عليه تجربة الوحدة ورغم ما تتمس به هذه المحاضرات من عمق المعرفة وسلاسة الأسلوب، ورغم استلهامها لجوانب عامة من فكر من سبقوه وإفادته منهم في بلورة مفهومه الخاص (أخذ عن بندا أخلاقية المثقف

وتصحياته وصلاته وأسقط مثاليته وخجويته، وأعاد من مفهوم المثقف المعزولي لدى جرامشي مع إسقاط ارتباطه بطبقة اجتماعية، فالمثقف لدى سعيد مستقل لا يلتزم بحزب أو مدرسة أو خط إيديولوجي، ويعتمد كراهية أدورنو لكل الأنساق والأنظمة وإصراره على الاستقلال التام والتركيز على التجربة اغترابه، وتبني ممارسة فوكو الفعلية في كتاباته فيما عرف بحصريات المعرفة وهو عنوان كتابه الأشهر كما أفاد من مقولاته حول العلاقة بين المعرفة والسلطة) أقول. رغم ذلك رأى العديد من النقاد أن مفهوم المثقف الذي تبناه سعيد لم يكن سوى صورة مثالية لنفسه ولأدائه الشخصي.

وفي تمديري أن الكتاب وما طرحه عن المثقف والتصور التي يقدمها له لم تكن لتكتسب ما لها من مصداقية لو لم تكن محموده على ما قدمه سعيد هكرا وأداة فعليا على مدى ربع قرن، أعنى المترة الممتدة من عام ١٩٦٨ (تاريخ كتابته لأول مقالة مخصصة عن التجربة الفلسطينية) إلى عام ١٩٩٣. (تاريخ إلقاء هذه المحاضرات من الإذاعة البريطانية) نشر سعيد في هذه المترة ١٣ كتابا أتى فيها بالجديد وأثارت كلها دوائر واسعة من النقاش والسجال كما حرص ألا يتفلسف دوره كأستاذ جامعي وباحث متخصص إلا جانباً من حصور مكثف في الواقع السياسي والثقافي. أصبح عضوا في المجلس الوطني

## حكاية إدوارد

التصومس السياسية والأدبية والعلمية من القرن التاسع عشر أساساً، تصومس لم يراى من الباحثين السابقين أى رابطة بينها، يدرسها سعيد ويكشف عن تراجيحها فتتقدم واضحة أمام القارئ فى إطار خطاب الاستطراق، خدم الإنسان الدائم للهيمنة الاستعمارية، خطاب يسمح ببعض الفروق الفردية، أو خصوصيات هنا وهناك، كما يتيح تعديلات يدخلها جيل لاحق على من سبق، ولكنه يبقى فى عناصره الأساسية نفس الخطاب يتوالد عبر الأجيال.



فى مقدمة كتابه فى الاستطراق نيه سعيد إلى أنه أزاء خطاب متفعل ونافذ لم يتناول سوى بعض جوانبه، رأى فى كتابه مجرد دفعة أولى من دراسات واجبة، وقال إنه يعى النقص فى كتابه، ويشرك لسواه من الباحثين استكمال هذا النقص وتبضع جوانب أخرى من هذا الخطاب، وأضاف سعيد أن هناك أيضاً حاجة لكتابة مقال عام يتناول مجمل العلاقة بين الثقافة الإمبريالية والسياسة، هذا المقال الثانى فى المهمة يضطلع به سعيد نفسه لاحقاً فى كتاب «الثقافة والإمبريالية» (١٩٩٣). يتناول الكتاب العلاقة بين الصراع على الأرض ومواردها والأرضيات الثقافية فى حالة القوة الاستعمارية، وعلى الجانب الآخر، فى حالة المقاومة الوطنية (ولم يكن سعيد لطرق لهذا الجانب فى كتاب «الاستطراق»). فى الحالة الأولى يدلل سعيد على طرعه النظرى بدراسات متشعبة تشمل أساطين الرواية الإنجليزية من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين: جين أوستن وديكنز وكونراد وكيبلينج، ويضيف فصلاً مهماً يتناول فيه أودر (عايدة)، الموسيقى والديكور والعرض المسرحى... إلخ. يستكمل سعيد درس العلاقة بين الثقافة والهيمنة الاستعمارية، ويطور فكرته على النحو التالى:

كان للمعركة من أجل امتلاك الأرض ونهب مواردها بعدد ثقافية واضحه وحاسمة، وحظى التوسع الاستعماري بقوة إسناد هائلة من قبل الكتاب والمفكرين والباحثين الأوروبيين ومن هنا

والمؤرخين والباحثين فى مختلف الجالات، والحاصلين فى الإدارات الاستعمارية. الاستطراق مخيلة ونظرة وأسلوب فى التمثيل والتمثيل تتعلق بصاحب النظرة أكثر مما تتعلق بموضوع النظر، إنها معرفة، بالأخر تتضمن الوعى ببوليتية وتفوق الأنا، كما تتضمن علاقة القوى بينهما. ومن هنا فإن الاستطراق ليس مجرد سلسلة من الأكاذيب أو الأساطير أو المؤامرات الشيطانية بل خطاب يعيد إنتاج الواقع بإعادة تشكيله بما يعبر عن موقف صاحبه ومصالحه. يؤكد سعيد أنه لا وجود لمعارف صافية متجردة فالمعارف وثيقة لمعارف ملاقات القوى، والسلطة القابضة التى ترشح متفعللة نافذة فيها، مشكلة لبنيتها.

الاستطراق نسق معرفى متكامل، جملة من المعارف والممارسات ترسخت فى الوعى الغربى على مدى أجيال، حاضرة نافذة فى معاهد العلم، فى المتاحف، فى الدراسات التاريخية الاقتصادية والاجتماعية والفوقية والأنثروبولوجية والبيولوجية، وفى الروايات والقصائد والخطب البرلمانية وتقارير الموظفين فى الإدارات الاستعمارية. إنه شبكة من المصالح مترجمة فى شكل خطاب مهيمين ذى مرجعية يمتد من السلطة السياسية إلى الدائقة المعنية مروراً بالمهاجرين الأخلاقي.

باختصار يقول سعيد إن فكرة الشرق تكشف عن الغرب أكثر مما تعبر عن الشرق، ويدلل سعيد على دعواه بالقياسات وإشارات لمعد هائل من

اسهم فى ذلك أيضاً أن الترجمة العربية الوحيدة المتوفرة للكتاب متعثرة، غامضة يشوبها العديد من المشاكل، لعل أبرزها تحويل كتاب سلس وممتع إلى نص مصعب مثقل بصاطلحات غير مفهومة يمكن تلخيص الكتاب وفرضيته الأساسية على النحو التالى: ليس الشرق والغرب فى العسكر الأروى السائد مجردة موقعين جغرافيين بل مفهومان أنشأ إنشاء، كل مفهوم منهما له تاريخ فهو محمل بمرور سابق ودلالات ومفردات وصور تقسم العالم إلى قسمين غير متكافئين غير متعادلين هما الشرق والغرب، يتحول الشرق فى كتابات الأوروبيين من مكان جغرافى إلى صورة تعكس حاجات صاحبها ومصالحه وموروثه. وتتأمل من جيل لجيل.



قبل ظهور كتاب سعيد كان المقصود بالاستطراق حقلاً معرفياً يسهم فيه الباحثون فى مجالات اللغات الشرقية وفلسفات الشرق وتاريخه... إلخ. وبدءاً من ظهور الكتاب اكتسب المصطلح معنى مغايراً دلاً على الإسهامات التى شكلت صورة الشرق بما يسهل للسيطرة الاستعمارية ويتوازى معها ويهز استمراريها. الاستطراق بهذا المعنى مؤسسة هائلة لها السلطة والمرجعية، اسهم فى تشكيلها وترسيخها أجيال من الشمرء والواليين ورجال السياسة

الفلسطى، (هو الذى كتب النسخة الإنجليزية من أول خطاب يمثل فلسطين فى الأمم المتحدة، الخطاب الشهير الذى ألقاه ياسر عرفات أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤)، وهو الذى لاحقاً سبهاجم اتفاقيات أوسلو ويشتد عثرات المخالات ينتقد فيها ياسر عرفات، سيف إدوارد على العديد من المنابر العلمية والثقافية فى الجامعات وفى غيرها من المحافل فى الولايات المتحدة وأوروبا. والهند وجنوب إفريقيا والعالم العربى ليظهر فكره ومواقفه بشأن فلسطين والعرب والمسلمين، سيكون عضواً فى قيادة لادى القلم الدولى، ويرأس إحدى الجمعيات الدولية الأبرز فى الدراسات الإنجليزية وهى Modern Language Association، ويواصل الكتابة فى مجلة Nation بصفتها الناقد الموسيقى للمجلة.

## الاستطراق والثقافة

### والإمبريالية

أما بالنسبة لإنتاجه الفكرى فقد قدم سعيد أولاً خلاليته الكبيرة: «الاستطراق» (١٩٧٨)، و«مسألة فلسطين» (١٩٧٩)، و«التغطية الإعلامية للإسلام» (١٩٨٠) حيث تناول العلاقة بين الغرب الإمبريالى والشرق، العرب والمسلمين، ودور الثقافة والإعلام فى ترسيخ الهيمنة الاستعمارية. فى هذه الكتب الثلاثة طرح سعيد نظريته فى التمثيل، كما واجه الصورة المشوهة للعرب والمسلمين وتفتيت الوجود الفلسطىنى أو تشويهه.

وهى مقال محدود من هذا النوع لا يتسع المجال لعرض هذه الكتب متصلاً ولا لمناقشة جملتها وما أضافته أو قصرت عن، إنجاره، ولكننى أتوقف قليلاً أمام الكتاب الأهم فى هذه الثلاثية، والذي حقق لسعيد شهرة واسعة ورشح مكانته بصفتها أحد النقاد الأبرز فى الولايات المتحدة وأوروبا، واعتبر معاً رائداً ففتح الباب لاتجاه جديد فى الدراسات الأدبية والإنسانية، أقصد كتاب «الاستطراق» وهو كتاب على أهميته كثيراً ما يساء فهمه، ليس لمصوغته فهو كتاب ممتع لتناول نسبا ولكن إساءة المهم راجعة لسؤال فكرته دون قرأته، وربما

## المنطق الحق، هى رايه،

### منشق على الأوضاع القائمة يسعى

إلى تغييرها بإبارة مناسخ أخلاقى يرفض

الظلم والزيف والتسليم بالأمم الواقع. ليس المنطق

فى نظره جزءاً من تخبية متعزلة بل يتوجب

عليه أن يسعى إلى الوصول إلى جمهور

واسع عبر المتاح من المنابر





(١٩١٦)، وكتاب «مبادئ» (١٩٧٦) وكتاب «العالم والنص والناقد» (١٩٨٢)، وبمثل هذه الكتب ثلاث مراحل في تطور سعيد النقدى كما تمثل مجتمعة مرحلة من مراحل أدائه النقائى إذ أنه أخذ ينتقل تدريجيا في البداية ثم بحسم ووضوح لاحقا إلى نقد ثقافى لا ينحصر فى إطار النقد الأدبى بمعناه الشائع وإن وظف معارفه وقدراته فى قراءة الأدب فى خدمة هذا النقد الثقافى.

كتاب البدايات نص انتقالي حمل سعيد بعيدا عن النقد الفينومينولوجى الذى وظفه فى كتاب كونراد (تأشير مدرسة جنيف منبرها على العناصر المكتوبة لوى ككتاي). يستفيد سعيد فى كتاب «البدايات» من بعض الأدوات التى وفرتها المدرسة البنيوية الفرنسية ولكنه يخطو فى شيء من البراعة إلى اتساع نقد ثقافى ذى توجهات اجتماعية، ويستلهم كتابات الفيلسوف الإيطالى جامباتيستا فيكو، وهو من معركى القرن الثامن عشر.

أما فى كتابه الثالث «العالم والنص والناقد» فيقلو سعيد مفهومه الخاص بالأدب ودور الناقد الألبسى، يرفض بحسم الاتجاهات الشكلانية فى النقد (وكان هذا رفضا قاصدا خصوصا فى البداية حيث لم يوظف سعيد فى رسائله التى أنهى منها عام ١٩٦٢ من أدوات مدرسة «النقد الجديد» وهى المدرسة المعتمدة آنذاك والمهيمنة فى الأوساط الأكاديمية الأمريكية منذ مطلع الأربعينيات حتى نهاية الستينيات، رفض سعيد «النقاد الجدد» وفصلهم التقسيم بين النص ومؤلفه والواقع التاريخى الذى أفرزه، كما رفض الاتجاهات الشكلانية الأحدث وأبرزها البنيوية الفرنسية، إذ رأى أن هذه الاتجاهات التقيدية دائما ما تؤدي إلى إنبات مقولاتها النظرية وغالباً ما تستهى إلى تبرير النص الأدبى وتجميده وفصله عن الواقع وعن جمهوره الواسع. وهو دائما ما تدفع بأبعنى إلى مكانة ثانوية، تمسح ما يقوله النص وتمسح جل الاهتمام للعناصر اللغوية وبنية النص والأدوات البلاغية المستخدمة فيه.

يدعو سعيد فى كتاب «العالم والنص والناقد» إلى نقد علمانى، وهو المصطلح الذى اختاره لنقد وثيق الصلة بهذا العالم

الذى لخصت بعض أفكاره فى الفقرات السابقة. ويشير سعيد كذلك فى هذه المقدمة إلى ضرورة مواصلة الباحثين لدراسة الجوانب الأخرى من الاستشراق. فتح كتاب سعيد الباب لباحثين بلا حصر لدراسة الاستشراق وحده بل لكافة أشكال العلاقة بين المستعمر والمستعمر فى تجلياتها الثقافية. وهو يبحث فى الدراسات الإنسانية صار يعرف لاحقا باسم الدراسات ما بعد الكولونياتى. واتجه ومنها النقد ما بعد الكولونياتى. واتجه الكتاب والدارسون على اختلاف تخصصاتهم إلى تناول جوانب هذا الموضوع، منهم من طور المفاهيم النظرية لسعيد وأضاف إليها. ومنهم من اختلف معه وإن اختلف من نصه للمهم، ومنهم من استخدم ما وفره سعيد من أدوات فى دراساته فى التاريخ والثقافة والأدب والتعليم... الخ. باختصار خرج من مطبخ سعيد العديد من النقاد والدارسين.

## النص والعالم:

كان سعيد بحكم الدراسة والتكوين العلمى والعمل الوظيفى متخصصا فى الدراسات الأدبية المقارنة ولكن نظرة سريعة على مجمل إنتاجه، الكتب والدراسات والمقالات تكشف أن ثلاثة فقط من كتبه تدخل فى نطاق تخصصه المباشر، هى كتابه الأول عن كونراد

ولا يقتصر سعيد على تناول هذه العناصر فى الرواية الإنجليزية بل ينتج أثر الواقع الاستعماري فى مفهوم الزمن وأنماط القص، فى مسار البطل وفى غيرها من العناصر التقنية، ويدلل على ذلك بالنصوص الأهم فى ثيار الحداثة فى مطلع القرن العشرين ومنها نصوص لجويس (رواية أوليس) واليوت (قصيدة الأرض الخراب)، ويسوست (رواية البحث عن الزمن المفقود)، وكامو (رواية «الغريب» التى لا يقرأها كما دمج النقاد صفحتها علاقة كاتبها المستوطن الفرنسى فى الجزائر).

ولأن العلاقة الاستعمارية تفسر جوانب مضمونية وبلاغية فى هذه النصوص فإن إدوارد سعيد يقترح نوعا جديدا من النقد (وهذا أيضا إضافة من إضافات سعيد فى هذا الكتاب) يطلق عليه اسم «النقد الكولونيائى» والمصطلح مستمد من التراكيب السيمفونى حيث يقابل اللحن لحن مضاد، وحيث تتألف الأصوات وهى تتقدم وتتأخر فى تقاطعها وتماكسها وتوازنها. من هنا تصبح وظيفة النقد الأدبى هى قراءة النص فى سياقه والسياق المقابل أيضا. فى ضوء رواية المستعمر (بالكسر) لتاريخه ورواية المستعمر (بالفتح) لحكاياته، مما يمكن من فهم تلك العناصر التى قد نمر عليها من الكرام.

أشار سعيد كما أسلفنا فى مقدمة الاستشراق، إلى ضرورة كتابة مقال عام حول الثقافة والإمبريالية وهو الكتاب

كان إنتاج الصورة وتمييقها جزءا من مشروع الهيمنة الاستعمارية. ويصعب سعيد، وهذا ما اعتقد أنه من جديد الكتاب، أنه يصعب علينا فهم كيان الكتاب الأوربيين من أمثال جين أوستن وشارلز ديكنز وأندريه جيد والكبير خارج هذا السياق.

وينصب سعيد إلى حد الرطب بين نشأة الرواية والواقع الاستعماري (من المعروف أن دراسى الأدب الأوربى والمؤرخين لنشأة الرواية قد ربطوا بين ظهور هذا الشكل الأدبى المستجيد وصعود الفردية ونشأة الرسامانية حتى وصفت الرواية بأنها «ملحمة البويرجواريز»)، ولكن سعيد يطرأ جديدا حين يربط نشأة الرواية بواقع التوسع الاستعماري، فالرواية الأولى فى الأدب الإنجليزي مثلا وهى «رويسون كروزو» (١٧١٩) رواية مغامرات تستلهم رحلات الكشف البحرية فى القرنين السابقين وتحكمها إيديولوجية الاستيطان الاستعماري، امتلاك الأرض واستغلال مواردها واستعباد السكان الأصليين. وكانت الإمبراطورية هى الحقيقة المركزية فى تاريخ بريطانيا فى القرن التاسع عشر فقد ازدهرت الرواية وانتشرت وحظيت بتسمية لم تحظ بها فى أى من البلاد الأوربية الأخرى. وأصبحت الرواية الإنجليزية فى القرن التاسع عشر مؤسسة قوية تحظى بحضور مؤثر فى الحياة الثقافية.

لا ينبغي لسعيد إلى القول إن الرواية نتاج التجربة الاستعمارية بل يطرأ فكرة وجية مفادها أنه يصعب فهم هذه الرواية مغفليين حقيقة التوسع الاستعماري الذى يقصر لنا الكثير من عناصرها ومبررات أحداثها بل وأيضا بعض تقسياتها. ويرى سعيد أن كيان الروايتين الإنجليزي فى ذلك الزمان أسهما بشكل أساسى عبر الرواية فى ترسيخ مفاهيم ومواقف ومرجعيات إدشكول، «فكرة إنجلترا»، بمعنى هويتها ومفهومها عن نفسها. إنجلترا فى نصوصهم فى هذا: المكان المألوف الذى تتناول له الرواية التفكير، تبحث فى شأنا، وتعرض لعناصره وتعرفه وتقيمته وتشكل ملامحه فى ضوء «هناك»، المكان الغامض، المتحوش غير المحكوم بسنة أو قانون أو ضوابط، تشير إليه الرواية دائما بدون تفاصيل ولا يبنى وجوده ضروريا لتحديد ملامح الذات.

## حكاية إدوارد

عازفا موهوبا للبيانو واصل لسنوات طويلة كتابة مقالات في النقد الموسيقي، كما كان وهو المربى في حقل الأدب المقارن يتقن الفرنسية والألمانية ويعرف بطلاقة الحال شيئا من اللاتينية التي يتوقع من الدارس الجاد للاداب الاوروبية أن يصيب شيئا من المعرفة بها.



وهكذا بدأ سعيد في الريف الأمريكي، وفي نيويورك، حاضريته الكورموبوليتية، متحقفا على أعلى مستوى، ينفق المثقفين الأوروبيين الذين عادة ما ينظر إليهم الأمريكيون بعين الإحباط والفتية. وريط بين هذه الصورة التي اختارها لنفسه وبين الاسم الفلسطيني الذي صار ناطقا به، أما الشكل الثالث الذي عبر به سعيد عن عودته فكان الاندراج بشكل أو بآخر في الواقع السياسي والثقافي العربي، صار عضوا في المجلس الوطني، يشر بانتظام على العالم العربي، ينشر مقالات أسبوعية في جريدتين عربيتين، «الحياة» والأهرام ويكلى، ويدخل في معارك مباشرة كانتقاده الحاد والمكرر لاتفاقيات أوسلو، وفساد السلطة الفلسطينية وما وراء من أخذ على ياسر عرفات، وجاء كتابه عن اتفاقيات أوسلو (١٩٩٤)، صدور الأول الذي يصدر بالعربية قبل كتاب نسخة إنجليزية منه.

واعتقد أن سعيد لعب دورا مهما جدا في خدمة القضية الفلسطينية في الولايات المتحدة وأوروبا، صبر كتبه ومقالاته ومدخلته من على مختلف المنابر وإن اختلفت بعض طروحاته من المواقف المعتمدة من قبل غالبية المثقفين العرب السامين إلى خدمة القضية الفلسطينية في موقعهم في الداخل، سواء داخل فلسطين، أو العربي.

واجه سعيد بسبب دفاعه المستمر عن القضية الفلسطينية ومجموعه على الصهيونية هجوما شرسا، اتهم بمعاداة السامية (التهمة الجاهزة لكل من لجأ على انتقاد إسرائيل، وسمى جروفوسور الإرهاب، وتعرضت حياته للتهديد، كما واجه غضب السلطة الفلسطينية بسبب موقفه من اتفاقيات أوسلو التي انتقدها تفصيلا في مقالات متتالية نشرت فيما

كتبه بين عامي ١٩٦٨ و١٩٦٩ ونشر عام ١٩٧٠ بعنوان: التجربة الفلسطينية، (سيضمه لاحقا كتابه، سياسة الاغتصاب، The Politics of Dispossession)

قال سعيد مرارا أنه لم يكن مسيئا قبل عام ١٩٦٧. قال، للمرة الأولى منذ غادرت وجنت للإقامة في الولايات المتحدة (كان صبيًا في الخامسة عشرة من عمره) استمدادى عاطفيا العالم العربي عموما، وفلسطين خصوصا.. ترجم سعيد هذه العودة العاطفية بثلاثة أشكال. أولها عمله الفكري الذي وظف فيه ذلك الذي يعرفه دون غيره من نظرائه من المثقفين الأمريكيين فكانت بدايته كتاب، الاستشراق، أما الثاني فكان قيامه بتمثيل الفلسطينيين تحديدا، والعرب عموما في الولايات المتحدة وفي مختلف الدول الأوروبية.

قرر أن يكون ناطقا باسم شعب مقهور تشوه صورته بانتظام اوتغيب ويتم بالتأني إسقاطه من الحساب، ولم يقتصر ذلك على مقالاته ومحاضراته وتصريحاته ومشاركاته في مختلف الندوات، بل أراد صراحة وهو الذي صرف جزءا من جهده الفكري في تعريف «التمثيل» بمعنى الصورة ولائها ووظائفها أن يكون أينما حل نمودجا إنسانيا مدتها في حضوره، دائما وفي كل الحالات يبدو واسع المعرفة، ذكيا، لامعا، سريع البديهة. كان قد قرأ في صوته للمثقفين ولكنه ومباراة مبشرة كان قد قرأ أيضا أن يوجه صورة توحش العرب والمسلمين لواقعهم وأثافة مظهره وسلوكه، وزاد على ذلك أنه كان

التاريخي محكوما بعناصره، لا لأنه يعكس به لأنه إقرار من إقراراته وموقع من مواقع الصراع فيه، يتمثل في بنيتة علاقات القوى الشككة له.

وفي تقديرين أن مفهوم سعيد للنص الأدبي ودور الناقد كان متسقًا مع الدور المنزلة في يونيو ١٩٦٧. قرر سعيد، وهو ما تؤكد كتاباته، ألا يكتفى بدوره كمدرس وناقد للادب بالاعتماد على النص إلى دور فاعل في المشهد الثقافي العام. ولما كان سعيد حاد الدكاء فقد التقط الدرس الكامن في تلك الرسالة التي اقتبسها في كتابه الأول، الفصل رسالة هنري جيمس إلى كونراد والتي أوردتها في مطلع هذا المقال، اقتبسها للمرة الثانية: لم يستخدم أحد من المثقفين ما لديه، فلا أحد منهم يعرف ما تعرفه عن هذا الموضوع كله، لذلك كفنا سلطة لم يقرها أحد بعد..

حول سعيد غريته من «محبوق» إلى «محرك».. ليصبح الاقتلاع والمنفى والأدراج الثقافي عناصر أساس في تشكيل نظرة جديدة إلى الثقافة اشنى بها زملاء وضمنت له موقعا متميرا فيه.

### سعيد والقضية الفلسطينية

بعد عام واحد من هزيمة ١٩٦٧ بدأ سعيد في كتابة لصفه الأول عن القضية الفلسطينية وهو مقال سياسي طويل

الذي هو منه وقبه وموجه إليه، نقد شاغله الأول استكشاف علاقة النص الأدبي بالواقع الذي استجبه وقبضها هذا الواقع، ولا يقتصر دور الناقد على «العلمانية» بهذا المعنى إلا لا يكتمل دوره إلا بموقف نقدي يطرش الأسئلة ويخلخل النظم السائدة بما ذلك النظم النقدية نفسها التي يتعين على الناقد قراءتها وتقييمها في ضوء الواقع الذي انسجبت. وضرورات هذا الواقع واحتياجاته كذلك يولي سعيد جمهور الأدب انتباها خاصا في طروحاته عن النص الأدبي والنقدي.

ولعلها من الملاحظات الدالة أن سعيد الناقد الأدبي يحكم الشخصيات والوظيفة لم يقدم نظرية أدبية متكاملة بالعلمي الدارج للمصطلح، وإن قدم إسهاما نظريا لا شك فيه بمنح الباب وإسعا أمام إسهامات أخرى في نفس الاتجاه نظريا وفي التطبيق. كان سعيد مجموعة أخرى من الرواد يستطوعون الحدود الفاصلة بين حقل الدراسات لأدبية وعبره من الحقول المعرفية ويهيئون الطريق لفتح أبواب قوة وحضورا في المشهد الثقافي الإنجليزي والأمريكي بدءا من منتصف الثمانينيات ثم في التسعينيات، اتجاه يجمع بين الثقافي والسياسي، ويستوعب تخصصات متعددة داخل نطاقه البحثي.



باختصار كان كتاب «الاستشراق» الصادر عام ١٩٧٨ بداية ميكره لاتجاه في النقد الأدبي سيرف لاحقا بمدرسة النقد ما بعد الكولونيالي. كما كان عملا رائدا في اتجاه واسع سيغلب على الدراسات الأدبية منذ النصف الثاني من الثمانينيات ستتفرع عنه ثلاث «مدارس» تربطها قوة قوية وإن تميزت عن بعضها في التفاصيل، هي النقد ما بعد الكولونيالي، والنقد الثقافي في إنجلترا، والتاريخية الجديدة في الولايات المتحدة. اشتركت هذه المدارس الثلاث في رفض فصل النص عن سياق أو اعتباره عالما معلقا تحكمه قوانين تحصه وحده أو اعتباره تعبيرا عن تجارب انسانية معقدة وقيم عامة ونشر خارج التاريخ واستبدل بذلك مفهوم للنص الأدبي يراه مفتوحا على الواقع

كان سعيد ومجموعة أخرى من الرواد يستطوعون الحدود بين الدراسات الأدبية وغيره من الحقول المعرفية ويهيئون الطريق لاتجاه يزداد قوة وحضورا في المشهد الثقافي الإنجليزي والأمريكي، يجمع بين الثقافي والسياسي، ويستوعب تخصصات متعددة





قسم اللغة الإنجليزية في آداب عين شمس، ساءت بحث الماجستير عن إدوارد سعيد، في العام التالي بعد تخرجها، وكانت الأكثر تموقا في الدفعة، فالتحسنى في موضوع إشرافى على بحثها. حاولت إثناها، بدا لى إيدارد سعيدا ولم تكن دعاء اكملت عامها الحادى والعشرين أصبر. لاحقا أنجزت دعاء رسالة ماجستير ممتازة في النقد النظرى بعنوان، مفهوم إدوارد سعيد للتمثيل، بعدها حصلت على منحة درسية لمدة عام، وأقبل إدوارد سعيد أن يشرف عليها ذلك العام الدراسي في جامعة كولومبيا.

حين سافرت دعاء إلى كولومبيا كان هانى حنى قد عاد إلى مصر وناقش رسالته للدكتوراه التى أعدها بإشرافنا المشترك، إدوارد سعيد وأنا.

كان هانى الحميد في جامعة طنطا أنجز رسالة الماجستير بإشرافى، واستقر رأيه بعد ذلك أن يكون كورنارد موضوع رسالته للدكتوراه، بعد بضعة شهور من البدء في بحثه حصل على منحة دراسية في إطار النقاشات العلمية المشتركة (وهو شكل مستحدث نسبيا من البعثات يتيح للدارس أن يعيد من الدراسة إلى الخارج لمدة عام أو عامين دراسيين ويحظى بخبرة مشرفين، مشرف من جامعة مصرية وأخر من جامعة أجنبية). قلت لهانى، ما رأيك أن أقترح على إدوارد سعيد أن يكون المشرف المشارك؟ قال هانى: لى يقبل قلت، إدوارد رجحت أنه سيقبل، في يوليو عام ١٩٩٢ التقيت بسعيد وكان عاددا في نفس اليوم من غرة في دعوة أقامها السفير الإسرائيلي لأعضاء المؤتمر الدولي للدراسات الأيرلندية الذى استضافه قسمنا بجامعة عين شمس، كان سعيد وصل من غزة في نفس اليوم، ولكنه حضر الدعوة، لم يصوت فرصة الحديث لذلك الحشد الكبير من الباحثين الأجانب والعرب، وقف في حديقة بيت السفير وأتول حيث أقام حفل الاستقبال، وفى ميكروهن مرتجل دنره له السفير نقل سعيد إلى المحاور مشاهداته عن غزة المحتلة.

في نفس الليلة سألته، ما رأيك في الإشراف على طالب من جامعة طنطا؟ تدخلت أستاذة كبيرة بمنزج من البهجة والاستسكار:



طنطا!؟

بالإنجليزية. ثم أخذ يخلط الإنجليزية بالعربية، ثم ذهب إلى العربية بشكل كامل. تألم سعيد، وتآلق الطلاب في حضرته وسرى في قاعة الدرس ذلك الوهج الأسمر بين أستاذ وطلاب أو أساتذة صفار السى وطلاب منصت وإن اعلى منصة المحاضر



تكررت التجربة في مطلع عام ١٩٩١ في النصف الأول من التسعينيات كان إدوارد سعيد كثير التردد على القاهرة، حاضر في جامعة القاهرة وجامعة عين شمس والجامعة الأمريكية. واشترك في مؤتمر الدولى للأدب المقارن الذى يعقده قسم اللغة الإنجليزية في كلية الآداب بجامعة القاهرة. وشارك في عدة ندوات بعضها عقد في جريدة الأهرام.

كان يصل المطار مزودا بصادوته، وأحيانا يحمل في يده تلك الحقيبة المعدنية المليئة بالأصمالة التى يتعين عليه أن يحقن بها، مرات يكون في لندن لجلسات العلاج الكيماوى فيقرر أن يأتى إلى القاهرة في طريقه إلى نيويورك، كان قد بدأ الإعداد لكتابة سيرته الذاتية وكان الشروع في الكتابة عن طفولته استحضرت له المكان وإرتباطه به، ما كانه وهو يمسى تهديد الموت أراد أن يعاود الارتباط بأول منزل، المكان الأليف والأقرب لقلبه.

قالت دعاء إيماني بعد أن استمعت لحاضرة إدوارد سعيد في مدرج ١٢٢ في

ويكتابه الأشهر الذى يحمل هذا الاسم. فهو، الاستشراق، في زمانه وشعبيته الهائلة بين الباحثين من أبناء العالم الثالث والأقليات المضطهدة لا يضاهيه سوى شعبية كتاب فابرو، المعدون في الأرض، في الستينيات والسبعينيات.

لم أعرف معنى إدوارد سعيد إلا في مطلع الثمانينيات عندما قرأت كتاب الاستشراق، أسرى الكتاب، واذكر أنه أسر كل طالب أو طالبة أشرت عليه بقرائه. وحين درست أجزاء منه ومن ذلك لسعيد حين التقيت به للمرة الرابعة والأخيرة، لطالب السنة التمهيدية لماجستير في درس النقد الأدبى أدهشنى أن غالبية الطلاب ترغب في مواصلة الدراسة مستخدمة «منهج، إدوارد سعيد. واذكر الآن إن كنت قلت ذلك لسعيد حين التقيت به للمرة الأولى، ام أشرت له وأنا أقدمه لطلاب الفرقة الرابعة في زيارته الأولى لجامعة عين شمس (وهى على ما أعلم لقائه الأول بطلاب جامعة عربية)، كان ذلك في عام ١٩٨٨. علمت بوجوده في القاهرة كليفونيا وعرفته بنفسى وسألته إن كان يقبل أن يقدم محاضرة لطلابى في القسم، أدهشنى بقله السريع، أدهشنى أكثر فحررته وإقباله على الطلاب والمحاضرة. بدا أنه أستاذ أجنبي زائر يستمع له الطلاب يدهو ويحجمون وجلا عن طرح الأسئلة، كسر سعيد حاجز الغربة بمسر غربية، أو ربما كسر أولئك الطلاب والطالبات المصرون في جامعة عربية عريته، راحوا يطرحون عليه الأسئلة بالإنجليزية، وبدا يجيبهم

بعد في كتابين بالعربية، وكتاب بالإنجليزية.

## وأخيرا، هامش شخصي

تعرفت على إدوارد سعيد أول ما تعرفت عام ١٩٧٩، كان مجرد اسم أثار فضولى على غلاف كتاب عن كورنارد تصفحته وأنا أجلس في قاعة الأطلاع بمكتبة أكاديمية العلوم المصرية في بودابست. كنت أكتب دراسة عن رواية قلب الظلام، لجوزيف كورنارد تحاول الإجابة على سؤال طرحته على نفسى قبل ذلك بوقت، وإن لم يتجى لى الوقت اللازم للبحث عن إجابته. في النصف الثانى من الستينيات درست الرواية في قسم اللغة الإنجليزية بجامعة القاهرة بصمتها لصا يفضح الاستعمار ويقدم فى إفريقيا، ولم يكن هذا رأى استثنائى وحدهم بل رأى بعض النقاد الأخرى ممن تناولوا الرواية الإنجليزية، وفى مايو عام ١٩٧٥، قبل شهر واحد من حصولى على درجة الدكتوراه، ألقى الروائى النيجرى تشينوا أتشيبى محاضرة عامة في جامعة ماساتشوستس حيث كنت أدرس وحيث كان أستاذنا زائرا. تناول أتشيبى رواية كورنارد بصفتها قصا استعمارية ونصوريا بامتياز. لم يتجى لى إعادة قراءة الرواية ولا مناقشة أتشيبى بشكل مستفيض (رغم أننى كنت قد درست معه في العام السابق مقررين دوراسيين في الأدب الإفريقى). كانت المناقشة تحتاج قراءة جديدة فاحصا للنص. وكنت أستعد لمناقشة الدكتوراه والعودة إلى مصر بقى السؤال معلقا إلى أن أتيت لى الفرصة في أجازة لمراقبة الزوج أن أبدا البحث. فى قاعة من قاعات أكاديمية العلوم فى بودابست وقع كتاب إدوارد سعيد في يدي، وكنت على طريقة الباحثين المبرزين على سلوك الطريق السريع إلى مقصدهم، لم أجد في الكتاب ما يفيد بحثى شكل مباشر، قلت أعود له لاحقا. لم أعد للكتاب إلا بعد سنوات وقد تحول سعيد من مجرد دارس متمكن للأدب الإنجليزي إلى ذلك النجم المتألق فى عالم العذيين فى الأرض، يتيح بما طرحه أدوات لألاف الباحثين المنشغلين بالشرق الشرقى. (قصصت استخدام تعبير العذيين فى الأرض ريفنا ضمنيى لسعيد بموافاق فافرو المفكر المارتينيكي



حول سعيد غريته  
من: معوق، إلى: محرك،  
يصبح الاقتراع والمنطق  
والازواج الثقافى عناصر أساس في تشكيل نظرة  
جديدة إلى الثقافة أغنى بها  
زمانه وضمنت له  
موقعا متميزا فيه



## حكاية إدوارد

وبراهتهم إن كان باستطاعتهم الحلاق به. كان ملهما لهم بعلمه، وحضوره الإنسانى وهذا المريح المركب من لحم كبير والفة وبساطة وحسن وقسوة ومشاكسة صمائية. ومطالبة صارمة بالدكاء والتميز العرفى

فى مارس الماضى، جاء إدوارد إلى القاهرة. التقينا به بشكل مكثف، فى أيام متتالية أحيانا. اللقاء الأول على مائدة منى أنيس وفى صحبة عبد العظيم أنيس ومحمود العالم وإسماعيل صبرى عبد الله وزوجته، ومحمد هانى، وجلال أمين، وجمال العيطانى وبهاء طاهر وصنع الله إبراهيم وفائزة حسن ومريد البرغوثى وأنا. واللقاء الأخير فى بيت ريفيات صبا، هدى ونادية وشادية جندى بالزمالك، نفس البناية التى عاش فيها جزءا من طفولته. جاء مودعا على بيته. اتصلت بكليفوليا صباح الأحد. ثم رحل. ❧

إن يشارك سعيد فى تقييم رسالتنا. كتبت له. قال: لن أستطيع. كبرت، ولكن هذه رسالة تحصىك جدا. إنها بمعنى من المعانى رسالتك. حالت الظروف دون أن يشاركنا إدوارد فى مناقشة تلك الرسالة التى تناولت فيها منى عبد الوهاب تمثيل القدس فى خصوص المصلبيين فى المناقشة كان إدوارد سعيد الحاضر الغائب، فلم يكن الموضوع، ولا النتائج المبهرة التى توصلت لها منى عبد الوهاب ممكنا بدون ما وفره إدوارد سعيد ومن وصلوا طريقه من توجه وأدوات منهجية. التقيت بإدوارد سعيد مرات عديدة فى القاهرة، وبيروت ونيويورك فى إطار عام وأطوار أسرى ومن دين مئات المحطات اخترت هذه اللحظات من علاقته به لأبرز جانبها آخر من حضوره المتعدد: كان أستاذا ملهما ي طرح على شباب الباحثين شيئا مثيرا معديا. نوعا من التجدى العقلى والنفسى، كأنه يركض بشكل أسر

إدوارد، لا تصور أنه مع مشاغله ووضعه الصحى يأتى خصيصا من نيويورك للمشاركة فى مناقشة رسالتى. ولكنى كنت واثقة أنه سيأتى. قلت لنمسي: عينا إدوارد لا تخططان أبدا فى التقاط القيمة، سيقرا الرسالة هياى. لن يموت هذه المناقشة.

فى نوفمبر ١٩٩٨ جاء إدوارد سعيد إلى القاهرة وانتقلنا بالقطار إلى طنطا. بصحبة الدكتور هدى جندى والدكتورة فريال غزل العضوين الخارجيين فى لجنة الامتحان. تمت المناقشة فى كلية الآداب جامعة طنطا، فى صرح مكثف بطلاب الجامعة، وطلاب وباحثين وصحفيين قدموا من القاهرة والإسكندرية وغيرهما

حصل هانى على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى مع التوصية بطبع الرسالة وتبادلها مع الجامعات. باحثة ثالثة من طلابى. كنت أتمنى

قلت له: طالب ممتاز. تطلع فى، قال: موافق. فى اليوم التالى، على ما أذكر، التقينا فى إطار نفس المؤتمر لحضور عرض خاص لمسرحية للكاتب الأيرلندى براين فريال على خشبة مسرح الهناجر. قلت وأنا أضحك: ستمنحك البعثات ما لا تتخيل من مزايا. فندق نجمة ونصف، وأموال طائلة! ضحك، قال: ولكن أين هانى؟ اتفمنا أن يلتقى به هانى فى الثامنة صباح اليوم التالى فى الفندق الذى ينزل فيه.

حين عاد هانى من كولومبيا وأنهى من رسالته وأرسل نسخة منها لإدوارد سعيد لكى يكتب له تقريره عن صلاحية الرسالة للمناقشة. قال هانى: لن يأتى



**استمتع بالتسوق وسط ارقى المحال التجارية و المطاعم بأرقى احياء الاسكندرية**  
**قاعة افراح - مؤتمرات - قاعة للفنون التشكيلية - العاب ترفيهية - محال تجارية - مطاعم - ماكينة صراف آلى**  
**رعاية أطفال - مركز تجميل متكامل - جراج لانتظار السيارات**  
**( لدينا مساحة شاسعة تصلح لجميع الأغراض )**

**٤٦٠ طريق الحرية رشدى - الاسكندرية. 460 HORREYA Rd.-ROSHDY-ALEX.**

ت: ٥٤٤٨٣٠٤ / ٥٤٤٨٣٠٦ / ٥٤٤٨٣٠٨ / ٥٤٤٨٣١٠ / ٥٤٢٨٥٥ / 5228585 / 5448308 / 5448304 / 5448304







ويهاجم من يهاجمه، ويحرص دائما على تجنب ما يصير مستقبلا المهني ويقلص من حجم المكافأة التي يتأهلها جزءا لخدمة هذا السيد.

أنا أؤمن أن هذا الإحساس بانعدام الأمان وثيق الصلة بالاختراق الأمريكي والإسرائيلي لتصفوقنا. وما أعنيه بالاختراق هنا هو ذلك الهوان التقاضي والأتلافي حين يصبح الهدف الرئيسي للمتلطف الفلسطيني والعربي ليس النضال من أجل الاستقلال الوطني، وإنما الصورتين أو المسألة أو الأكاديميين الإسرائيليين أو الحصول على دعم مالي من الاتحاد الأوروبي أو أن تتم دعوتة إلى مؤتمر ما في باريس أو نيويورك. لذا ينفي علينا دوما أن نعود إلى البديهيات، وأن نذكر بأن ثمة فارقا كبيرا بين الحوار والإنعنان وبين التعامل مع الواقع والاستسلام لشروط الطرف الأقوى.

هذا ما قاله إدوارد سعيد في محرض استمراضه لاتفاق أوسلو وهو يبرأني ينطبق اليوم حرجيا على ما سمي «بوليتيكا جديدة»، والذين لا يعودوا يستطيعون التمييز بين الواقعية باعتبارها هيما للواقع من أجل تغييره، وبين الاستسلام الحزن للواقع الأليم. وقد سبق إدوارد سعيد رثته في كثير من الأحيان، ولعل منظومة أفكاره في نقد الاستسلام والفكر الغربي، قد بقيت ماثلة ولا تتغير ما نواجهه اليوم بتأثرة عقود، وكما تبدو كلماته التي كتبها قبل عشرة أعوام بالاضمحلال دقيقة إلى حد النبوة عندما كتب «كان الله في عون المهدم من حكام العرب الذين أراهم اليوم في وضع لا يحسد عليه، فقد اشتروا من خلال التودد لإسرائيل والولايات المتحدة مهلة زمنية ليست طويلا، في الوقت الذي يسبون فيه أنفسهم قريبا جدا مضطرين لمواجهة المشاكل الاجتماعية والبيئية الحادة التي لنزاع التعامل معها وتجاهلوا وجودها لزمن طويل».

## رفض أوسلو

لعل أبرز محطات علاقة إدوارد سعيد بالقطبية الفلسطينية كانت رفضه المياض، الحاد والتامع لاتفاق أوسلو، وتوافق ذلك مع استقلته من عضوية المجلس الوطني الفلسطيني، ومتلما هو متوقع فإن رفضه لم ينطلق من اعتبارات التعصب القومي الذي عارضه دوما، بل من ولاءه عديدة أولها إدراكه بأن هذا الاتفاق، سيقبى التفتت بسبب عدم منطقية، وغرباب الاستحسان في نصوصه ومعانيه، مما أدى إلى تنازلات مبدئية مرعبة في الجانب الفلسطيني، حين تقدم «حركة تحرر وطني» لأول مرة في الضفة الغربية على التعهد بانجاراتها الصرخة وتقبل التهاون مع سلطة احتلال، قبل أن تجبر هذه السلطة على الاعتراف بعدم شرعية احتلالها للأراضي بالقوة العسكرية.



## لقد رأى إدوارد سعيد فلسطين في محيطها العالي ودون انفصال عنه. ودافع عن حقوق شعبنا من زاوية التمسك بحقوق وكرامة كل الشعوب، مثلما كان بعيدا عن كل أشكال التعصب وضيق الأفق

الشعبية الذي لا تحلم به، السلطة، وتعني فكرة الديمقراطية لديهم الاستقرار والأمان لدائه. وأخيرا، إنه يقدمون خدمات اجتماعية للعاطلين عن العمل وخدمات صحية لن لا يتمتع بآمنين والفقراء تعليميا علميا لائقا لتجديد جديد من الفلسطينيين الذين يجب أن يعلموا حقائق العالم الحديث وليس فقط القيمة المريدة للعالم القديم.



لقد جادل إدوارد سعيد كثيرا حول مستقبل القضية الفلسطينية، وساهم بجرأة في تحديد البديل الوحيد الصحيح في حال نجاح إسرائيل في تدمير إمكانية قيام دولة فلسطينية مستقلة بقطرية بقطرية لفترة الدولة ثنائية القطبية - دولة واحدة ديمقراطية يتساوى فيها الجميع. وإذا كان من الخطأ سياسيا التخلي الآن عن هدف الدولة الفلسطينية، فإن التمسك به خيار الدولة ثنائية القطبية كخيار بديل يتيح للشعب الفلسطيني هامشا واسعا للمبادرة ورفض القنوط الرامية إلى تزوير فكرة حكم ذاتي هزيل يلعب واستبدالها بفكرة حكم ذاتي هزيل يلعب والشافواؤن أو الفرطية تحت إشراف الاحتلال يقوم بدور الفاعل للشعب الفلسطيني في جيتوات ومغازل تكفى عنصر الحقوق الديموقراطية في مجابهة فرض الحقائق الجغرافية بالاستيطان.

ويصبح الخيار إما إنهاء الاحتلال وإزالة الاستيطان بالكامل وقيام دولة مستقلة كاملة السيادة بالكاملا أو دولة ثنائية القطبية ديمقراطية بالكاملا لا مكان فيها للتمييز العنصري والظلم الأبارتهايد. وفي العاليتين فإن الخيار واحد... التمسك بقيم الكرامة والحق والتعصيم على أيدي الحيرة.

لقد رأى إدوارد سعيد فلسطين في محيطها العالي ودون انفصال عنه، ودافع عن حقوق شعبنا من زاوية التمسك بحقوق وكرامة كل الشعوب، مثلما كان بعيدا عن كل أشكال التعصب وضيق الأفق. وحمل فلسطين إلى العالم كما حمل العالم ثقافته وفكره وحضارته إلى فلسطين وأكتسب مكانة قيادية زائدة فلسطينية وعربية وعالمية، في سبوة السلاح أو التحكم بالوارد المادية أو السلطة، بل بقوة الفكر، وقوة النضج الأخلاقي الذي منمنته استقامته والتوجه للناس وتمسكه دون حدود للمعرفة واكتشاف كل ما هو جديد.

ولن نغيب إدوارد سعيد، فالذين يغيبون هم الذين يمثلون الماضي حتى وهم أحياء، أما هو فيمثل المستقبل، وهو الذي تحمل به لنا ولأولادنا وأحفادنا ولوطننا المكتوى بالأم تبدو كأنها لا تنتهي. ■

وقد شارك سعيد مع الكثيرين من القياديين الفلسطينيين في شيقه من مستوى عدم الكفاءة والاستهتار والاستمولية التي راقت المحاضرات وتناجها، وتشر دون انقطاع من تعلق القيادة الفلسطينية بالمظاهر الشكلية - وخاصة مظاهر السلطة الزائفة - دون إيلاء الاهتمام للمضمون فتصبح الرموز بديلا للسيادة الحقيقية والألقاب الوزارية بديلا للصلاحيات الميدانية والتبعية الاقتصادية بديلا للخصائص المستقل، ويغدو نهج تجزئة القضايا وتأجيلها، العلاف الحكم، التبرير لتنازلات حتمية موجهة، اصطدمت بها السلطة الفلسطينية عندما حانت لحظة الحقيقة في كابد ديفيد.



ولو كان إدوارد سعيد معنا أشار هنا إلى البراجماتية المملئة التي تتحول إلى انهيارية خطيرة وشارة لخدمة المصالح الشخصية على حساب الصلحة العامة للشعب.

لقد قاد انتقاد أوسلو، كما يقودنا انتقاد سلوك «الزواجبة الخطاب السياسي للقيادة الفلسطينية، إدوارد سعيد إلى الاستنتاج الرئيسي بجمعية اعتماد الديمقراطية الداخلية بحكم لحسم الخلافات الداخلية، وإلغاء مستقبل الشعب الفلسطيني من الهوان وانعدام الكفاءة.

فقد رأى عن حق الترابط الوثيق بين عناصر الضعف الداخلي في انعدام بنياي المؤسسة وخياب مبدل المساءلة ومسيادة القلق والتشامكية أمام الشعب، وبين انعدام الديمقراطية الحرة والحرية كوسيلة للتعبير الإيجابي والقوية القوية على الصمود في وجه الاحتلال والاستيطان والتهويد.

## انتفاضة الاستقلال

لقد أمدت الانتفاضة الشعبية الثانية من أجل الاستقلال إدوارد سعيد بطاقة مليئة بالحماس والحيوية وهو يواجه صراعه مع مرضه بشجاعة لا توصف. ولعل لحسه الشديد لقيمة الوقت الثمين سواء بالنسبة لحياته الشخصية أو للمخاطر التي تعيشها القضية الفلسطينية والحاجة الملحة لعمل كل ما هو ممكن، هو ما جعله يكرس جل عمله وكتاباته لأدفعه للقضية الفلسطينية وقدم ما دفعه للمشاركة في الغلة بجرأة وإقدام معنا في الداخل في تأسيس المبادرة الوطنية الفلسطينية باعتبارها أداة تغيير وتطوير لبناء قوة شعبية تعبر عن حقوق وراي الأغلبية الصامتة المتطلعة للحرية الحقيقية والكرامة الوطنية وإسادة الفلسطينية الكاملة والديمقراطية.

وفي ذلك امتزج حرص سعيد المفرط على الوقوف إلى جانب الحق مع خبرته الطويلة في الكفاح ضد انعدام الكفاءة والتسلط والتخلف إلى جانب الإيمان الكامل بفكرة انتصار العدالة والتمسك بالديمقراطية وحقوق الإنسان، محالاً أن يكرس مقولته بأنه لا يكفي أن ندعو للحق، بل علينا أن نخرط أيضا في العمل من أجله.

وقد وصف في آخر كتاباته المبادرة الوطنية الفلسطينية بأنها المجموعة الواعدة التي تضم نشاطا ويعمل على مستوى القواعد ولا يتخضع نشاطهم الرئيس المعصر وراء مناضد أو التلاعب بأرصدة مصيرية، أو البحث عن صافيين كي ينتهبوا إليهم بل جاءوا من صفوف المثمنين وفئات الصالحين والمفقون والمهين والشباب والعلمين والأطباء والحامرين والعاملين الذين مكثوا المجتمع من الصمود في الوقت نفسه ضد الاستعدادات الإسرائيلية اليومية وثانيا هؤلاء أشخاص ملتزمون بذلك النوع من الديمقراطية والمشاركة

It's all about trust



Because every one who deals with us, discovers time and time again that we never let them down, we were able in two years to gain the trust of more than 5 million customers who rely on us for their mobile communications needs. OT has been expanding its customer base at an ever-increasing rate and enjoying market leadership in the countries of operations in the Middle East and Africa. Our mission is to provide the best quality service to our customers and we have always delivered that...

You too can put your trust in us!



The First Arab Communications Community

[www.orascomtelecom.com](http://www.orascomtelecom.com)

# التحالفات السرية

## تهدد باختراق العالم العربي

فهمي هويدي



إن أنظمة المنطقة تتمتع  
بدرجة عالية من الهشاشة، لا تسمح لها  
باحتمال أو مقاومة الضغوط الخارجية. لذلك  
فإن الوسيلة الناجحة لابتزازها، أو حتى تغييرها،  
تكون بعد جسور التفاهم أو التحالف مع عناصر  
المعارضة والأقليات ومنظمات المجتمع  
المدني في داخل كل دولة



■ حين دُعِيَ السيد حسين الخُمَينِي  
حفيد الإمام الخُمَينِي إلى واشنطن،  
والتقى هناك ببعض اعضاء  
الكونجرس، ورثب له لقاء مع علي رضا  
ابن الشاه المخلوع، فأغلب الظن أنه  
لم يكن يعرف من الذي رثب تلك  
اللفظتات. وأخرجها على ذلك النحو  
المثير. وبقيناً فإنه لم يكن يدري أن  
استخدام ابن «الرهبير»، القائد  
مافارسية، إلى صرين، الشيطان  
الأكبر، لكي يحطّب العيون من  
الأمريكيين، في مشهد اعتدائي لا  
تُبْلَوْتُ في أعقاب النجاح النسبي الذي  
حقّقته الولايات المتحدة بإسقاطها  
نظام طالبان في افغانستان، والنظام  
البعثي في العراق.

شباب مثل هذه الخلفيات منه ليس  
راجعاً فحسب إلى أنه اختار أن يشارك  
في لعبة يجهل قوانينها وأبعادها. ولا إلى  
أنه كثيراً ما يتفصل عن العالم المحيط  
به، بما يملك بالبعد عنه، يحكم إدماجه  
للمخدرات منذ اضطر للائتمان بالحوزة  
العلمية في «لهم، أمثالاً لفرجة جده، في  
حين أنه كان صاعاً من التعليم ومتطلماً  
إلى دور وموقع خارج الحوزة. إنما غابت  
عنه تلك الخلفيات لأنها ببساطة تنتهي  
إلى الجزء الخاص في السياسة  
الأمريكية الذي لا يكاد يراه أحد، وتقوم  
فيه شركات العلاقات العامة بالدور  
الرئيسي في الترتيب والإخراج، على نحو  
تفوّقت فيه على مخرجي أفلام الإثارة  
في السينما.

خلفيات زيارة السيد حسين الخُمَينِي  
إلى الولايات المتحدة، وسط أجواء  
الضغوط التي تمارسها واشنطن على  
طهران، هي ذاتها الخلفيات التي رثبت  
دعوة الجنرال ميشال عون إلى العاصمة  
الأمريكية للشهادة ضد سوريا أمام  
الكونجرس، في وقت كانت دمشق في هدفها  
للقصف السياسي الأمريكي، الذي مهد  
لموافقة الكونجرس على مشروع قانون  
محاسبة سوريا. ذلك أن إحدى شركات  
العلاقات العامة هي التي دعمت تشكيل  
ما سُمي باللجنة الأمريكية لتحرير  
لبنان، وتولّت تنسيق ظهور «الخبراء» في  
القنوات التلفزيونية وأمام الكونجرس  
للهجوم على سوريا وإيران. وسبينة الرأي  
العالم لصالح «تأنيب، البلدين.



من الصور التي ما زالت ماثلة في  
الأذهان رغم مضي اثني عشر عاماً على  
بئها، مشهد الجماهير الكويتية التي

احتشدت ورافعة الأعلام الأمريكية، أثناء  
دخول قوات التحالف الدولي، التي تولّت  
تحرير الكويت من الاحتلال العراقي  
تحت القيادة الأمريكية. ذلك أن أحداً لم  
يسأل آنذاك، من أين حصل هؤلاء على  
الأعلام الأمريكية، رغم أن الكويت ظلت  
تحت الاحتلال القاسي طيلة سبعة أشهر  
متصلة. والمفاجأة في إجابة السؤال أن  
هذه «اللقطه، كانت من ترتيب إحدى  
شركات العلاقات العامة، التي أُنشِط بها  
إخراج مشهد الدخول بحيث يبدو أن  
من تلك الصور أيضاً مشهد إسقاط  
نظام الرئيس صدام حسين بعد سقوطه  
بغداد وسط تهليل الجماهير، وهو المشهد  
المثير الذي احتل الصدارة في مختلف  
وسائل الإعلام لعدة أيام. وكانت صورته  
تجسيداً لحقيقة سقوط النظام البعثي،  
وقد تبين لاحقاً أن الأمر كله كان من  
ترتيب وإخراج إحدى شركات العلاقات  
العامة، التي استقدمت ١٢٢ شخصاً،  
معظمهم كانت قد ظهرت مسبوqهم ضمن  
حرس أحمد جاسر رئيس المؤتمر الوطني  
حينما قدم من الولايات المتحدة. وقد أدى  
هؤلاء دور «الكومبارس» في إخراج  
اللقطه.

سلط الضوء على مثل هذه  
الخلفيات كتاب جديد صدر في واشنطن  
في شهر سبتمبر الماضي، عنوانه «أسلحة»  
البداع الشامل، وموضوعه هو الدور  
الذي تقوم به شركات العلاقات العامة في  
خدمة أهداف السياسة الأمريكية  
ومخططات المخابرات المركزية، وهو من  
تأليف اثنين من الكتابات الليبراليين  
الساخرين هما: شلدون وأميتون وجون  
ستوير. وقد تتبع المؤلفان فيه طبيعة  
العقد التي أبرمتها الجهات المعنية في  
الحكومة الأمريكية، وزارة البداع  
والمخابرات المركزية بالدرجة الأولى، مع  
شركات العلاقات العامة، والتي انصبت  
على مهام معينة تحقق مآرب السياسة  
الأمريكية. وكان تنظيم المعارضة العراقية  
لحكم الرئيس صدام حسين ونظامه  
واحداً في تلك العقود التي وقّعتها  
المخابرات المركزية مع شركة «راندموم»،  
للعلاقات العامة. وقد بلغت قيمة العقد  
عشرة ملايين دولار، استخدمتها الشركة  
في تمويل عملية إنشاء المؤتمر الوطني،  
حيث يتباهى صاحب الشركة جون راندموم  
الآن بأنه هو الذي صاغ الاسم، وهو الذي  
اختار السيد أحمد جاسر (عضو مجلس  
الحكم الانتقالي الآن) لكي يكون رئيساً  
له. وقد تولّت الشركة عملية تدريب  
عناصر حزب المؤتمر الذين كانوا في  
مقدمة «المعارضين» العراقيين الذين  
عادوا على الطائرات الأمريكية بعد  
سقوط بغداد في التاسع من شهر أبريل  
الماضي.

شركة واندم والعلاقات العامة هي التي باعته قيادة، المؤتمر الوطني العراقي إلى الحوسب الإسرائيلي في واشنطن. وكان أحد اللوبي هو قناة الوصول بين أحمد جليبي والسفارة الإسرائيلية، وقد تحولت القناة إلى جسر أوصل الرجل إلى كل إبيبي، التي زارها مراراً عديدة، وإقامه في فنادقها تحت اسم مستعار، كما ذكرت صحفية (يديعوت أحروت) في عمده الصادر في ٢٠٠٣/٥/٢ هي التي كشفت عن أن العلاقة بين قيادة المؤتمر العراقي وبين إسرائيل بدأت في عام ١٩٩٠، حين رتب لقاء في لندن بين أحمد جليبي وبين أحد موظفي وزارة الدفاع الإسرائيلية قبل غزو العراق تولت شركة أخرى العلاقات العامة باسم بنالون، أخبرني هي السيدة الينا بنالون. عملية حشد الرأي العام لتأييد العملية العسكرية بالاتفاق مع وزارة الدفاع بطبيعة الحال. ولجأت إلى ذلك إلى توقيع عقود مع مجموعة من معاهد ومراكز البحوث حيث توزع هؤلاء على مختلف المنابر الصامتة. من مناسبات التليفزيون إلى الصحف ولجان الكونجرس لقيام بالدور المنوط بهم.

أما عملية الدعاية للحرب ضد الإرهاب، تقوم بها شركة شادوريسك، للعلاقات العامة، ومديرها صديق قريب من الرئيس بوش هو جاك ليسلي. وهي التي تتولى بث التقارير والنصائح عبر وسائل الإعلام الأمريكية والأوروبية والعربية التي تبلغ في حجم الإرهاب وتصوره خطراً يهدد البشرية، الأمر الذي يسوق مختلف الممارسات التي تقوم بها الولايات المتحدة باسم مكافحة تهديدات ذلك الخطر واستئصاله من أرجاء الكرة الأرضية.

الخلاصة التي يخرج بها المرء هي نهاية الكلام أن المرء ينبغي أن يتخلى عن البرادة في قراءة الكثير من الأخبار السياسية، خصوصاً تلك التي تأتي من الولايات المتحدة، لأن بعضها على الأقل أقرب إلى «الأفلام» التي قامت شركات العلاقات العامة بالصور الرئيسية في إخراجها، وتوفير عناصر الإثارة والإيهام فضلاً عن القبول بها من جانب الرأي العام.



في العالم السري الذي يتعدى فيه الجزء الغامض من السياسة الأمريكية تضغط اللجنة العسكرية المشتركة مع إسرائيل، التي أنشئت منذ عشرين عاماً،

وتعمل في صمت وبعمية عن الأنواء، حيث تقعد اجتماعات منتظمة منذ ذلك الحين، بالتبادل بين واشنطن وتل أبيب. وقد كان فقهاء تتنازع إسقاط نظام طابان أن إقتباساً وانتقام البعثة في العراق من بين الموضوعات التي حظيت بقسط وافر من الدراسة والمناقشة في اجتماعاتها ولم يكن الحوار حول تقييم النتائج هو الذي تعامل للجنة مع المخبين الأفغان والعراقيين بطبيعة الحال. لأن عملية تبادل المعلومات ظلت جارية على قدم وساق طوال الوقت، قبل العمليات والنهاية وبعدها. لكن عملية التقييم هي التي تهتمنا بقدر أكبر في السياق الذي نحن بمصدده. في الخلاصة التي انتهت إليها المناقشات تشكلت مآخها لفهم بعض الأحداث الجارية في المنطقة. ومنها تلك التغيرات الثميرة إلى واشنطن التي يقوم بها نشر من الممارسين السياسيين، ترتب من شركة العلاقات العامة التي تظهر في الواجهة، في حين تؤدي دورها على عقود موقعه من المخبرات المركزية في الأغلب.

لأن إسقاط نظام طابان تم بترتيب بين المخابرات المركزية وقيادة التحالف الشمالي، ولأن ما جرى في العراق سبقه ترتيب مماثل مع بعض فئات التحالف العراقية، ولأن واشنطن حققت مرادها في السودان من خلال ترتيب آخر مع جماعة جوع قريب وحزب البعث التي وصلت تحالفت معه، فإن هذه الخبرات أوصلت المتحاورين إلى النتيجة التالية، أن أنظمة المنطقة تتمتع بدرجة عالية من الهشاشة، لا تسمح لها باحتمال أو مقاومة الضغوط الخارجية، لذلك فإن الوسيلة الناجحة لابتزازها ولي أذرعها والتأثير في قراراتها السياسية، أو حتى تغييرها، تكون بمد جسور التفاهم أو التحالف مع عناصر المعارضة والأقليات ومنظمات المجتمع المدني في داخل كل دولة.

ما بلغت الانتباه في هذا الصدد أن هذا الغنى وبوضوح في تقرير للامراسل العسكرية لإذاعة الجيش الإسرائيلي (جاني الساهر)، جرى فيه في ١٦/٦ من العام الحالي، الذي قال إن فكرة إقامة التحالفات المذكورة جرى إحيائها بعد احتلال العراق، وأن الأجواء المؤاتية في الولايات المتحدة المتخللة في التفسير شيع الكامل بين الدوائر الإسرائيلية والحافظين لحدود، هيأت الفرصة لاندماجهم مع ممثلي تلك الفئات العنصرية الذين يقيم معصهم في داخل الولايات المتحدة.

في تقرير آخر به التليفزيون

الإسرائيلي في ٦/٦ حول استنتاجات ما بعد غزو العراق. أن الدوائر الأمنية والسياسية في إسرائيل أدركت أهمية تنشيط العلاقات مع الفئات المعارضة والنافذة للأوضاع في دول المنطقة، للضغط على حكوماتها، بهدف الإشارة في هذا الصدد إلى دول مثل مصر وسوريا ولبنان وإيران. وكان ذلك التنشيط من قبل التوصلات التي خلصت إليها تلك الدوائر. وتضمنت التوصيات أيضاً ضرورة العمل على توثيق العلاقات مع أنظمة حكم قائمة. خص التقرير بالتركز منها أستراليا وتركيا والهند.



إسرائيل لها مصلحة مباشرة في المضي قدماً في ذلك الاتجاه لأسباب مفهومة، لا ريباً جاز لنا أن نقول بأنها أكثر حساساً من المخططين الاستراتيجيين في الولايات المتحدة لد تلك الجسور وممارسة الضغوط لابتزاز حكومات المنطقة والتأثير على القرارات السياسية فيها. وليس خافياً أن هيمته الأصوليين المتطرفين ذوي الميول الصهيونية هي متابعي القرار في الولايات المتحدة وفرت فرصة ذهبية للتحالف الليكودي الحاكم في إسرائيل لتوسيع نطاق التفاهم والتسويق في أمور كثيرة، كان من بينها تنشيط الاتصال مع السطوة الإقليمية في الولايات المتحدة، إنشاء المنطقة، التي يمكن أن تمارس العمل والابتزاز المتشدد على حكوماتها (لا حول إلا الحديث يدور عن تنشيط العلاقات، وليس إقامة تلك العلاقات، لأن شمة دلائل عمدة تشير إلى أن العلاقات بين أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية مع تلك العناصر قائمة منذ زمن).

إنما إذا لمعنا ما يثبت ويتسرى في إسرائيل في هذا الصدد مسجداً أن رحيعاً رئيسي الوزير الإسرائيلي الذي قال في حديث بثته شبكة الأخبار الشائعية الإذاعية في منتصف شهر مايو عام ٢٠٠٠ أن أعضاء الكونجرس علوه على تنظيم لقاءات بين أطراف مرتبطة باليهمين الإسرائيلي وبين عناصر من الأقليات المصرية والمورقة والسورية في الولايات المتحدة. وقد تحدث رئيسي الذي كان قائداً للمنطقة الوسطى في الموضوع باعتباره صاحب خبرة سابقة في الاتصال مع جهات مختصة في العالم العربي الإسلامي، خصوصاً بعدما عين في عام ١٩٧٤ مستشاراً لشمون الاستخبارات لرئيس الوزراء الأسبق إسحاق رابين. وكان مسئولاً عن الاتصال بالجماعات الكردية في العراق، وقد نشرت جميع

الصحف صوراً له وهو يشر الأرض في شمال العراق، يصبحه بعض القادة الأكراد. كما أنه تطرق في حديثه إلى العلاقة الوثيقة بين إسرائيل والمتطرفين في جنوب السودان بقيادة جون فريك. في حديثه الذي نحن بمصدده قال رئيسي إن الدولة العربية لها مصلحة في توثيق علاقاتها مع عناصر الأقليات المصرية في المهجر والمورقة اللبنانيين، للضغط على مواقف الحكم في البلدين. أكثر من حديث الإذاعة كشف الصحفي الإسرائيلي أدي أري الذي كان مستشاراً إعلامياً لشابرون وقت أن كان وزيراً للدفاع. وبعد أمين سره الألب، عن جهود إسرائيلية حثيئة للاتصال بمعص الأقليات والمورقة في واشنطن حث منذ أن كان بيهامين شتاوه رئيساً للوزراء في عام ٩٦.

على صعيد آخر فقد رصدت تل أبيب ظاهرة تعود بعض أنظمة الحكم في المنطقة العربية لجماعات الصفص الصهيونية في الولايات المتحدة لكي تساعدها على تحسين علاقته بواشنطن. وقد طرح هذا الموضوع للنقاش في اجتماع اللجنة الخارجية ملان المقترحة عن البرلمان. ونقل التليفزيون الإسرائيلي في (٢٠٠٣/٥/٢٤) تصريحاً قام به وزير الخارجية سيطمان شالوم أمي الجبهة قال فيها، مثل هذه الاتصالات مهمة ومفيدة لإسرائيل. رئيسي أن تستثمر إلى أبعد حد. في وقت لاحق (٧/٢٤) بثت التليفزيون تصريحاً لوزير موري لاندو المسؤول عن الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية (كان وزيراً سابقاً للامن الداخلي) قال فيه، إن على إسرائيل ألا تردده في توثيق علاقاتها مع أي طرف عربي أو إسلامي يملكه أن يؤثر سلباً على تماسك الأنظمة المعادية لإسرائيل.



منذ أيام رئيس الوزراء الأول ديفيد بن جوريون طرأت تغييرات كثيرة على العقيدة الأمنية الاستراتيجية للدولة العربية، اختلفت باختلاف الظروف فضلاً عن ثباتي الخلفية الأيديولوجية للأنقلاب الحاكم. هي آخر حكومتين لحزب العمل كانت العقيدة الأمنية تقوم على جانب الاحتفاظ بأسباب التفوق النووي الإسرائيلي، بالذات في المجال غير التقليدي على تخفيف أعباء الأمن العربي، عبر عقد اتفاقيات تسوية على العالم العربي، من ثم كان التوجه قائماً على اندماج إسرائيل الاندماضي مع العالم عبر ما



والإسلامية استمر حتى في داخل الأرض المحتلة ذاتها.

ذلك أن حكومة شارون أقدمت على هدم مسجد كان قيد البناء في موقع وقف «شهاب الدين» في قلب مدينة الناصرة.

وتم ذلك رغم أن حكومتين إسرائيليتين سابقتين أقرتا بناء المسجد، إلا أن حكومة شارون صممت على هدمه، وفسر القرار بصورة لا تتفق مع الصراحة وزير السياحة الإسرائيلي الحاكم بين اليون، الذي قال:

ولم ذلك لأن سيطرة أجواء من الشك والتهور بين المسلمين والمسيحيين في داخل إسرائيل، وأضاف بوضوح أمام اجتماع للكنيسة النابتية لحزب الاتحاد الوطني الذي يعد أحد القطب في (٧/٨) علينا أن نقف إلى جانب المسيحيين لكي نكسبهم إلى صفنا بكل الطرق.

ما قامت به حكومة شارون ابدع ما يكون من المصفوية. ذلك أنه خلال العامين الماضيين، أعدت وحدة الأبحاث في جهاز الاستخبارات العسكرية المعروف (بامان) تقريراً مفاده أن على الدولة الحبرية أن تحاول التأثير على أي خلاف يمكن أن ينشأ بين المسيحيين والمسلمين داخل فلسطين ٨٨، من أجل استغلاله لصالح الدولة الحبرية.

الخطوة أبرزت أهمية محاولة التأثير على مضامين الهوية الجماعية والوطنية للمسيحيين الفلسطينيين داخل ٨٨، لكي يتم دفعهم لتضامن بما قام به جزء كبير من الدروز بحيث يتم سلهم من الأغلبية الفلسطينية، بحيث ينتمي بهم الأمر بتجنيد شبابهم إلى الجيش الإسرائيلي كما حدث مع الدروز (القناة الثانية في التلفزيون الإسرائيلي أشارت إلى أن التقرير وضع على طاولة شاورن بعد انتخابه لأول مرة رئيساً للوزراء في ٢٠٠١). بأن تقوم الحكومات الصهيونية بتبني أي موقف يمكن أن يكون لصالح المسيحيين على حساب المسلمين، لكن يجد المسيحيون في الدولة حليفاً يمكن الوثوق به والارتكان إليه.

والهدف من الخطوة واضح لكل ذي عينين: إضعاف وحدة الشعب الفلسطيني داخل الضفة الغربية وإيجاد قطاعات شعبية مستعدة للتعاون مع الدولة الحبرية، ومطمئنة إلى حمايتها لها. ■

الإشارة إلى العلاقات السرية الحميمة التي ربطت الأفكار بزعامة مصطفى البرزاني (والد مسعود البرزاني)، كان الهدف من توضيح العلاقة هو زعزعة الاستقرار في العراق. ووصلت الأمور إلى حد أن قام ليفي اشكول رئيس الوزراء الإسرائيلي في عام ١٩٦٧ بتنظيم لقاء بين البرزاني ومحرري الصحف، أثناء زيارته للدولة، كما أن عددًا غير قليل من قادة الجيش توجهوا إلى شمال العراق لتدريب الأكراد.

يعكوف غرودي ضابط الموساد الشهير وصاحب صحيفة (معاريف) تحدث كثيرا في كتابه «قصة حياتي، الذي صدر حديثاً، عن دوره في مد الجسور بين كل أيبي ونظام الشاه في إيران. وقال أن الهدف من ذلك لم يكن الحصول على النفط فحسب، وإنما كان للعلاقة هدف آخر هو تقوية نظام الشاه في مواجهة العراق ودول الخليج. وفي الصحافة الإسرائيلية كتابات عديدة تحدثت عن نماذج أخرى من العلاقات السرية التي أقامها العملاء الإسرائيليون مع شخصيات وجماعات في المنطقة الحبيطة. من هؤلاء سياسيون، الذين نصب رئيساً لأريتريا، ويشير إليه رجال الموساد عامة بوصفه «رجلنا في أثون الأفريقي». وقد اعتمد كثيرا على المساعدة شديدة، وبالمقابل فإن الإسرائيليون اعتبروه شوكة قسوة في ظهر السودان، وامتدحوه حين استولى على بعض الجزر اليمنية في البحر الأحمر، وهم دائمو الإطراء لولجته العادي للدموية والإسلام. من هؤلاء أيضا جون فرقة قائد التمرد الجنوبي بالسودان، الذي زار إسرائيل عدة مرات. وقد خصصت إسرائيل أمثال هؤلاء الضاحك منتصفاً سياحياً بالقرب من إيلات لاستضافتهم بين الحين والآخر، شهيداً لاستمرارهم في المستقبل.

اللعاب الإسرائيلي على التمايزات أو التناقضات في المجتمعات العربية

مشجعة، أثبتت أنه من المهم للغاية الاستجابة للضغوط الخارجية وتكتيفها. لأن ذلك يحقق للمجاهد بعض الأهداف المطلوبة. أوري سافايه، الرئيس الأسبق للشعبة السورية في المخابرات العسكرية الإسرائيلية، الذي يوصف بأنه أفضل متخصص في الشأن السوري، قال أنه فوجئ باستجابة دمشق السريعة لما طلبت الولايات المتحدة منها. ورغم أنه اعتبر تلك الاستجابة، علامة مشجعة، إلا أنه ومعه عدد غير قليل من المسترقين ورجال الاستخبارات حذروا من المسامحة في مساندة المنظمات الأهلية التي تتجهى الدعوة إلى الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان. ودعوا إلى الحد من استخدام ورقة تلك الجماعات في مواجهة الأنظمة العربية. لسبب جوهري هو أن الدولة الحبرية لها مصلحة أكيدة في الإبقاء على معظم الأنظمة الحالية.

إبراهيم هليفي، الرئيس السابق لجهاز الموساد، صرح مؤخرًا بأنه يجب على الولايات المتحدة أن تحذر في معارضة الضغوط على الأنظمة العربية. وحسب منطقته، فإنه يجب ألا تكون الضغوط بالحجم الذي يدفع الأنظمة العربية للعودة إلى أحضان شعوبها. ولا يتبرده هليفي في القول أنه لا مشكلة لديه في أن يصبح التنوير هو الأساس في انتقال السلطة في العالم العربي. وقد حذر زملاؤه المتمسكين بالتحالف مع المنظمات التي ترفع شعار حقوق الإنسان والديمقراطية شمدا عن أن تطبيع الديمقراطية بشكل حقيقي في العالم العربي يعني كارثة حقيقية للدولة السرية والغريب، نموها إلى أنه لا يكاد يرى إلى شك إلى حقيقة فوز التيارات الإسلامية في أي انتخابات حرة في العالم العربي.

في كتابه الشهير، حلف البريوس، تحدث الصحفي الإسرائيلي هليوسمو نكديمون، الذي عمل مستشاراً إعلامياً لرئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن كثيرا عن غايات العلاقات التي ربطت إسرائيل مع الكثير من الجماعات والأنظمة في المنطقة بغرض زعزعة الاستقرار في العالم العربي. وأفاض في

أصلق عليه شعور بيريز اسم الشرق أوسطية، بمنطلقاتها المعروفة

أختلف الأمر حين صعد بنيامين نتانياهو إلى سدة الحكم في عام ٩٦. حيث وجدها فرصة لتطويق ما كان ينادي به فولا وكثافة منذ عشر سنوات. فقد كان صمراً على رفض فكرة الشرق أوسطية وفي رأيه أن البديل الأمثل هو إقامة تحالفات إقليمية مبنية على المصالح، والتمودج الذي كان حاضراً في ذهنه هو أن يبدأ التحالف بين إسرائيل وكل من المملكة الأردنية وتركيا، بدعم من الولايات المتحدة. وصورة هذا كان قائماً في بعض جوانبه على نظرية «الحصار الحديدي» لرائد المدرسة الصهيونية الصهيونية ينيف جابونسكي (أبو اليكود)، وتقدير نتانياهو كان يأخذ في الحسبان وجود دول عربية إسلامية قوية، لكن الآن، وبعد احتلال العراق وهزيمة الكثير من الأنظمة للدفاع عن نفسها وثيرة ذهبتها أمام الهجمة الأمريكية، فإن العقيدة الأمنية الاستراتيجية الإسرائيلية حكومتها المراجعة والتغيير لا أدركت حكومة الائتلاف اليكودي الحاكم أنها أصبحت في موقف أفضل سياسياً واستراتيجياً يمكنهما من الضغط على الدول العربية والحصول منها على مكاسب إما بالجان أو بالقيل.

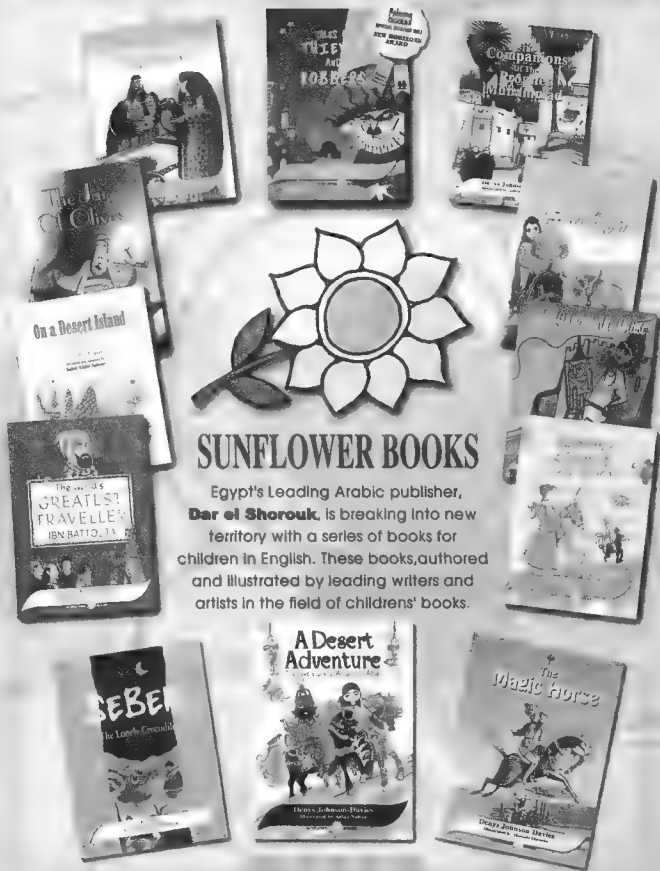
ثمن مكن. المنظم الرسمي العربي نمر من وبق، هكذا لخص رؤيته وزير الدفاع الإسرائيلي شاولي موزاس في أعقاب احتلال العراق. وفي رؤيته استطيع أن تعبر عن الخلاصة التي انتهت إليها مناقشات اللجنة الأمريكية الإسرائيلية التي سبقت الإشارة إليها.

قال موزاس كلامه هذا وهو يرى إصرار النظام في سوريا إلى تغيير الرئي الذي همس للطلاب. من الرئي الأزرق في مصر العسكري إلى الرئي العادي، فضلاً عن تغيير اللهجة السورية تجاه حركات الإسلام في فلسطين، وإدغامها على إشفاق مكاتبها في دمشق، وسحب القوات السورية من بعض المناطق في لبنان.

شيء من هذا القبيل حدث في دول عربية أخرى، التي أوقعت عدداً كبيراً من خطباء المساجد الذين اتهموا بالتطرف، وجرى ترتيب برنامج لإعادة تأهيل أكثر من ألف خطيب وادعية مثل هذه الاستجابات أثارت انبعاث الدوائر الحمية في إسرائيل، واعتبرتها المخابرات العسكرية مظاهر







## SUNFLOWER BOOKS

Egypt's Leading Arabic publisher,  
**Dar el Shorouk**, is breaking into new  
 territory with a series of books for  
 children in English. These books, authored  
 and illustrated by leading writers and  
 artists in the field of childrens' books.

"عباد الشمس" سلسلة جديدة يسعد دار الشروق أن تقدمها إلى قارئها الصغير. كتب باللغة الإنجليزية. تحكي من ثراث الأدب الإنساني. تزدهر بأشهر الكتاب والرسميين. سلسلة طبعت لكي نقتني.

## يحيى الرخاوى

■ الطائر الإنشائي الذي لحق بالإنسان الإنسان: هو أنه أصبح واعياً بذاته بشكل سمح له بأن يميز بين ما هو ذات، وما هو ذات، مع نزوع الوعى بالذات (بتميز عمل النصفين الكرويين أصبح الكائن البشرى يمارس حياته فارقاً بين ما هو ذات، وما هو ليس ذات، ثم ينقسم الـ «ماليس أنا» إلى «موضوع بشري» (تسميه الآخر، عادة)، ثم «الطبيعة» بامتداداتها التصعيدية المفتوحة.

هذه النقطة الرائعة هي في نفس الوقت محنة أصيلة. ذلك أنها قد هيأت لهذا الكائن الجديد مساحة غير مسبوقة من الحركة المتنوعة التي عرفت في طاهر السلوك باسم: «الحرية». من شرط فرجه بها، وأيضاً من شرط عماده عن حدودها وخطاها، راح يتقن بها تصويراً تعنيه حتى قدمها، وأدّ تقيمت أصبحت صنماً في ذاتها لذاتها. فحرم نفسه من حقيقة حركيتها، وتنويمات جذلتها.

الحرية الحقيقية المطلقة لا تتفق مع التديس، حتى تقيمت ذاتها، وإن كانت لا تنفي توليد مقدسات مرحلية لمسيرة الجدل، شريطة أن تكون قابلة للتطور مفتوحة النهاية.

هذا الوهم الجميل المسمى «الحرية» أوقع الإنسان في صد من المضاعفات، بقدر ما أعماه قدر متزايد من الفرص للتطور المستول، الخطير في آن.

بالغ إنسان العصر الحديث بوجه خاص في تقسيم معنى وقدرات هذه النقطة النوعية حين أصبح هو الكائن الحى الواعى الذى يستطيع، أو الذى يتصور أنه يستطيع، هو فاعل «يستطيع» بشكل ما. ليس هو الكائن الوحيد. في حدود ما نعرف. الذى أصبح قادراً أن يقرر لنفسه بنفسه مساراً وتوجهاً واختياراً، بحيث أصبح عاملاً فاعلاً في تحديد كثير من تفاصيل سلوكه، بما يمتد إلى مصير نوعه؟



تجلى الانخداع بهذه النقطة النوعية (اكتساب الوعى بالذات، في مواجهة ما ليس ذاتاً، واحتمال المشاركة في تقرير المصير/الحرية) في مجالات عدة وباليات متطورة قادرة. إلا أن تلك الآليات، على حدانتها، قد تبادت في غرورها حتى كانت تنحرف بمسار التطور إلى الهلاك. أهم تلك الآليات هو ما سمي «العقل»



# .. وسائط قاموسية

عن

## الاصرية

### والإبداع

### والقهر الداخلي

واصلح عنها الكتب التحلية إلى درعة  
مطريات التطور أننا (نحن البشر) نعتل  
الصورة الأرقى منها ما زالت باقية حولنا  
(تذكر أن الكبتير، والقرود، والنوربولا ما  
زالوا يعيشون معنا كأنها عمومة  
لكائن البشر هو الكائن الوحيد  
فيما نعرف، الذي يمكنه، أو يمكنه أن  
يمارس إبداعه ذاته، فيما يستدير إلى  
أكاديمية إبداعه لم تدعه، يفعل ذلك من  
خلال تلك القطة الموعبة التي اكتسبته  
الوعي والإرادة اللذين سمحا له  
مستعمل العقل ومستحانه ليمارس -  
فيما يمارس- ما اسماء الحرية -وقود  
الإبداع التشرى وشرطه من هذا المطلق  
تصبح مسألة الحرية وعلاقتها بالإبداع  
اشكالية تطويرية شتى غير مسبوقة عند  
الأحياء قبل الإنسان،

عرج  
أبو

ليس من أن الإنسان قد اكتسب  
الوعي والإرادة أن تطوره الذاتي، أو  
التنوع أصبح مستقلا عن البيات التطور  
الطبيعية التي افترقه، أن هاتين الميزتين  
تجعلان الإنسان - شخص - أكثر من  
المجسط والطرف - متمصا من في  
المسؤولية عن الطفرات الثانية أما تطورا  
وأما انقراضا.

الإبداع عند الإنسان تجاوز هذه  
الخطوة التطورية التي لا تملأ وجودها  
إلا بحدوث الطفرة فعلا. اكتشف الكائن  
البشري، بوعيه البصري المتشعب، أن  
كثيرا مما يحزن لتطوره، ويرسم خطى  
ارتقائه لا يمكن تحفيته بمجرد، لا يصل  
إلى وعيه مهما كان واضحا ومؤكدا، لا  
يكفي أن يلم الوعي البشري بما يجري،  
وما يريد، ثم يمكنه فيقرر الفصل  
والانحسار، أو يختارهما. تحقيق الطفرة  
القادمة لا يتناسب مع الرؤية مهما  
صفت أو الخرقته. من هنا ظهرت  
الوعبة الراتمة لقصوره لتسجل ناتج  
الإبداع أو تمكيد هذه الوظيفة التنبؤية  
من تسجيل الواقع، فبشر ما تمكن من  
الإبداع بالخاطر المكتمل

مرة أخرى، الإبداع البشري هو عملية  
تطورية أصلا، وما السانع الإبداعى إلا  
إعلان عن عجز مرحلي عن تحقيق بعض  
رؤى هذه العملية، بالذات، فكانما يقوم بها  
الناتج بالاحتفاظ بالحق التطور، كما  
سبله في الوقت المناسب.  
يدعو الحديث عن الحرية

على طائفة في مقهى استغللت الشرسه لسياسة وتلطفه اندلعه عن  
العمل (L. Rowling) فترات إخلاد ضائبا لثوم نكتت لجره، لأول من  
سلسلة كتبها المحلقة في عالم الخيال الرحب، هدى بومر و تى حضمت كل  
نفايس المروقة في عالم الكتاب والنشر، بعد أن وزعت أجزاءها الأربعة  
الأولى أكثر من 192 مليون نسخة، ثم جاء، لثوم، الخامس ليورج نيله بدوره  
وحلأه 24 ساعة فقط 6 ملايين من النسخ  
ثماد هذا الانتشار الكاسح غير المسبوق، وكاد بين الأطفال بالذات رغه  
أن الكتاب الصمغ (870 صفحة للجزء الأخير وحده) خال من صور أو رسو  
أو ألوس، مما اعتقدا أن بالآخرى اعتدنا أن نضعها بالهجة، وتفتقر أكثر  
جاذبية للأطفال؟ وهل يصل هذا، لانتشار، وهذا الخيال، طاهرة صحية  
أم لا؟

الأدعة متعددة الطبقات والأبعاد، وربما كان من مناسب لتأليف من  
البدء بمعلومة القضايا - الأساسية - ذات أصله تاريخي و تحرية - ولأداع  
في مقال فيه من الفلسفة والتحريرية - وعلم السيكولوجيا - بشره - وكثير  
يبحث، ويجري الرجاوى هذه الحوالب الأساسية، متحورا - خفية - من بين  
الطفل والبالغ، لتعصب ما بين الخيال لدى حر وفطري و بشرى - ضيقته  
وبين ذلك، الفهر الذي يرحم الكائن البشرى من هذا التراث، أحاضر للحركة  
والإبداع، والذي يبدأ عادة بتحجيم المساحة الرحبة، عن طريق تعليم كمي  
حشري، وسلطات متنوعة قائمة، ثم تستمر الرقابة الداخلية التي تكونت  
نتيجة هذا وداع في كبد في محاولة توسيع المساحة كم حلما، له سبحانه  
وتعالى، حتى تضيق إلى ما يعيق تشكيل أو تخليق أى جديد. تصبح الرقابة  
الداخلية، أحظر.

### الحر

عرج  
أبو

### إبداع الطبيعة.

### والإبداع الإنسان

الكائنات قبل البشر حققت إبداعها  
على مسار التطور مطفرات تتسلق بها  
من طور إلى آخر. واقع الأمر أن قوانين  
الطبيعة هي التي حققت هذا الإبداع  
الرائع وليس الكائنات. لم يصل الكائن  
الأرقى محل حل الكائنات التي طفر منها

(وهو ليس إلا جزءا حديثا من تاريخنا  
الرائع) حيث راج يختزل التاريخ الحيوى  
نكل زخم عطائه و فخر نجاحاته إلى ما  
يدخل في اختصاصه تحديدا (اختصاص  
العقل كما صنفوه). كما راج هذا العقل  
نفسه يحتزل الحرية الإنسانية (الحنين  
لفطري إلى العودة إلى رحم الكون  
الأعظم) إلى ما هو ديس. وأيضا كاد  
يختزل رخم الحرية وهيبا ركية الوعي  
وتضرياته إلى ما يسمى، بالديمقراطية.  
وهكذا أصبحت المعارف حكرا على ما  
يفكر العقل، كما أصبح تفسير الأدیان  
بالعقل بديلا عن حرية الإيمان إبداعا.

### .. ويسعد

هذه المصداقة التي طالت بدت لى  
ضرورية من حبنا المبدأ لعلمنا تذكرنا أننا  
لكي نعرف على مفهوم أعظم للحرية،  
علينا أن نفاخر بمراجعة ما يسمى  
بديمقراطية (بما هي ذلك تضريعاتها  
الفرعية، وتداخلها مع حقوق الإنسان،  
وخاصة حق التعبير). و أن نشته إلى  
البيات تزييف الوعي بما يقال له الإعلام  
(الختلط بالإعلان). وإلى استغلال  
التعليم (وبعض العلم). لتشكيل الوعي  
البشري بما ليس هو، وأخيرا وليس آخرا  
إلى ما أدى إليه، اختزل السلطة الدينية  
للحرية الإنسانية، وحبسها في تفسير  
جامد. لكن كل ذلك يحتاج تفصيل آخر.  
فتكتفى إلى هنا بما يخص الإبداع.

### الشمس عرض

العرض في هذا المداخل هو لتحديد  
وضع الحرية بما هي (لا بما شاع عنها،  
ولا بما اختزلت إليه)، في علاقتها  
بالإبداع على مستويين، العملية  
الإبداعية، والناتج الإبداعى.  
الحرية في الإبداع لا تبدأ كما  
يعتقدون بحرية التعبير، ولا تنتهى  
بحرية النشر والت نقد، صحيح أن كلا من  
حرية التعبير وحرية النشر هي إعلان  
جيد من حجم المساحة التي تتحول فيها  
حرية الإبداع لمجموعة من البشر في  
وقت بدائه في موقع بدائه، لكن لا ينبغي  
أن نقبل هذا الاختزال بشكل يعيننا في  
النهاية عن أساسيات أعين والنز وأخطر  
فيما يخص العملية الإبداعية ذاتها.

فيما يتعلق بالنتائج الإبداعية دون الاهتمام بالحديث عن الحرية فمما يتعلق بالعملية الإبداعية: دوماً من الاختلال والتسطيع، أو يؤدي إلى الانحلال نصفاً فرعياً، ليست ثانوية، عن الأساس والجوهر.

## شروط وقايعات العملية

### الإبداعية، ونتاجها،

الإبداع البشري كما نعرفه ونمارسه أصبح محنة الإنسان وشرف تستعنه بالوعي في أن وهو هي نفس الوقت اختبار لأحقية الإنسان في المشاركة في مسار تطور.

الشروط الواجب توافرها لحرية حركية العملية الإبداعية غير الشروط اللازمة لإمكان الإعلان عن نتائج العملية وتسويقها، لكن العلاقة بينهما وثيقة دالة حتى تتحقق العملية الإبداعية في رحاب الوعي والإرادة، تسميه شروط وفاعليات لا بد من تحققها بدرجة مناسبة، نورد أهمها كما يلي:

١. مساحة كافية لاستيعاب حركية الوعي

٢. تيسيط لأكثر من مستوى من الوعي مع

٣. القبول بدرجة من المخاطرة،

٤. حركية مناسبة ذات توجه جدلي ضام.

٥. قدرة على التساوب بين الكمون والبسط.

تختلف هذه الشروط والفاعليات عن تلك التي يجب توافرها لتحقيق حرية تبادل وتسويق والحفاظ على النتائج الإبداعية (والتي تكاد تستعمر الحديث عن الحرية والإبداع) يتحرك الناتج الإبداعية بحرية بشروط أخرى، وهاهنا مخطئة تكتمل بتحديد عناوينها (للتوضيح) فيما يلي،

١. أبجدية كافية وقادرة (قدر كاف من المفوضات، المعلومات، المعارف، الخبرات)

٢. محيط من السماح ممتد من العملية الإبداعية حتى إعلان نتائجها

٣. أداة (أو أدوات) للداة (التعبير/ التعميل/ الإخراج، الخ...)

٤. فرص مناسبة لاستعمال هذه الأدوات، وفرص لإعلان نتائج استعمالها

٥. إمكانية توصيلها لأصحابها، وإمكانية الحوار حولها لمراجعتها

(وخاصة بما يسمى النقد)، ضرورة التعبير، حتى المعصل، بين

حرية وحرية

أهمية هذا الفصل بين الحرية الضرورية لتحريك عملية الإبداع، والحرية اللازمة لتسويق نتاجه ليست أهمية نظرية، إن الاهتمام بالأخيرة دون الأولى (أو أكثر من الأولى) يمكن أن يتركز عليه مضاعفات كثيرة، حتى لو بدت كأنها انجازات بشكل أو بآخر نورد بعض هذه المضاعفات، كاملة، فيما يلي

١. لو أن حرية التعبير أصبحت كاملة (مائة مائة)، وهذا مستحيل حتى في أكثر الدول زعماً بإطلاق الحريات) مع قصور في توفير حرية العملية الإبداعية، فإن الاحتمال الأغلب هو الحصول على قدر هائل من الأضواء والكتابات من أقصى أطراف الاستقطاب دون إضافة حقيقية تدل على معنى الحرية التي تخمد الإبداع، وترسم الطريق إلى الآتي..

قد تتناسب حرية التسويق والسماح بإعلان نتائج الإبداع تناسباً معكسياً مع عمق حركية (حرية) عملية الإبداع ذاتها، ذلك أن عدد الأخيرة تنعم أكثر فائتر وهي تحاول اختراق الحواجز الخارجية (بعد، ومع الحواجز الداخلية) بشكل أو بآخر، فإن لم توجد تلك الحواجز والحظوظ، فقد تنساب خيالات كثيرة وتنتقل شطحات طافية، تثبت أغلبها أنها كذائب، الإبداع، وليست أبداعاً

٢. على الرغم من احتمال السماح غير المحدود بحرية التعبير (والنشر) أحياناً (من الناحية الرسمية، أو القانونية، أو الحقوق العلنية) إلا أن ذلك لا يمنع من قيام مؤسسات أخرى بتثوية هذه المساحة من الحرية، أو توجيهها الوجهة التي تريدها دون إدراك كامل من جانب المدع بحميته من مخبة ذلك، بل

جانب المدع بحميته من مخبة ذلك، بل



إنه في كثير من الأحيان تصوم هذه المؤسسات باختلال قضائيا وانفصاً أو فرعية، تقري البديع بوجهها، وهو يتصور أنه يصارع من أجل حرية، في حين أنه لا يخدم إلا تقويها، وتربيعها. (تذكر مثلاً سماح السينما الأمريكية بنسج حرب فيتنام لتعريض طاقة معارضها، تستمر الحرب أطول)

٣. من ذلك أيضاً (وبرغم أنه يندرج تحت التحذير السالف الذكر) إلا أنه جناح فكرة مستقلة) ما يجري قصداً أو مصادفة من تصنيغ غرائز مألوفة لحرية مسابقة لما يظن عند القطيع البشري في وقت بذاته، ما يجري قصداً تقديسها تلمسيماً، حتى أن هذه الغرائز المألوفة للحرية قد تحمل أسماء تفرى بأنها تنمى إلى حد حرية وتحرر (مثل منظومة العقل، ومنظومة العلم، ومنظومة الديمقراطية، ومنظومة احتكار تفسير الدين، ومنظومة الطب التقليدي، في حدود الضالغ عن كل،

إن الاقتصاد على الحديث عن حرية تسويق أو إعلان النتائج الإبداعية، ويأتالي قصر مفهوم الرقابة على المؤسسات الرسمية والسلطوية الخارجية هو اختزال لقضية الحرية وعلاقتها بالإبداع.

### الرقابة الداخلية أخطر

توجد رقابة داخلنا، هي الأخطر والأهم، وهي تقوم بتثوية حركية العملية الإبداعية بشكل دائم وخطر، وهذا هو ما يهمنى توضيحه تحديداً في هذه المداخل من خلال النظر ببعض التفصيل للفاعليات والشروط الواجب توافرها لعملية الإبداع، ثم الإشارة إلى ما يحصل دون توافرها، مما اخترت صمته بـ (الرقابة الداخلية،

حتى نتعرف بالقدر المتاح على ما هو حركية داخلية، سوف نحاول تناول شروط رقابة (حرية) العملية الإبداعية الواحد تلو الآخر.

### أولاً، مساحة كافية

#### لاستيعاب حركية الوعي

الحديث عن المساحة التي يتحرك في رحابها الوعي البشري، غير الحديث عن معنى الوعي أو حركيته، برغم التدخل الضروري، مجرد كمر لفت، مصاحبة، في هذا المقام يحتاج وقفاً، المساحة ليست سعة مكان بقدر ما هي عدد من الوحدات (المشتبكة والجزيئية) مصروبة في عدد من احتمالات

التربيطات. (تصل إلى البلايين في حالة الإنسان، إذا اكتفينا بمشتبك دماغه فحسب).

يولد الخيال (البشري) وهو يحمل تاريخاً من خبرات كل الأحياء التي أفرزته، كما أنه يحمل تركيباً معرفياً تشريحياً ووظيفياً شديد الكفاءة والكفاءة (في الدماغ خاصة، دون استبعاد سائر الجسد). يمثل هذا وذاك أعظم وأضخم ما عرف من تركيبات بيولوجية مشتبكة وجزيئية، تتصاعف مساحتها مع تضاعف احتمالات أنواع تشابكها، وحتماعات فيما بينها.



إن الطبيعة بفضل الحق سبحانه وتعالى لم تبخل على الكائن البشري منه ولادته بهذه المساحة البيولوجية المعرفية المتراصة الرحبة.

خيال الأطفال الجحر هو خير دليل على مدى اتساع هذه المساحة البدئية، لكن هذا الخيال الحر ليس مرادفاً للإبداع بحال، بل إن استمراره في النوع من الخيال بطلاقة غير محدودة في كل هذه المساحة يعتبر ضد الإبداع، بل ضد النضج، والتسليم، والتحصين، والتفكير، الحل لمشاكل، الخطأ.

لطروف تنظيمية مبرمجة، تضفراً، مع ظروف خارجية متاحة، يتحدد الجزء من هذه المساحة المسموح فيه بالحركة بالعرض من التحرك في لحظة ذاتها.

إن التثنية الأساسية هي التي تسمح (أو تمنع) أن يحافظ الطفل (فالتناصح) على أكبر قدر من هذه المساحة، وفي نفس الوقت هي التي يمكن أن تحمي من التثنية فيها إلى غير رجعة.

الخيال الطليق (الطفلي، والجوئى أيضاً) يتميز برحابة مثل هذه المساحة حتى الإغراق، ما لم يتم التنظيم المناسب

هذا النوع من اتساع المساحة ليس إبداعاً في ذاته، ولا هو ضروري هكذا للإبداع، بل لعله ضد الإبداع في نهاية النهاية، مع أن رحابة المساحة هي شرط إطلاق رخابية العملية الإبداعية.

يتوقف الحفاظ على المساحة المناسبة لتحقيق أي غرض حياتي بما في ذلك الإبداع، على نوع التربية (والتعليم)، وكذلك على مدى حرية المرء (المعلم)، وليس فقط موسوعيته أو مهارته أو حتى عواطفه، إن ما نسميه هنا حرية المرء هو نوع وجود قادر سمع صامر، في آن، هي أقرب



الرقيب هما الخطر وأكثر نجوما  
هذه تكون رقيباً حاراً قديماً معينا  
في -حلبنا- من الأولاد هما هو حساب  
وزرائه.  
وقد يكون رقيباً لحق بما منه ندابة  
التشبه، وهو يصمك يهده لعجم القديم  
الثابت لتحديد المسحوق من المنوع،  
وقد يكون رقيباً من واقع سلطته  
دنيته، ورؤيته لدين في ذاته) سلطة  
تُمادى في التفسير والتجسيم والوصاية  
لما يعوق لا بما يحلق  
وقد يكون رقيباً معساة حلما نص  
وليس سحق في الحارح - من قبل  
أيدولوجية شاعرت وشادت، حتى أصبحت  
من المسلمات باعتبارها النهاية القصوى  
مثل الماركسية حول منتصف القرن  
لعشرين والامركة ديمقراطية  
موصى عليها حالا

وقد يكون رقيباً مؤملاً من كل ذلك،  
الحقيقية في شأن كل هؤلاء الرقباء  
هي أننا نحن الذي نعنيهم في الداخل.  
بل إننا كثيرا ما نحصل بمراسم نسلهم  
صليجان الرقابة، المستعمل الأخرى هي  
الإناء. لذلك ولغير ذلك، لا نحاول مقاومة  
هؤلاء الرقباء أو مواجهتهم، نهجنا في  
مواجهتهم، أو تجنبهم، هو الذهاب إلى  
طلمرة إبداعية غير مأمونة العواقب  
الرقابة في هذا المستوى الداخلي  
أشد وأخطر  
بل إن رقابية قد تسعين من قبيل  
المظومة التي تسمى «الحرية». حين  
تصعب قيمة مقدسة، لا حركية جديفة  
بمترض مثلا أن مبدعا خطر له إنشاء  
طلاقة إبداعه أن يقتر بمشروعية بعض  
الحواجز المدخلة في كل أكبر لا يعرفه،  
يبدو مثل هذا المبدع أنه قد تجاوز  
تدريس الحرية - فلا يستطيع أن يضمن  
إلى رقيب من داخله يضمنه في القمادي  
في هذا السبيل خوفا من الحكم عليه  
بالمظومة في حق الإله المسمى «الحرية».  
هذا يصعب الحرية المحي من قبل الحرية  
هو نفسه الحائل دون ممارسة حقيقة  
وحركة الحرية - بما يترتب عليه فساد  
صانه العنيفة الإبداعية

ربعا، حركية مناسبة  
ذات توجه جديلي

بعد الطمأنينة إلى الساحة، والسماح  
بالتنشيط استبوابات الوعي بها، والاخت  
لناحارة مكل إبداعها، لا يكون الإبداع  
إبداعا إلا أن تصعب حركية نشطة، لا  
تلتزم بالإبداع بذاته، اللهم إلا المنيرة حتى  
نماد التوجه - وليس لتحقيق هدف محدد  
(مبقا)

إن مجرد الحركة قد تمثل رعبا يفسر  
بما جاء من المخاطرة في العقدة السابقة  
يكون الأمر أكثر صدقا وأخطر إزعاجيا  
حين تكون الحركة طليقة نسبيا (لا  
كلها)  
لا إبداع بدون حركة. ولكن ليست كل  
حركة إبداعا. ثمة حركة في المحل، وثمة  
حركة مستتة، وثمة حركة زائفة، وثمة  
حركة طاهرية فحسب.  
الحركة التي تجعل التنشيط هي  
المساحة - معا، إبداعا هي حركة ضامة  
حدسها أنها حركة تحوي الأعداد دون  
السجوة وتلطم الشئونات دون محاولة  
الرجوع إلى التقليل القديم معانا  
أكثر أمنا. فربما الحركة قد يكون - في  
نهاية النهاية - ضد الإبداع، وضبط  
السرعة ليس عملية سهلة، أو جاهزة، أو  
مكنة طول الوقت.

الرقيب على هذا المستوى هو رقيب  
من الرقيب الختص بالتحذير من  
المخاطرة (المقرة السابقة)، ذلك أنه عادة  
ما يداع في مخاطر الحركة (سواء من  
الإفراط فيها، أو من النقص عن ضبط  
توجيهاتها). هذا الرقيب يحد من حركية  
الإبداع مفرقا بمواعد - نهدي اللعب، كما  
يتولون. (المقصود هنا بالإلزام هو الإلزام  
الداخلي المسمى في العادة «الالتزام».)  
إذا كنا نلتزم ضرورة ضبط جرعة  
الحركة خصوصا في مرحلة الانطلاق  
العملية الإبداعية إلى الناتج الإبداعي،  
إلى مثل هذا الضبط أو الالتزام يصعب  
رقبنا خطيرا في المرحلة السابقة - لو أنه  
تدخل أكثر مما ينبغي في نشاط العملية  
الإبداعية الأولية  
إن كثيرا من الثقلات الجذرية من  
مرحلة إلى مرحلة من مراحل وأطوار



البسط، باعتبار أن الثابت الحثي آمن  
وأصمن.

## تجليات العملية الإبداعية:

إن فصل العملية الإبداعية عن  
ناتجها المعلن، في شكل معروف من  
التشكيل المحكي أو المسموع أو المرئي، له  
فضل التصرف على الطبيعة البشرية  
في جوهرها المبدع بذاته، إنه يؤكد  
موقفا أساسيا لصاحب هذه المداخل من  
حيث أن

كل إنسان هو مبدع بما هو إنسان،  
حتى لو لم ينتج لناحما يسمى إبداعا  
أصلا

العملية الإبداعية، بعد فصلها عن  
الناتج الإبداعي الشائع، تحتاج إلى مزيد  
من التصرف في تجلياتها الأخرى. إن هذا  
قد يساعد على قبول هذا الفصل بينها  
وبين ناتجها الشائع، بما ينتج لنا قبول  
الفرقة الطبيعية ما يسمى الحرية كما  
وردت في هذه المداخل.  
عدونا نعرف أكثر على بعض نتائج  
العملية الإبداعية بعيدا عما يسمى  
الناتج الإبداعي المسجل تشكيلا. إن  
الإبداع يكون إبداعا حتى لو لم تصعب  
إنجازات محددة معينة، جسيمة أو  
مضاعف، صحيح أنه قد يكون إبداعا  
منقوصا أو قصير العمر (مثل إبداعات  
الأطفال) لكنه ينصف بأغلب  
مقومات الإبداع.

إن مسار النمو الذاتي ليس إلا إعادة  
تشكيل المدة الجينية بما أتبع لها من  
مناخات تربوية سلوكية تسمح لهذا  
التشكيل المتجدد طول الوقت مع ما  
يصحها من معلومات وخبرات من  
حارجها (المحي).



لا تحتاج عملية الإبداع، حتى نتعرف  
بها - إلى أن تحقق أدوات محددة للتعبير  
عنها. قد تكون أدوات التعبير ليست كافية  
إتاحة الفرصة للتعبير الإبداعية  
المناسبة لكن عطل الإبداع إبداعا،  
إن حقق استعمال الأداة قد يسمح

بتتمية مهارة - لكن المهارة، في ذاتها  
هنا بلغ إيمان ذاتها، ليست مرافقة  
للإبداع، إنك حين لا تمتلك الأداة قد  
تستطيع أن تبذل بدوها ولكن ذلك غير  
إلى يسمى الإبداع، يقوم هذا الرقيب  
والتنقيب الأكل بشكل آخر، في حين أنك  
لا تلعب الموسيقى أو تكتب الشعر أو  
العبد الثامن والخمسون، نوفمبر ٢٠٠٢م

أنواع الإبداع المختلفة. تحدث ما يشبه  
الصدمة نتيجة لتجاوز حركتها، السرعة  
المقترعة، مثلا: النقطة من الشعر  
العمودي إلى شعر العملية، ومن شعر  
التمصيلة إلى قصيدة النثر، وهكذا،  
الرقيب الداخلي هنا هو بمثابة كاميرا  
الادوات التي تحترق قاذبي السيارات على  
الطرق السريعة بأن، السرعة مراقبة  
بالرادار، أحيانا يصل الأمر إلى أن  
تنقلب الرقابة على الحركة إلى نوع من  
الصوت الأخرى الذي لا يتعبير وكان  
الجدي الرقيب قد أضافه ثم نسيه

## خاصة القدرة على التناوب

## بين الكمون والبسط

العملية الإبداعية ليست محدودة  
بوقت بذاته، إن لم تتم فيه الغيت  
لتأخرها من الموعد مثلا.  
قد يخصص الناتج الإبداعى لاحتمال  
تحديد زمن بنائه لإجبار ما اتفق عليه  
في عقد ما، أو التزام ما، أما العملية  
الإبداعية نفسها هي مظلة مترواحة  
في الظهور والاختفاء، بين الكمون  
والإعلان

لكي تكون العملية التي نعنيها هنا  
متوافقة فعلا للعملية الإبداعية دون ربط  
مباشر بما هو إحاز إبداعى محدد، علينا  
أن نحترم الكمون بقدر ما نحترم الظهور،  
كما أنه علينا ألا نطعن طويلا إلى كون  
طال، حتى لا يتقلب إلى نشاط توقيف  
التراوح بين الكمون والنشاط كصفة  
لازمة لحركية الإبداع ينتمي إلى فرض  
يربط بين الإيضاح الحيوي ونفس  
الإبداع.

الكمون جزء لا يتجزأ من تخليق  
الإبداع إذ يسمح بقدر من حرية التخصر  
والتوليد الداخلي، ملما يهين للبسط  
في طور آخر، لكي يتحقق إبداع لا يمكن  
تمصلي طور عن طور - حيث يكتمل  
احدهما الآخر، إن من لا يعطي لحركية  
العملية الإبداعية حقها في الكمون إبداعا  
يفسر عليها قهرا في بنسبها أو  
يسمحها بشكل أو بآخر، كذلك إذا  
اقتصرت العملية الإبداعية على مرحلة  
الكمون في إبداع يتباطأ حتى يصمت،  
أو على أحسن الفروض إبداع مؤجل إلى  
أجل غير مسمى.

الرقيب هنا هو ذلك المفهوم  
الشمسلي الذي قد يتربط على لشئونة  
تغلى من قيمته، «التربيط الخلطى»  
والربط على المبدأ، يقوم هذا الرقيب  
بالتخويف من التغيير الذي يصاحب  
السماح بالوعي بنويات إيقاع الكمون /



على قلوبنا حمرات الحسرة وحسرات الضربة

59

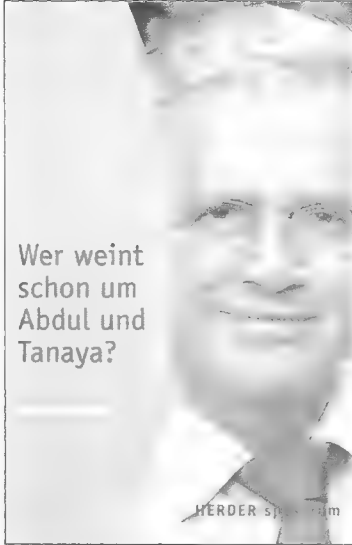
# لماذا تظلم أمريكا

الواقع) انتهك حقوق الإنسان ولا ين القانون يجب أن يكون فوق القوة ويتم جنس مع تودنوفر على أن العلاقات بين الدول القوية الفنية والدول الصغيرة الضعيفة يجب أن تبني على حكم القانون والعدل وليس على أساس القوة والإكراه لأن الاستجابة لإغراء القوة هو في نفس الوقت خيانة لمبادئ العرب ويفيد روح الانتقام والكراهية بما يهدد أجيال العرب المستقبلية



والذي يجعل قراءة هذا الكتاب سلسة وحججه مقنعة أن الكاتب لا يكتفى بعرض جاف لوجهة نظره أو بهجوم خطائي وعاطفي على سياسة صقور واشنطن، بل إنه يمزج هذا كله بعرض شيق لرحلاته الميدانية إلى أفغانستان والعراق وحواراته ولقاءاته مع المواطنين العاديين، ومع المقاتلين والعائلات والأطفال ومع هيئات الإغاثة والممولة في هذين البلدين المكتوبين، ومع معارضة الشديدة للسياسة الأمريكية فإن لكاتب لا يترك مناسبة لإبعاد شبهة العداة لأمريكا عن نفسه، إنه محب لأمريكا ومؤسساتها ومبادئها، مقدر لفضلها على بلده بعد كارثة الحرب العالمية الثانية، ويبدو تودنوفر كتابه يسرد تحريته

الشخصية مع ١١ سبتمبر ٢٠٠١. ففي هذا اليوم كانت ابنته فاييري (١٩ سنة) تحضر حفلا موسيقيا في نيويورك، للتأكد من سلامة ابنته قضى الكاتب وزوجته لحظات قلق وخوف مثل كل المحاولات الأمريكية في هذا، ومع مشاركة لمشاعر الأمريكيين وتضامنه معهم في محتهم فقد أدرك الكاتب فوراً أن خطراً جسيماً يحيق بالعالم العربي والإسلامي نتيجة موجة الغضب والكراهية والرغبة في الانتقام التي اجتاحت العالم الغربي، فبين يوم وليلة أصبح الإسلام رمزا للتعصب الديني والعنف والإرهاب والحضارة المصادة للغرب وأصبح عدواً مثالياً يحمل كل الصفات التي تؤده لأن يكون مصب جام الغضب والعداء الغربي، وبالتالي توجس الكاتب شراً لما يبيته الأمريكيون لأفغانمسلان بسبب إيواء نظام حكم الطالبان لحركة القاعدة، إنه بطبيعة الحال لا يدافع عن الإرهاب ومن يؤويه ولكنه يخشى إذا ضريت أمريكا بخير



هناك قطاعات كبيرة من الرأي العام الأوروبي بالذات تحترم أدمية الإنسان العربي والمسلم ولا تشارك في الأحكام الجماعية الظالمة له والمستهينة بقدره الكتاب الذي قدم له السياسي الألماني البارز هانز ديترش جنشر وزير خارجية ألمانيا الكبير في عهد كول والمعروف بمهتمه الوحدة الألمانية، وأهم ما يميز الكتاب في نظر جنشر أنه يوضح الاعتبارات الأخلاقية والإنسانية في موضوع الصداقة عند معالجة المشاكل الدولية. ويبدو تودنوفر أن يسري المبدأ المستوي الألماني أن كرامة الإنسان لا يجوز أن تنتهك، على العلاقات الدولية أيضاً، وهو ينتقد أمريكا مع صداقته لها لأن الحرب الوقائية (الهجومية في

صدوره في مطلع هذا العام مكانة مرموقة في قائمة أكثر الكتب المبيعة وتلقى الكاتب سيلاً من البريد يعبر مسلوحة عن تأييدهم لرسالته وتعاظمهم مع ضحايا العالم العربي والإسلامي، وقد تبرع المؤلف بتودنوفر بدخل كتابه لبناء دار للأطفال الألمانية في كابول ومركز لتأهيل المهني للأطفال الشوارع في بغداد، وحذا بعض الفنانين والمطربين حذو المؤلف وتبرعوا بالألحان للأطفال أفغانستان والعراق وتعلم أطفال المدارس ورجال الدين ندوات ولقاءات لترويج الكتاب ورسالته الإنسانية، أن الاستجابة الشعبية الكبيرة للكتاب تعمد نظرية تأمر الغرب مجتمعاً على كل ما هو عربي وإسلامي وتؤكد أن

■ هذا الكتاب لنسج على جراح كل العرب والمسلمين الذين يجدون أنفسهم منذ أحداث ١١ سبتمبر، التي سببتها قلة إرهابية، هدفها سياسة أمريكية عسكرية خرقاء تصرب ملا هوادة وتهاجم بدون تمييز وتستعين بأرواح الغزل الذين لا ديب لهم حتى من الأضواء من عبد القاهر، الأهماني، وتنايا، العراقية ضحايا الحرب الأمريكية على الإرهاب إلى النظر إلى الحملة التوعوية التي يشنها الغرب، بقيادة الولايات المتحدة، منذ هذا التاريخ المشؤم، قد يجعل البعض يتصور أن الغرب في كرهه واحتقاره للحضارة العربية والإسلامية وفي معائه شعوب هذه المنطقة يتكلم بصوت واحد ويصعب جام غضبه، ليس فقط على مظاهر التطرف الإسلامي والتدهور أو القصور السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية والإسلامية فحسب، بل يشن حملة تعصبية عنصرية لتسحل كل ما هو عربي ومسلم ولا تعرف في غضبها رحمة حتى مع المدنيين العزل والأطفال الأبرياء، لكن الكتاب يمثل صرخة إنسانية تستنكر الاستهانة بدمية حياة الإنسان العربي والمسلم وتسلط الضوء على الصبر المناوئ للمواطنين والأطفال العرب والمسلمين الذين يرمزون لهم عبد القاهر وتنايا أبطال عنوان الكتاب ومؤلف الكتاب يحمل دكتوراه في القانون وكان قاضياً وعضواً لعدة خمس دورات في البرلمان الألماني عن الحزب الديمقراطي المسيحي، وهو حالياً مدير د ر نشر بوردة المعرفة أن صدور مثل هذا الصوت من ألمانيا - وهي بدورها من اقطب العالم العربي، له دلالة،

إلى احتجاجة على سياسة القوة والبطش وعدم الأكرات حماية المدنيين والأطفال العزل تشن أن الغرب لا يواظب مضاع واحد تستمد الملازم معن في الكره والاحتقار، والأهم من ذلك أن الرجل ليس صوتاً وحيداً ينادي بالصراخ، والدليل على ذلك هو رد بعض الشبان الكبير على الكتاب ورسالته الإنسانية، ويحتل الكتاب منذ

Wer Weint Schon Um Abdul und Tanaya?  
(من يبكي حقاً على عيدين وثنايا)  
Jürgen Todenhofer  
Freiburg Herder, 2003, € 9,90



# العرب والاسلام؟

## ميريدى النحس

يترو الجميع يتسائل سؤال لا يسهل حتى على اصدقاء امريكا الإجابة عليه وهو هل يمكن تجاه الديمقراطية وحكم القانون على أساس حرب غير قانونية؟

وهل توسع العرب، بربر قبيح في قلوب المسلمين عن طريق إلقاء القنابل؟ إن الإجابة عن هذه التساؤلات في نظري حاسمة بالنسبة للإمكانية الحكم على حرب العراق الثانية وثانيتها وتعاملاتها ان كتاب تودنهورف هو في النهاية إداة أخلاقية وإنسانية لنحرب ودعوة إلى احترام حياة وحقوق العرب والمسلمين وحقوقهم في تقرير مصيرهم بأنفسهم ويمكن اعتبار هذا الكتاب جزءا من تيار فكري كبير في أوروبا يرى في معارضة

الحرب تغيير أوروبا عن شخصيتها الأخلاقية والاعتوية المتسلطة عن الولايات المتحدة الأمريكية والمحدث الأول باسم هذا التيار هو الفيلسوف الألماني الكبير يورجن هابرماس الذي أعلن أن سلطة أمريكا الجنسية في الحبيب والخصيص واعتبر الطائرات المشاهدة للحرب، التي اجتاحت المدن الأوروبية لحظة ميلاد أوروبا الموحدة، أوروبا المتكسبة بالشرعية والتعددية واحترام حقوق الإنسان، وبالتالي حقوق المصدا، وقد أشار هابرماس عصف مارال معارضه وتردد بين الكتاب والفكرين بين مؤيد ومعارض عندما دعا لأن تتحول أوروبا الموحدة إلى قطب دولي قادر وحده أو بالتحالف مع أقطاب أخرى، مثل روسيا والصين على موازنة الولايات المتحدة ولجم شططها وجنوحها إلى العمل المنفرد وإلى الإسراف في العنف.

إن القسم الأعظم من مفكرى أوروبا وسياسيين وأفراد المدفعية يميل إلى أن يرى هابرماس، وتودنهورف بطبيعة الحال الغالب بأن فرض الديمقراطية بالإكراه يتناقض روح الديمقراطية نفسها في أن إضاعة الإبداع والتسامح والمساواة. والعصوة في أمريكا مختلفة، وربما كان كشف هذا الاختلاف، الذي لا ينبغي فهمه على أنه قطعية، هو أهم نتائج حرب العراق الثانية على الصعيد العالمي. أما النتيجة التي يخطأها تودنهورف فهي أن إضاعة العرب مرة أخرى ودعك أنصهم في التراب ستؤدى إلى تدمير متنازع العرب المسلمين ضد الجحجح الذي توجع نار الإهراق ويخشى تودنهورف أن تحول سياسة العنصر الخليفة التي تتبعها أمريكا الشرق الحادي والعشرين إلى قرن للإرهاب

مليون من الباليين ونصف مليون طفل تحت سن خمس سنوات



ومس الآثار الوخيمة لتدمير البنية الاقتصادية والأسرية للعراق استمرار أطفال الشوارع هؤلاء أطفال فقدا ذريتهم أو دمر العقير والمرضى حياتهم الأسرية فأصبحو هالمين على وجوههم في شوارع بغداد وغيرها من المدن. وأحد أطمال الشوارع أولئك هي ثانيا التي تشارك عبد القادر الأفغانى مطولة هذا الكتاب. وقد ألقى تودنهورف ثنائيا في دار الرحمة وهي ملجا لأطامل شوارع بغداد ترعدا بؤسيف، وقصة ثنائيا التي تشرت بعد أن ماتت أمها وتمكنت أسرته في دار مع الأسف القصة الحزينة لألاف من أطفال العراق. ويأسف تودنهورف لأن حرب أمريكا الشائفة ضد العراق ستصاعف معاناة الأمم الشعب العراقي التي سحا عن قرب خلال زيارته. ووجدت شيئا بعيدا كل البعد عن أن يكون فظا غليظ القلب، وقد تأسر الكتاب بمشاعر العراقيين وطبيعية قلوبهم كما يقول في أكثر من مناسبة ويشير تودنهورف إلى أن مشكلة العراق كان يمكن حلها بكل سهولة بعد موافقة العراق على الشروط التي تضمنت انسحابه. ويصف الكاتب كما فعل غيره كثيرون. ادعاء العراق بأن يمثل تهديدا يشمل أسلحة الدمار الشامل. إن وفاة النوت الوخيمة الباقية لتبرير هذه الحرب وكسك تأييد لها هي اعتبارها أداة لإسقاط نظام دكتاتوري وإدخال الديمقراطية وحكم القانون إلى العراق. ومن خلاله إلى بقية البلاد العربية. بما يقدم نهضة هذه الشعوب المتأخرة كثيرا عن الركب العالمي. وفي الواقع فإن معظم العراقيين والألمان والبروسيين الذين غاضوا الحرب لم يجدوا بدا من اللقاة على يدي أمريكا هي إحداث تغيير ديمقراطي كما عبر عن ذلك الكاتب الألماني الكبير هانز مانجوس الشرق الحادي والعشرين في مقال جريده، فرانكفورت أنجلمان، ولكن تودنهورف

حساب أن يعاني الشعب الأفغانى العادى الذى عانى ما فيه الكفاية على يد السوفييت لم الحرب الأهلية وتودنهورف لمس معاناة الشعب الأفغانى شخصيا من خلال زيارته المتعددة في أغسطس ١٩٨٠ ويناير ١٩٨١ وديسمبر ١٩٨١ وأخيرا أبريل ١٩٨٨.

لقد سوى السوفييت قرى أفغانستان بالأرض وقتلوا وشردوا ملايين الأفغان. ويذكر تودنهورف أنه لم يرقظ ظروفها أسوأ مما شاهد في مخيمات اللاجئين في بيشاور. وقد جمع الكائن عن طريق الدعاية التليفزيونية تبرعات للأجسب قيمتها أكثر من ٢٠ مليون مارك. وخلال إحدى زيارته لأفغانستان التقى بالشاب عبد القادر الذي جعله رمزاً لألام الأفغان الدايين. ضحيا بعش الدول الكبرى مثل آلاف الأطفال والشبان الأفغان. أصيب عبد القادر (١٨ سنة) بمهاجمات وتشوهات جسدية عندما قصفت السوفييت قريته بالمتنائل الحارقة وعندما زاره تودنهورف في مستشفى هي بيشاور كان قاب قوسين أو أدنى من الموت وزوره لا يزيد على ٣٧ كيلو جراما وقد أسهم الكاتب في إحضار اشباب الأفغان إلى ألمانيا حيث قطعوا الأطباء علاجها واقتادوا بمعجزة حيالة.



يخصص تودنهورف القسم الثاسي من كتابه للعراق. فهو يأسف لأن الولايات المتحدة تكرر الآن في العراق نفس الأخطاء التي ارتكبتها في أفغانستان. مرة أخرى لقمعت الميمنة الأمريكية على العنف والقوة بدلا من أن تسعى إلى التفاهم مع خصومها. وقت كتابة هذا الكتاب (خريف وشه ٢٠٠٢) كانت الاستعدادات الأمريكية للحرب على العراق على قدم وساق مع سبق الإصرار والترصد. ولكن العراق ضد العراق لم تكن قد توقعت في الواقع منذ ١٩٩١ كما يقول تودنهورف بل لعلم الغيوبات الذي فرض على العراق بعد حرب الخليج الأولى كان ويألف على الشعب العراقي ليس أقل من الحرب ذاتها ويصف تودنهورف بتفصيل كبير معاناة الأفغان نتيجة الغيوبات التي أسما بنفسه خلال زيارة لمدة أسبوع في ربيع ٢٠٠٢. فصفه فرض الغيوبات لم يعد العراق من حرب الاقتتال فقد قدم العراق من

١٩٩١ وحتى ١٩٩٧ من بيع يتروله في الأسواق الدولية وحرم بالتأني من المصدر الرئيسي لدخله وقد تدهورت حالته في هذه السنين الهائلة وسادت فيه ظروف هي أشبه بالمجاعة وبعد ١٩٩٧ أصبح العراق عبدا لا سمي ببرنامج البترول في مقابل الغذاء، الذي سمح للعراق ببيع بعض البترول بشرط أن تحصل الأمم المتحدة على دخله وتستخدمه في إطعام العراقيين وفي تسديد تعويضات العراق لتكثيف وغيرها من الدول والأفراد والنظم. وبعد دفع هذه التعويضات لم يبق للعراقيين سوى الفترات التي لا يكاد يكفى لمد شدة الجوع وحده الجوع. وأصبح العراق الذي كان أحد أغنى البلاد العربية وأكثرها تطورا شيئا من الشحاذين والمقهورين الذين ينظرون على مع طلع كل شهر، سبتا، يحتوى على احتياجاتهم من الطعام لمدة شهر (وتحتوى هذه السلة على ٩ كيلو دقيق، ٣ كيلو أرز، ٤ كيلو سكر، نصف كيلو عسل ربيع كيلو فاصوليا وكيلو ربيع زيت). ولا يحتوى، السبت، على لحم أو خضار أو فاكهة.

ويقدر الكاتب أنه من مبلغ ٥٧,٥ مليار دولار التي حصلت علىها المتحدة في ديسمبر ١٩٩٦ وحتى أكتوبر ٢٠٠٢ من مبيعات البترول العراقي حصل الكويت وغيره على ١٤ مليارا ولم يبق للكويت احتياجاتها الأساسية للعراقيين نتيجة عراقيل بيروقراطية سوى ٥ مليار دولار. وهذا يعنى أن رصيد الفرد لم يزد على ٥١ سنتا في اليوم وهو ما يعادل استهلاك المواطن الأمريكي اليومي للتوكولا.

وأت هذه المعقوبات القاسية إلى انتشار الفقر والجوع والمرض والمطالة في العراق. والأطفال هم أكبر ضحية لهذه الطوفان. ويقدر هانز فون سيونيك منسق برنامج البترول مقابل الغذاء، من سنة ٢٠٠٠ حتى سنة ٢٠٠١ أن الأطفال الذين ماتوا نتيجة المعقوبات بحوالي خمسة آلاف في الشهر. وأرجعت اليونيسيف وفيات الأطفال إلى ثلاثة عوامل هي نقص التغذية، المياه الملوثة، نقص الدواء. وقد تصيبت المعقوبات إجمالا في وفاة



# الإرهاب الدولي ودور المخابرات المركزية

## محمد عزام

الأرض. وبالنسبة لإصابة مبنى البنتاجون المنحصر والمكون من طابقين يستبعد قدرة أي طيار مهما بلغت حكمة الاتجاه بهذه الطائرة الضخمة لإصابة الدور الأول من المبنى دون الاصطدام بالأرض أو تجاوز سطح المبنى في مثل هذه العملية شبه المستحيلة تقنياً ويستمرder المؤل قاتلاً إنه بعد اصطدام الطائرة ببرجي مركز التجارة العالمي يشترع سمعت أصوات انفجارات أدت إلى انهيارها الكامل. وسقطت مئات الأطنان من مواد البناء واشتعلت الحرائق وقتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص. ومع ذلك لم تتمكن السلطات من العثور على أي شيء أو دليل تحت هذا الحطام والركام سوى جوار سمز واحد في حالة جيدة، هو جوار سفر محمد عطا الذي قاد الطائرة الأولى. ويذكر دون تعليل أن السيد سيرفر ممثل ملاك البرجين قام قبل الحادث ببضعة أسابيع بإبرام عقد جديد للتأمين على البرجين قيمته ٣.٢ مليار دولار.

ويتهنئ الدكتور فون بيولوف بعد سرده للعثور على الملاحظت الأولى إلى استنتاجات وفرضيات غير عادية مماهاه أن وكالة المخابرات المركزية CIA خلطت وأشرقت على عملية الحادي عشر من سبتمبر شهيدا، لتضديد خطط الهمينة المعدة مسبقا واستحالة القيام بمثل هذه العملية الضخمة والإعداد لها شعورا طويلة في الولايات المتحدة وأوروبا وآسيا ويمثل هذه الدقة والتنسيق دون مشاركة الأجهزة السرية.

وأر وكلة المخابرات المركزية استعملت تقنيات عالية في تعطل طيارين الطيران على الطائرات ثم قامت بتوجيهها الكترولني للأصطدام بالأهداف المحددة وقامت بإعجال متفجرات في برجي مركز التجارة العالمية.

إن الخبر الأثافي فون بيولوف لم يقدم أدلة حاسمة وقاطعة على استنتاجاته وإتهاماته ولكن مجموعة الملاحظت والتفاسل التي أوردها تشير جدأ حول جوانب التقارير التي صدرت عن الحادث... لا شك أن مواقف وتصرفات الإدارة الأمريكية العنيفة فيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر قطع الجبال التزايد البيكيات والعرضيات عن مخططات الهمينة الأمريكية والدولة الأجهزة السرية ونظرية المؤامرة الدولية خاصة في مخططاتها العنصرية التي استهدفتها التحركات العسكرية الأمريكية والتحصين العسكري الإسرائيلي ومحلات تشويه سمعة العرب والمسلمين.

أحدث نظم الأمان والحماية الجوية في العالم ورثم ذلك تنطلق أربع طائرات ضخمة تغير مسارها وارتفاعاتها وتحلق في الأجواء لمسافة طويلة متجهة إلى وزارة الدفاع. البنتاجون. والبيت الأبيض ومدينة نيويورك دون أن تنطلق إشارة إنذار واحدة أو تتحرك الطائرات والصواريخ الاعتراضية العدة لشل هذه الأحوال. ويذكر السيد بلان أن رجال أن انظمة الدفاع الجوي كانت معطلة لمدة ساعتين هكذا بالصيغة. أثناء حدوث العملية.

وصيف فون بيولون أن بيانات وتصريحات الإدارة والأجهزة الأمريكية اجتمعت على أنها لم تكن تملك أية معلومات عن العملية وتفشيها. وبعد فترة قصيرة جدا تفاجئنا نفس الأجهزة بنشر بيانات مفصلة بأسماء من قاموا بالعملية ومن أي البلاد حضروا وأين سكنوا وتدريبوا وعلاقتهم بتنظيم القاعدة وين لاان ومصادم حسين. ثم يتنسر على رواية خطف الطائرات بواسطة شبان لا يحملون أي أسلحة أو متفجرات بل استعملوا بالوشوك واللاعق والسكاكين البلاستيكية الصغيرة التي توضع على الركاب أثناء تناول الوجبات في تعريض طواقم الطائرات للأربع ومساعدتهم والسيطرة على الطائرات دون تمكن من إرسال استغاثة أو إشارة إلى أي شخص أو محاولة مفارقة طائرات رياضية ذات محرك واحد من الخافطين وكل ما ذكره هو أن أحد الركاب اتصل بمائلته بواسطة الهاتف المحمول علماً بأن المحمول لا يحصل على الطائرات.

ويتسفر بعد العثور على أجهزة التسجيل والصناديق السوداء للطائرات الأربع وعدم الإعلان عن العثور على أجزاء الطائرات وجثث الطيارين والركاب كالمعتاد في حوادث الطيران بالنسبة للطائرة التي اصطدمت بالبنتاجون والأخرى التي هوت على

العلمي والتكنولوجيا في الحكومة الفيدرالية من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٢ حتى ترك العمل الحكومي عام ١٩٩٢ ليؤسس مكتباً للحماية في مدينة بون. وقد سبق له تأليف كتاب بعنوان «وكالة المخابرات المركزية CIA وجهار المخابرات الألمان» (BND).

## أعمال غير مشروعة

## للأجهزة باسم الدولة

ويسرد المؤلف على مدى ٢٦ صفحة مجموعة كبيرة من الملاحظت والأسئلة المتوحدة عن البيانات والمعلومات التي صدرت حول أحداث سبتمبر ليضعها بانها غامضة وغير مقنعة تدعو للشك. وأن مثل هذه العملية الضخمة والعقدة وما تمت به من درجة عالية من العفة والتنسيق تخطيطاً وتنفيذا لا يمكن أن تدوم دون أن يكون للمخابرات المركزية دور أساسي بها. ومن بين ما يورده من ملاحظت أن طائرات البونينج الضخمة ذات الملاحظت العالية تحتاج إلى تدريب مكثف وعدد كبير من ساعات الطيران ليتمكن الطيار من قيادتها والتحكم بها بدقة وسلامة ويستبعد أن يتمكن شبان صغار من هواة الطيران تقنيا دراسات محدودة على طائرات رياضية ذات محرك واحد من اختلاف أربع طائرات من هذا النوع الضخم والمعد في نفس الوقت ثم قيادتها بدقة وثبات وتنسيق كامل بعد تحويل مسارها للاصطدام ببرجين محددة وفي نقاط محسوبة مسبقاً. ويتساءل عن سبب إخفاء أدلة الإثبات والموايد المحظف عليها حتى يومنا هذا وعدم تقديم بيان التكنولوجيسر بما دعما لبيانات رسمية وهو بالتقيد المتعارف عليه ويلمق في الولايات المتحدة. ويشير إلى أن الولايات المتحدة تملك

■ أشار كتاب صدر باللغة الألمانية صيف هذا العام صجة ومناقشات حادة لما تضمنه من اتهامات خطيرة لدور الأجهزة السرية الأمريكية في عملية تصجير أبراج مركز التجارة العالمي في نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١.

صدر الكتاب من ٢٦٠ صفحة عن دار النشر المرموقة بيبر Piper Verlag تحت عنوان «وكالة المخابرات المركزية CIA وأحداث الحادي عشر من سبتمبر وعسوان جاسبي» الإرهاب الدولي ودور الأجهزة السرية. للمؤلف أندرياس فون بيولوف. وقد وجهت إليه احيرة الإعلام الأمريكية الشكايات حادة تضمنه بعدم الموضوعية وعدم تقديم أدلة ثبوتية عما جاء به من اتهامات. وفي الكتاب أقبالاً واستناراً وانهماما واسع النطاق في ألمانيا وأجهزة الإعلام الأوروبية إذ أن المؤلف يتهم صراحة وكالة المخابرات المركزية CIA بتضجير أحداث الحادي عشر من سبتمبر شهيدا لتعطيل مخططات الهمينة التي وضعها الإدارة الأمريكية قبل الحادث بوقت طويل ليقوم الرئيس بوش بتضجيداه تحت شعارات مقاومة الإرهاب ونزع أسلحة الدمار الشامل وتطبيق الديمقراطية.

ورغم أني لا أميل إلى اعتماد نظرية المؤامرة، وعمليات الأجهزة السرية تثيرير مشاكل والأحداث التي قد لا نحيظ بكل جوانبها أو نفشل في حلها. فقد لفت انتباهي أن الأمر لا يتعلق هنا بقصة جاسوسية تقليدية مثيرة بل اتهامات كسر قوة في العالم السلمي للهمينة على العالم. ومن شخصية مرموقة لها وزنها. هيولت الكتاب ليس ما حثا معزوا أو شخصياً فاشنا يبيحت من الشهرة بل هو واحد من الخبراء الأثافي في موضوع أجهزة السرية وعملياتها ووزير اتحادى سائق في الحكومة الألمانية.

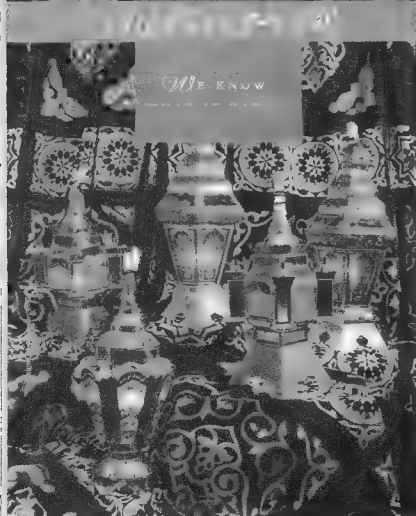
ولد الدكتور أندرياس فون بيولوف من مدينة درسدن الألمانية عام ١٩٣٣ وحصل على درجة الدكتوراه في القانون وانتخب عضوا في الخيرة الألمانية. ونوستاتح. عن الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٤ واختير عضوا في اللجنة البرلانية الشرفة على أجهزة المخابرات لمدة خمس سنوات. تبوأ منصب وزير الدولة البرلاني في وزارة الدفاع من ١٩٧٦ إلى ١٩٨٠. ثم تولى منصب وزير اتحادى

Die CIA und Der 11. September  
(وكالة المخابرات المركزية الأمريكية وأحداث الحادي عشر من سبتمبر)  
Andreas von Bulow  
piper, 2003, 271 Seiten FUR 13.00



## رمضان

وعاد رمضان وهلت ليالى السهر،  
فالدنيا رمضان فى كل مكان... على مائدة  
فايت أفنداي ندعوك لإفطار ممزوج بشمس  
الغروب الذهبية المتلألأة على ضفاف النيل.  
وفى خيمة الفوانيس برنامج حافل طوال  
الشهر الكريم وبين مأكول ومشروب إسهر  
مع النجوم حتى السحور، وتكمل سهرتنا  
فى الحارة المصرية فتافيت السكر...  
جو شعبي أصيل يدعوك لتعيش  
الحارة المصرية فى سهرة يومية...



وفى مطعمنا الصبايا ندعوك لتستمتع بسحر  
لبنان فى رمضان وأطباقه المميزة ومزاته  
التميزة، وقائمة حافلة بأشهى الأطباق  
الرمضانية، مع إستعداد تام لإستقبال  
المجموعات للإفطار أو السحور... إقضوا  
معنا رمضان فى سمراميس وإستمتعوا طوال  
الشهر بإفطار وسحور وليالى من نور.

*We Know* WHAT IT TAKES™

للمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بمكتب حجرات السكاهم شارع ٢٣٧/١٨ زقاق  
المصر فى جميع أنحاء العالم يرجى الاتصال بالفاكس ٢٣٧ ٢٣ ٢٢ - ٠٠

# انصراف هيكسل

■ أثار قرار الأستاذ محمد حسنين هيكل بالانصراف عن الكتابة لدى بلوغه الثمانين في ٢٣ سبتمبر الماضي، أطال الله عمره، ردود فعل لا سابقة لها. تماما مثلما يمثل هو ظاهرة غير مسبوقة.

لم تقتصر أصداء قراره على مصر. وكيف ذلك وهو أكثر الكتاب العرب شعبية في بلاد امتنا على امتدادها. وأخذت هذه الأصداء صورا عدة في الإعلام العربي المرئي والمكتوب والمسموع. فمن برامج تليفزيونية متنوعة إلى تغطيات وتحقيقات صحفية مختلفة إلى مقالات تضمنت وجهات نظر مثبائية، انشغل العقل العربي بانصراف الأستاذ الذي أثبت مجددا أنه الصحفي والكاتب الذي يعرفه القارئ أكثر من غيره.

كأن هيكل، ومازال، ظاهرة عربية وليست فقط مصرية. ومن هنا أهمية متابعة ومناقشة نظرة كتاب عرب إليه عندما كتبوا عنه في مناسبة انصرافه من الكتابة، مع التركيز على عدد من كبارهم لكل منهم إسهامه وتجزئته الصحفية المتميزة ورويته الخاصة، مثل :

♦ سمير عطا الله الذي خصص زاويته في «الشرق الأوسط» لهذا الموضوع لستة أيام متوالية تحت عنوان (رجاء قبل أن تنصرف).

♦ شمان الإمام في مقالته في «الشرق الأوسط» أيضا : (هيكل : باشا الصحافة المصرية بلغ الثمانين) مع عنوان ثانٍ (أخطأ هيكل في تجاهله انتقال مركز النقل الاقتصادي والسياسي إلى الخليج).

♦ خير الدين حبيب في افتتاحيته لعند أكتوبر من مجلة «المستقبل العربي»، والتي نشرتها صحيفة «الخليج» أيضا.

♦ فؤاد مطر في مقالته في «الشرق الأوسط» بعنوان (التنحي الأكبر : والتنحي الآخر) مع عنوان ثانٍ (محمد حسنين هيكل المنصرف بالاختيار إلى الذاكرة).

♦ د. كلوفيس مقصود في مقالته (هذا وقت الأستاذ هيكل) في صحيفة «العرابي».

♦ أحمد الريسي في زاويته في «الشرق الأوسط» بعنوان (حزب الأبيض والأسود).

♦ محمد العربي المساري في مقالته في «الشرق الأوسط» : (هيكل... كاتب وروية) والعنوان الثاني (تقصص النخوة



# .. فني عيون كتاب عرب

وحيد عبد الجيد

كان خطأ من النوع الذي يستحيل تصحيحه. وإذا أراد الأستاذ عطا الله أن ينته من ذلك فلهسان من توبسوا لدى السادات بعد توليه الرئاسة لأطالع مصطفي أمين، وكيف كان يد عليهم قبل أن يقبل في النهاية وبعد أربع سنوات بإطلاقه وأساسيه صحية أي دون إصافة الاعتبار إليه

عبد الجيد

وهكذا لم يكن الأستاذ سمير عطا الله متصفا في هذه المسألة. مثلما جانب الأستاذ أحمد الرعي الأصف ثلاث مرات في حديثه عن استقطاب حاد بين اصحاب هيك وخصومه. المرة الأولى عندما اعتقد أن هناك انقساماً بمعنى خلاف بين قسمين متساويين أو متقاربين، بينما الحقيقة أن تلاميذ هيك ومحبيه هم أكثر بكثير من خصومه وأعدائه، والمرة الثانية حين أجرى مقابلة بين الخلاف بين اصحاب كل من عبد الناصر والسادات من ناحية وبين محبي وخصوم هيك من ناحية أخرى. فهذا صفحي وكاتب جمع بين تلاميذه ومحبيه كل الاتجاهات والآراء والمواقف من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار. ومن ثم أكثرهم تقديراً له ولقريباً إليه من يختلفون مع بعض آرائه وأفكاره. ولذلك كان خير الدين حبيب محققاً عندما لاحظ أنه (رغم أن كثيرين يختلفون مع هيك في مواقفه أو في خياراته، فإن أكثرهم لا يسميه غيراً من بشرته في الرجل الالتزام لديه بما يؤمن به وإن يسلم باقتداره في طريقة التعبير عن مواقفه). أما المرة الثالثة التي جانب فيها الأستاذ الرعي فم عندما قال أن خصومه لا يرون فيه شيئاً إيجابياً وأن محبيه يرون أن لا أساساً شيريه ويكيلون له المديح ليل يلهو. وإذا كان صحيحاً أن معظم خصومه يعتقدون أي موضوعية، وأحياناً أي معايير، عندما يهاجمونه، فليس صحيحاً أن محبيه من نوع الدراويش أو المريدين. ولا يصح الاعتماد على ما يقال ويكتب في مناسبة من نوع انصراف الأستاذ لأنها مشيرة للمشاعر والمواطف بطبيعتها وبحلق ردود أفعال خاصة بها تصلح لها. ولكن لا يجوز الوقوف عندها باعتبارها هي المؤشر

في حلفاء عطا الله. من الحقيقة هو ما ذكره عن تعاليه على رملاته وقسوته على مصطفي أمين. ولا أكثر التي قرأت على مصطفي، الذي أوصى بابعاده، ما هو أكثر إثارة للدهشة من قوله أن هيك (دمر رموز الصحافة المصرية من حوله أو تركهم يدمرون أنفسهم) دون أن يقدم أي دليل من أي نوع. وإذا كان يعتبره مسلولاً عما حدث لمصطفي أمين، كما يبدو من بعض إشارات هنا وهناك، فهذا ظلم للهيكل لأن هيك لا يحتاج لتدمير مناهس له كي يتفوق عليه وهو الذي كان التفوق شحيماً. كما أن مصطفي أمين لم يكن شخصاً صغيراً ينتظر من يهرع إليه ليقتله من خطائه.

لقد اقرب مصطفي أمين من عبد الناصر مثل هيك، في لحظة معينة. ولكن الدور الذي كان يؤديه غلب عليه طابع السياسة المباشرة وفي أكثر جوانبها حظوة أو مخابراتية. بخلاف هيك الذي ارتبط مع عبد الناصر بعلاقة قامت على رؤية مشتركة تتصل بالسياسة والاستراتيجية ويندور ارتبطت أساساً بالتعبير والتخيل.

اختلاف دور الصحفيين الكبيرين في علاقتهما مع عبد الناصر. كان لهيكل دور جوهري في التخطيط السياسي تفكيراً وتحليلاً ونصائحاً وتصحيحاتاً في بعض الأحيان. أما دور مصطفي أمين فكان له طابع مبدئي أكثر في بعض جوانب السياسة الخارجية، وخصوصاً في العلاقة مع الولايات المتحدة. وهي كانت علاقة مصطفي مرشحة للتدمير فهدم مصطفي أمين معها لأنه لم يأخذ حذره، فهاست إقامته في أحوالها وكان هذا خطأ منه. وليس من غيرهِ. كما

يمكن أن تصب في هذا الاتجاه. فكلمات رسالته إلى صحيفة الأسبوع التي أدمت قلوب كثير من قرائها لا انطوت عليه من تعبير مكثف عن طابع هذا الرجل الذي ارتبطت مشاعره على مدى عمره بقضايا وطنه، ولم يحفل أبداً بمجد شخصي إذا كان قليل نادر من رجال الأمة في هذا العصر يستحقونه فهو في صدارتهم. وقد قدر د. علي بن محمد الرياي، في مقالته، اعتذار هيك عن أي احتفال بتكرري مولده، وقال: (أما رفض هيك الاحتفال بمولده الثمانين واستبداله للاصراف هرباً كما أرحل ختام في هذه الظروف المتريدة).

إن هيك آخر من يمكن أن يشعر بحاجة إلى تكريم جديد، لأنه لقي منه ما لا يحلم غيره بمثله، ومن أولئك الذين يخبر أي كاتب بتكريمهم له وهم قراؤه كما أنه صار أكثر شهرة في الصحافة العربية على مدى تاريخها. مثلما كان سمير عطا الله في آخر فترة في آخر حلفائه عن هيك، وهو أنه (أشهر رجل في الصحافة العربية).

عبد الجيد

على نحو ما ذهب خالد البسام في مقالته عندما قال أنه حصل على تألق وعظمة ومكانة لم يحصل عليهم أي صحفي عربي، ويقر سمير عطا الله بذلك صراحة في مستهل الحلقة الرابعة قائلا: (لم يبلغ صفحي عربي ما بلغه هيك) وإن ربط ذلك بعلاقته مع عبد الناصر، وهو ما ذهب إليه أيضاً سمير وسنناقشه بعد قليل. ولكن أبعد ما ورد

التي هجرته الناصرية). ووجد نفسه كأنه التحدث الوحيد (بمصادرة).

✦ خالد البسام في مقالته في «الأيام» الكويتية بعنوان (ثمانون هيك)، ✦ د. علي بن محمد الرياي في مقالته في صحيفة «المدنية» السعودية بعنوان (ليس دفاعاً عن هيك بقدر ما هو احترام للتاريخ).

وتضمن كل من هذه المقالات نظرة نقدية لم يخل بعضها من قسوة حيناً ومبالغة حيناً آخر. ولكنها تميزت في مجملها بإدراك كتابها قدر هيك ومكانته. فجاء النقد إلا قليلاً منه موضوعياً بقاء وهذا أمر متوقع من كتاب كبار، إذ لا يهبط إلى رذيلة النقد غير الموضوعي والتهديد إلا الضغار الذين لا يابهنون لسماعيات ومبالغة في القيم ولا يمهرون ممن وعم يكتبون. ولم تر من هؤلاء، في مناسبة انصراف الأستاذ، إلا قلة قليلة ممن لا ذكر لهم ولا قيمة لا يكتبون.

وعندما يكون النقد موضوعياً، ومقترناً بتقدير واحترام، فهو يشجع على المناقشة التي تستحق ظاهرة هيك الكثير منها. على أن يتجه أكثر هذا الكثير إلى اطلاع الأجيال الجديدة على مدرسته التي يعرفون لها بها حتى كثير من خصومه الشرفاء الذين يصرون عن أن الخلاف في الرأي لا ينبغي أن يغير الوقائع أو يزيغ الحقائق.

## خطأ في فهم

## السياسية

وأبداً بإشارة لها صلة بالشكل أكثر من المضمون وهي تتعلق بالأصداة الواسعة لقرار الأستاذ الانصراف عن الكتابة. فقد أثارت هذه الأصداة انطباعاً غير صحيح لدى البعض، فظن أن هناك حملة تمجيح للأستاذ هيك في مصر. ونجد ذلك في مقالة فسان الإمام، الذي ربط ما اعتقده تكريماً للأستاذ بحملة تكريم الكاتب اللبناني الكبير غسان كوثني في دبي ملاحظاً أن الفرق بينهما في العمر ثلاثة أعوام.

لم يتحرر الإمام من حدث في مصر جيداً. ولو كان فسان لعرف أن الاحتفال هو تحديداً ما اعترض عليه الأستاذ هيك أشد الاعتراض عندما لاحظ أن ردود الفعل على قراره اعتزال الكتابه

الوحيد على نوع العلاقة بين هيكل ومجبيه.

## أسطورة العلاقة

### مع السلطة:

من بين الانتقادات التي كان يحلو لبعض خصوم هيكل السياسيون أن يرموه بها، منذ أن ترك الأهرام، هو أنه فقد مصداقه الإخبارية التي كان يستمد منها من قربه إلى السلطة. ولكن كنا نعلم أن يصدر مثل هذه الكلام عن لا صلة وثيقة لهم بهذه المهنة أو من لا معرفة كافية لديهم بالأساطير.

ولذلك فمن عجيب أن يأتي كلام كهذا من كتاب كبار يفترض أنهم يعرفون ما ينتج لهم حسن التقدير في مثل هذا الموضوع الذي ينطوي على شقين: أولهما العلاقة بين هيكل والرئيس والراحل جمال عبد الناصر، والثانيهما كيفية وصول صحفي وكاتب كبير إلى المصادر الإخبارية ذات الأهمية القصوى والتر علاقه مع السلطة في ذلك، وغريب مثلاً أن يكتب الأستاذ فؤاد مطر، وهو أحد أكثر من عرفوا الأستاذ، وعرفوه عنه، أن هيكل وجد نفسه في محنة حقيقية بعد زعميل عبد الناصر لأنه على حد تعبيره (فقد من كان يكتب من أجله وله). وقد كتب سمير عطا الله في حلقته السادسة أن علاقة فؤاد مطر بالأستاذ هيكل قالاً: «كان لهيكل تأثير عميق في عمل مطر الصحفي». ولذلك فإنها في ذلك أن مطر يعرف أن هيكل لم يستمد مكانته من عبد الناصر الأمر الذي يجعل مقابلاته تأثير شديد الاستغراب لأنها من يديها إلى نهايتها توحى بأن الأستاذ لم يكن في ظلها لهيكل الراحل. بل يخصص قسماً كبيراً منها لمخارطة تبدو مفتعلة بين تنحي عبد الناصر عام ١٩٦٧ و تنحي هيكل الآن، يصل فيها - في افعال أكبر - إلى أن (روحية التنحيين الاثنين واحدة، والعقل الذي صنع مقتضيات الأول هو نفسه الذي صنع مقتضيات التنحي الآخر مع فاروق أن تنحي عبد الناصر كان بفعل الاضطراب في حين أن تنحي هيكل كان بفعل الاختيار واستباق لحظة لا يتنامها نفسه ولقلبه).

إن هيكل كتب دائماً من أجل مصر والأمة العربية وللراجل في كل مكان من بلاد العرب. صحيح أنه آمن بأن عبد الناصر هو الذي جسّد حلم العرب والعروبة، وهذا حق لا يتفق معه عليه من يتفق ويختلف من يتفق. ولكن أن يؤمن بسياسة عبد الناصر ودوره التاريخي شيء وإن يكتب من أجله شيء آخر.



## لعب هيكل

### دورا كبيرا في

### إنارة الطريق أمام

### عبد الناصر، إن في

### الحوار الثنائي

### بينهما، أو من

### خلال كتاباته

### في «الأهرام»

والفرق كبير، إذ كتب هيكل من أجل ما طمح إليه عبد الناصر وشاركه هو طموحه فيه، بل يعرف كثيرون أن مشاركة هيكل تجاوزت ذلك إلى القيام بدور يمتد به في صنع هذا الطموح منذ أن وضع الأفكار الأساسية التي قام عليها كتاب «فلسفة الثورة». وهناك فرق شاسع بين أن يكتب الكاتب من أجل هدف يؤمن به ويشارك في صنعه ويعتقد أن زعمما معينه هو المؤهل للعمل من أجل تحقيقه، وبين أن يكتب من أجل هذا الزعيم. ولكن إذا جاز الاختلاف على تحديد

مصاحبة كل من الموضوعي والشخصي في العلاقة الثلاثية (عبد الناصر - هيكل - القضية أو الهدف)، فلا يصح أن يبيّن ثمة جدل في شأن العلاقة الثلاثية الأخرى (عبد الناصر - هيكل - القارئ). ففي قول مطر إن هيكل كتب من أجل عبد الناصر وله راحة ما رده بعض خصوم الأستاذ عن أنه فرض ضغطاً شمولياً في الصحافة المصرية جعل التزاماً على الكاتب أو الصحفي الحكومي، أن يكتب لبقائه واحد. وهذا قول مدفوع بنقيض له رده بعض آخر من خصوم هيكل، وهو أنه كان يكتب بصوت الزعيم الواحد، من أجل تنميط القراء أي خلق نمط واحد من الاستجابة الشعرية أو العاطفية لما يكتبه تحقق ما أسماه البعض (الكل في واحد). وهذا ما من قصده من تحدثنا عن أنه كان مجرد صوت لعبد الناصر. ولكن خالد السامع عارض في مقالته هذا الاعتقاد - ضمناً - عندما خلص إلى أن هيكل كان أكثر الصحفيين والكاتب كل العصور منذ عصر الملك فاروق، ورغم صداقته العميقة مع عبد الناصر وارتباطه به حتى بدأ وكأنه السائق باسم الثورة وممرها. وعندما تحدث الأستاذ محمد العريسي الصاوي عما أسماه (زمن مقالات بصراحة) قال إن هيكل كان في ذلك الزمن (صوت المؤسسة... وبصراحة، كانت تقرا لها بهاء سياسي يعكس النبط الرسمي لعمر عبد الناصر).



والمشكلة في هذه النظرة، سواء ركزت على أن هيكل فرض طريقة الكتابة لقارئ واحد، أو كان صوت الزعيم الواحد إلى قراء أراد صدمهم وهداهم، هو الصوت، هو أنها نظرة لا تاريخية تغفل السياق التاريخي.

والملحظ أن معظم الكتاب العرب الكبار الذين كتبوا في مناسبات انفصافه عن الكتابة، مدركون أنه صاحب رؤية. وقد أصابوا في ذلك كيد الحقيقة. ولكن جانب بعضهم الصواب في تحديد جوهر هذه الرؤية، وفي إدراك مدى ارتباطها بأصاها في ذلك كيد الحقيقة. لقد وجد الأستاذ في الزعيم الراحل نجسيدا لرؤيته لمستقبل الأمة العربية ودور مصر فيها.

وليس تكن العلاقة بينهما مجرد صلة بين زعيم دولة وزعيم أكبر صحفية في هذه الدولة. فلهذا علاقة سياسية وفكر وحوا. ولعب هيكل دورا كبيرا في إنارة الطريق أمام عبد الناصر، إن في الحوار الثنائي بينهما، أو من خلال كتاباته في

«الأهرام». لم يكن موتاً لعبد الناصر، بل للرؤية التي شاركه فيها. كما كانت له مبادرات في تطوير هذه الرؤية اعتمد فيها على مكانته ككاتب وليس على علاقته مع الرئيس.

ويمكن الإشارة على سبيل المثال إلى دوره في الإصطلاحات الداخلية المحدودة عقب حرب ١٩٦٧ ليس فقط من خلال صياغة بيان ٣٠ مارس، ولكن أيضا عبر مبادراته لإنهاء تجاوزات بعض أجهزة الأمن. فكان هو، مثلاً، صاحب تعبير «زوار الضجر» الذي شاع استخدامه على نطاق واسع، مثملاً كان له الفضل في صدق عدد كبير من المعابر والمصطلحات التي صارت معلماً بارزاً من معالم اللغة السياسية على امتداد العالم العربي. وتعد هذه واحدة من قدرات لا يحاكيها فيها أحد.



وكان د. كلوفيس مقصود هو من تطرق إلى دور هيكل التصحيحي الذي لا يراه إلا من يتجاوز السطح إلى الأعماق. فقد رأى - أولاً - كيف أن حرص هيكل على دوره كصحفي ورفض أي منصب آخر (جعل من الصحافة وإقعا لقوة السلطة الربوية. وكان هذا إنجازاً مهما في مرحلة من الحياة السياسية العربية كانت فيها معظم الصحف ال تكون امتداداً للسلطة الأولى. وفي أغلب الأحيان السلطة الوحيدة). كما لاحظ مقصود - ثانياً - كيف أن هيكل (تسكن من إقناع السلطة عندما كان فيها ومنها بأن تنفتح على الشعب). ولذلك فهو يستقر أن هيكل رغم أن كله لم يتنج من تصنيفه كملعب للسلطة وكخصم لممارسة الحرية). ويفسر هذا الخطأ في فهم دور هيكل بموامل عمل أهمها أن الخطأ قام على الطباع بأنه كان أكثر التصاقاً بسياسات السلطة من كونه مصححاً لأنزلاتها، بالإضافة إلى تجاهل ما أسماه د. كلوفيس دور هيكل كمستنير للدراسات ومجلات الطلبة والأهرام الاقتصادي والسياسة والدولية، حيث كانت الحوارات والندوات تسعد لإنتاج التعددية المطلوبة في مرحلة لاحقة). ويعني ذلك في المحصلة أن هيكل لعب دوراً مهما في تصحيح القرار ولكنه ساهم أيضاً في صنع القرار. وهو ما حلقه خير الدين حسيب في قوله إن هيكل كان محط ثقة الرئيس الراحل لأنه قدم مساهمته في بناء قرار مصر في قضايا بالغة الأهمية. وهو دور استمر ينهض به بعد وفاة عبد الناصر لفترة وجيزة. كما أشار إلى أن رأى هيكل

بقي مطلوباً لدى عواصم عربية قليلة أدرك قادتها أهمية أن يستمعوا منه إلى تحليل يقدرون به الموقف.

لقد كانت الرؤية المشتركة هي أساس العلاقة بين الرئيس والأساتذ. ولذلك تغير الوضع تماماً عندما لم تعد ثمة رؤية يشارك فيها الرئيس الراحل أمور السادات بعد حرب ١٩٧٣. لم يكن الأمر يقتضي أكثر من أن يبدي هيكل بعض المرونة كي يبقى صاحب حظوة لدى السادات ولو أنه كان مجرد صوت لرئيس مصر، لسهل عليه أن يدبر العلاقة مع السادات بشكل يحفظ له مكانته على رأس أكبر مؤسسة صحفية في العالم العربي. ولكن الأمر لم يكن كذلك، لأن السادات أكبر من ذلك. فاصر وقتها، عام ١٩٧٤، على الانصراف الأول. الانصراف عن المشاركة في صنع سياسة كان شركاً فيها حتى حرب ١٩٧٣. فهو لا يستطيع أن يكون صوتاً لسياسة لا يشارك في صنعها لأنها تمثل خروجاً على رؤيته. وبدلك الانصراف أكد أنه أكبر من أي منصب. وأن الصحفي الكاتب هو فلم قبل كل شيء ويعد.

وقد رأى كل ذي عينين أن مكانة هيكل ازدادت بعد أن تركه المنصب وتخلف من أعباء الإدارة. كما اتسع نطاقها ليشمل العالم كله. بعد أن كانت بلاد العرب هي ملكته، التي توجه الرأي العام فيها على عرش الصحافة والكتابة، أصبح على إمكانه أن يكتب كتاباً يخالف مقالاته الصفيحة. وأقبل ناشرون غربيون كبار الصفيحة فكتب بالإنجليزية. ولم تكن مفاجأة أن عرفوه أو عرفوا جيداً عنه أن كتبه بالإنجليزية حققت انتشاراً هائلاً أصعب غير من الكتاب بهذه اللغة من غير أهلها بمن فيهم عرب عاشوا معظم عمرهم في الغرب ودرسوا في جامعاته.

## .. وأسطورة فقدان

## المصادر

وفي الوقت الذي صار للأساتذ قراء جدد في بريطانيا وأمريكا فضلاً عن القاريين بالإنجليزية في بلاد أخرى على امتداد العالم، لم تفلح رؤية في عالمنا العربي يشغلون بكثير من الشوق أي مقال يكتبه أو يترجم له عن صحيفة عالمية. قبل أن يكون د. وجهات نظره، الفصل في إتاحة الفرصة لهم في متابعتهم بانتظام، وخصوصاً من يحبون ويقدرون على قراءة نوع من المقال المستطرد، الذي اختاره لهذه المجلة. وهذا إضافة جديدة إلى أسلوب كتابة المقالات فهدى قبل انصرافه الشاوي لثياب مجلة شهرية رصينة.

المعد الثاس والخمسون. نوفمبر ٢٠٠٢ م



## إذا توهرت

## المعرفة والقدرة.

## صار ممكناً للصحفي

## أو الكاتب الوصول

## إلى مصادر الأخبار

## حتى إذا لم يتيسر

## له مصدر عظيم

## بالقرب منه

وإذا كان الأستاذ يرتاح إلى المجال الطويل الذي يلائم طريقته في معالجة القضايا التي يتصدى لها. فهذا لا يعني أنه لا يقدر إلا عليه. ولذلك كان أكثر ما أخطأ غسان الإمام تقديره هو أن هيكل لا يفعل ذلك لأنه لا يستطيع اختصار الجملة والعبارة والفكرة. وقد فُرض من هذا الاستنتاج الخاطيء إلى آخر أكثر خطأ وهو أن (هيكل كاتب مقالة وليس كاتب عمود). فهنا تصنيف مصطنع خصوصاً حين يتعلق الأمر بكاتب رأي في الإمام نفسه مدرسة صحفية. وقال

أن هيكل (مؤسسة صحفية متكاملة أو مآل أخرى مدرسة صحفية يستفيد منها الصحفيون المحدثون في مقل تجربتهم وخبراتهم وتعلم فيها ومنها هواة الصحافة كيف يمكن اقتباس تقنية المهمة (الصعبة).

هذه التميز الإمام. هي مقالته. يدارك سليم لقيمة الأستاذ ومكانته في عالم الصحافة العربية بوجه عام. ولكنه لم يحس. في الوقت نفسه تقدير بعض الأمور. ولذلك بدت نظرتة الكلية أكثر إيجابية وسلامة من معالجته لبعض التفاصيل التي يظل أهمها هو حديثه عن فقدان الأستاذ مصداقه الإخبارية بعد أن ترك الأهرام. فكان قلل استنتاجاته دقة هو أن (اهتمامات هيكل السياسية تبدو أيضاً بعيدة نسبياً عن اهتمامات القاري العربي المبشرة. والسبب فقدان هيكل مصداقه الإخبارية حتى تلك اليوم لدى عبد الناصر). صحيح أن الأستاذ عرف أكثر مما عرفه غيره من الصحفيين في مصر بحكم قربه من عبد الناصر. ولكن من التبسيط الزائد الاعتماد في الأمر بتوقف قطع على المكان. فإذا كنت قريباً لأبد أن تعرف أكثر ممن هو أبعد منه.

وهذا تقدير توهز الدقة لأن الأهم من القرب والبعد هو القدرة على معرفة ما هو مهم في اللحظة المناسبة. وليس سرا أن اثنين على الأقل من الصحفيين المصريين أصبحا بعد ترك هيكل الأهرام. قريبين جداً إلى السادات بل كان أحدهما على الأقل شديد القرب إليه. ومع ذلك لم يحصل أي منهما على معلومات تصنع من أي منهما نجما ينالس هيكل أو حتى يشقرب من (دجوميته). والأكد أن السادات كان لديه ما يمكن أن يتيح لصحفي يقترب منه أن يحقق. خبيطات. كبرى. ولكن المهم هو أن يكون هذا الصحفي قادراً على تحديد ما يريد أن يعرفه وكيفية الوصول إليه خلال الحديث مع «المصدر الكبير وفي اللحظة المناسبة قبل أن يصبح الخبر الخاص عاماً أو مشاعاً.

ويقتضي ذلك أن يكون الصحفي على اتصال مباشر مع إلام بممارات الأحداث وهو ما تدرج مسألة المعرفة التي كانت هي طريق هيكل للحصول على المعلومات التي اقتفدها آخرون. فهو لم يحصل على ما لم يحصل عليه غيره إلا لأنه كان يعرف أكثر من غيره.

وكان هذا هو أحد الأسباب الأساسية التي أدت إلى قوة علاقته مع عبد الناصر منذ البداية. فقد وجد الرئيس الراحل فيه مصداقاً للمعرفة وليس فقط طاباً لها. من النصص التي صارت معروفة أن هيكل كان يزود عبد الناصر خلال

مؤتمر باندرج الشهير لمعلومات حصل عليها بجهود عمو كان يدور في بعض كواليس هذا المؤتمر. فلم يكن يكتفي بانتظار خروج عبد الناصر من الجلسات ليكرس وراءه طلباً لمعلومات بل كان يستثمر الوقت في جمع معلومات مهمة. له في الرؤية

ونسي معظم من أشاروا موضوع العلاقة بين هيكل وعبد الناصر أن الأستاذ كان حاضراً في قلب الأحداث الكبرى في ذلك العهد باعتباره شريكاً للرئيس الراحل في الرؤية وليس فقط بحكم كونه صحفياً أو رئيس المؤسسة الصحفية الأكبر في مصر والعالم العربي. لقد سجل هيكل وحل أحداثاً كان شاهد عليها بحكم موقعه في القلب منها. وليس مجرد مراقب لها.

ومع ذلك فقد حرص في كثير من الأحيان على أن يندم رؤيته بهذه الأحداث التي كان شاهداً عليها بوثائق بدل جهودا كبيرة في الحصول على بعضها ولم تتوفر له كلها بسهولة بخلاف ما يعتقد البعض. وساعدوا إلى مسألة التوثيق هذه لاحقاً.

ولكن المهم الآن توضيح أنه من الخطأ الاعتقاد أن صحفياً ينشطر من يقوله له المصدر أي مصدر. لكي أن يكون نجماً ناهيك عن أن يصبح ظاهرة في حجم ما يمثلته هيكل فإنهم ما لم يكون الصحفي عازفاً ما يريد الحصول عليه. وأن تتوفر لديه القدرة على تحديد الأسلوب الملائم لنيله. وعندها يكون المصدر رئيساً أو زعيماً. يحتاج الأمر إلى معرفة أعمق وقدرة أكبر.

وإذا توهرت المعرفة والقدرة. صار ممكناً للصحفي أو الكاتب الوصول إلى مصادر الأخبار حتى إذا لم يتيسر له مصدر عظيم بالقرب منه. وخصوصاً حين يتمتع أيضاً بمكانة متميزة. وهذا هو أتاح للسادات أن يبقى على صلة بما لمصادر الحياة الرفيعة الأخبار بعد أن ترك الأهرام. بل وبات مغضوباً عليه ومنمغوا من الكتابة في مصر خلال الفترة الباقية من عهد السادات.

فإذا كان قد أثبت أن ما يحتاجه الصحفي والكاتب هو القلم وليس الكرسي. فقد أكد أيضاً أن مكانة الصحفي والكاتب أهم من مثل هذا الكرسي. صحيح أن رؤساء الصحف والمجلات. خصوصاً المهمة منها. يتيسر لهم الحصول

الذي رصد فيه تألق هيكل المبكر، وتوقف أمام أحد أعماله المهنية الكبيرة التي أنجزها في وقت مبكر للغاية ولم يعض على عمله في الصحافة أربع أو خمس سنوات، وهو تحقيقاته من ميدان النار في حرب فلسطين، وقال منها: (عضت على هذه التحقيقات ٥٥ سنة، لكنها مازالت جديدة ومبتكرة وصالحة للدراسة وللتدريس في الريبورتاج في الرواية الميدانية، فأنت تشاهد فيما تسجلها، قصة سينمائية حافلة بالتشويق والإثارة، ووراءها مخرج صحفي موهوب)

هذا عن تميز هيكل الشاب الصغير كمراسل ومحقق صحفي، أما عن ترققه كمحرف، محترف، فقد أشار غسان الإمام إلى إجازته التاريخية في (تقنية الإخراج للصفحة الأولى وكيفية عرض الأخبار والتحقيقات والصور فيها)، وكان يشير بذلك إلى التطوير الشامل الذي أحدثه هيكل في الأهرام، والذي اختار غسان الإمام طريقة مقارنة موحية لتوضيحه، فقال: (قالت أهرام هيكل بأفضل مما قائلت فريق الشير عامر في حرب ١٩٦٧، عضت على تلك الحرب المشؤمة ٣١ سنة، لكن تقنية هيكل التحريرية أيضا مازالت تصلح للتدريس والدراسة).

غير أن هذا العرض الموضوعي، في بداية المقال، لم يظهر أثره عندما تحدث الإمام بعد ذلك في المقالة نفسها عن اقتصاد هيكل مصادره الإخبارية، فصحفي وكاتب بهذا التمييز المبكر للغاية على النحو الذي رصد الإمام، لا يفتق مصادره لجرد أنه ترك رئاسة صحيفة.



ومع ذلك يظل ثمة سؤال يثيره بعض خصوم هيكل حيناً ومخوم بين الناصر أحياناً وهو: ألم يكن في هذا العصر صحفيون متميزون غيره؟ بالطبع كان هناك، فهذا جيل من الأجيال الرائدة، ولكن وجود متميزين لا ينفي أن هناك دائماً أو في كثير من الأحيان الأول بين المتفوقين، مثلاً لا ينفي وجود الأكثر تميزاً أن هناك متميزين على مستوى رفيع.

فهلى سبيل المثال أن أحمد شوقي هو الأمير بين كوكبة من الشعراء يستحق كل منهم أن يكون ملكاً متوجاً على عرش الشعر، ومثل الحال بالنسبة إلى محمد عبد الوهاب في الموسيقى، ولم كلود في الغناء، والأملنة والتملة، فظاهرة الأول أو الأكثر تميزاً بين المتميزين معروفة وشفطت اهتمام مفكرين وفلاسفة متعددين وظهرت نظريات مختلفة

بوتائق أمريكية وبريطانية وفرنسية وليست فقط مصرية مما توفر له، فقد سعى من أجل الحصول على وثائق أمريكية وبريطانية قبل أن يحين موعد الإخراج عنها، أو على الأقل معرفة مضمونها، ويدل في سبيل ذلك جهداً ينذر أن يبدل مثله باحث أكاديمي عربي لا شغل له إلا توثيق عمل علمي أو أطروحة أكاديمية.

وقد فعل ذلك لحرصه على الدقة والتوثيق بغض النظر عن بعض الهبات هنا وهناك مما لا يمكن أن يخلو منه عمل بشري وليس (ليستعرض أن يده طويلة وقدرته على التفتيش لملاحقة) كما كتب الأستاذ محمد العربي الساري في مقاله عنه.

لم يكن الأستاذ في حاجة إلى أن يستعرض، وهو الذي حقق في فترة مبكرة من حياته مجداً لا يطمح إليه كثيرون في أواخر حياتهم، غير أن إثارة الأستاذ الساري إلى قدرة هيكل الألفاظ على التوثيق تظل مهمة، فإذا استبعدنا منها موضوع الاستعراض، تصبح شهادة كبيرة من رجل كبير: (في كتبه غرق هيكل من المصادر بيانات عن ظروف مصر استقاها من وثائق فمسية ليستعرض يده طويلة وقدرته على التفتيش لملاحقة إلى حتى عن قراءة ما بين السطور في استنساخات الجرائد الانجلوساكسونية، ويعتبر ذلك بدوره وثائق لجأ إليها ليدعم بها الحادثة التي هي محور كتيبه).

قبل عبد الناصر..

و—

لم يكن الأستاذ هيكل ظاهرة مصنوعة في عهد عبد الناصر، بل كان وظل ظاهرة حقيقية يصمم تكرارها، وفي الحديث عن أثر علاقته مع عبد الناصر على دوره في الصحافة العربية وقدرته على الوصول إلى معلومات حجت عن غيره تجاهل لحقائق التاريخ التي تقول إن تألق هيكل بدأ قبل ثورة ١٩٥٢، واستمر بل ازداد وتوسع بعد رحيل عبد الناصر.

وكل من لديه إلمام بسيط بتاريخ هيكل في الصحافة المصرية قبل ثورة ١٩٥٢ يعرف جيداً أنه بدأ كبيراً، فقد أظهر منذ بداية عمله المهني أنه يتمتع بموهبة فذة بل يكثف بها بل عمل على صقلها وتعميقها اعتماداً على العلم والعرفة والتابعة فضلاً عن العمل الشاق الذي لا يكل صاحبه، ومن أكثر أجزاء مقالة غسان الإمام موضوعية الجزء



## وجود

متميزين لا ينفي أن هناك دائماً

الأول بين المتفوقين،

مثلاً لا ينفي

وجود الأكثر

تميزاً أن هناك

## متميزين

عندما يكون الحديث مسجلاً للنشر كماله.

ولكن ظل تميز هيكل في معرفة ما يريد الحصول عليه، اصطلاحاً من الإمساك الشديد للموضوع بكل تفاصيله، هو العامل الأكثر أهمية وراء احتفاظه بمصادر إخبارية حية.

وفضلاً عن هذا كله، فقد أحسن الأستاذ استخدام ما عرفه من الأحداث الكبرى في حياة أمثنا عندما كان في قلبها، ولم يكثف بذلك كما سبقت الإشارة، بل حرص على دعم ما يروييه

على المقابلات مع رؤساء وملوك ومسؤولين وصانعي قرار مسهولة أكثر مما يحتاج لمصممي أو كتابي شخصه، ولكن هيكل كسر هذه القاعدة لأنه كان هو خير تمثيل عنها في العالم العربي، فبعدها كان رئيساً لصحيفة الأهرام، حصل على شهرة لم يحظ بها غيره في هذا العالم، ولم يلقها إلا قليل من كبار الصحفيين في العالم، كما أن تميزه المهني مقترن بموقعه في السياسة المصرية خلق له مكانة فاق بها غيره أيضاً.

وإذا استرجع هدا المصنران مع معرفته الواسعة وإمكاناته المانعة صبار في أمثاله أن يظل قادراً على الوصول إلى المصادر الحية للأخبار حتى اليوم، فعلى هذا المثال، نعماً وافق على طلب قناة دريم، في خريف العام الماضي للتحديث في موضوع الأزمة العراقية عندما تصاعدت واشتدت سخوفتها، حدة موعداً عقب زيارة كان مقرراً أن يقوم بها إلى بعض العواصم الأوروبية، وخلال هذه الزيارة، التقى عدداً من المسؤولين في عدة دول أوروبية، وكان لدى بعضهم معلومات كانت جديدة في حينها.

وكان في إمكان هيكل بشهرته ومكانته أن يلتقي هؤلاء ويسألهم ويحاورهم، كما كان في مقدوره أن يحصل من طريقه أو يبرده أو يعرض منه حسيماً توفر لهم أو يرغبوا في إعطائه لأنه كان يعرف ما يريد الحصول عليه، ولا بد من وضع خطوط كثيرة تحت الفعل يعرف لأنه هو أكثر ما افتقده في عالمنا العربي الآن وعلى كل المستويات وفي أوضاع النخب والصحف والصحفيين والإعلامية والثقافية كما في صفوف الجمهور.

ويدكر كل من تابع مسيرة الأستاذ، بعد أن ترك الأهرام، عام ١٩٧٤، أنه قابل رؤساء وقادة ومسؤولين في بلاد عربية وشرق أوسطية وأوروبية وآسيوية أكثر ممن التقاهم رؤساء ومدبرو كثير من الصحف العربية.

ولكن يظل تميز هيكل هو في معرفته الفائقة ما يريد الحصول عليه في أي مقابلة، كما أن مساهمته للحصول على معلومات لا تنشر في صورة مقابلة صحفية أتاح له حرية حركة أوسع وقدر أكبر على نقل الحديث مع من التقاهم إلى أفاق أبعد مما يمكن نشره منسوباً إلى الشخص المسؤول، فالصحفي الذي يراس أو يرد صحيفة يفضل الحصول على مقابلة للتحديث حتى إذا كان فيها ربح أو ثلث ما يمكنه الحصول عليه بعيداً عن النشر، وعادة يكون المسئول الكبير أكثر حذراً من الحديث على هامش المقابلة out of record



الاقتصادي والسياسي انتقل إلى الخليج العربي، ولكن لأنه ذهب إلى موقف قصي يصعب أن يجد من يتفق معه عليه فهو لم ينهم هيكل وحده بأنه لم يدرك وربما يجهل أن الخليج وليس مصر هو مركز الثقل. فقد انهم المصريون كلهم تقريباً أو ما أسماه «الرؤية المصرية المبسطة، بعدم إدراك هذا التغيير الذي حدث أو تجاهله، ولو أنه وجه هذا الاتهام إلى معظم العرب لكان أكثر صدقية، والمسألة الجوهرية هنا لا تتعلق بموقع مركز الثقل أو المركز الجديد بل بالمنهج المتبع في النظر إلى موقع مصر في عالمها العربي.

فالمقتنعون بأن مصر هي المركز يعنون أنها القلب الذي ينظم حركة الدم في مختلف أنحاء الأمة وإنما يؤدى بذلك دوراً ضمن مجموعة أدوار، ويرى هؤلاء وأن عبروا عن هذا الرأي بصيغيات مختلفة، أن تعدد المراكز العربية هو تطور طبيعي وله أهميته في لحظة تاريخية صعبة تعاني الأمة فيها محنة، ولكن الخروج من هذه المحنة يبدأ بنهوض مصر ونهوضتها وبالتالي قيامها بدورها الريادي الذي يجعلها - موضوعياً - مركز الثقل حتى إذا لم ترغب هي في ذلك، وهذا هو ما يراه معظم العربيين على امتداد العالم العربي وليس هيكل وحده.

فمركز الثقل الآن ليس مستقراً في الخليج أو غيره، بل مورع بين عدد دول يخالف ما ذهب إليه غسان الإمام وأنهم هيكل بأنه إما لا يراه أو يتجاهله، فمن ملكات هيكل التي يعترف له بها معظم خصوصه قدرته الفائقة على أن يرى الأحداث في تطورهما وقيل أن تتطور أو تكتمل. ويقرأ الإمام ما كتبه د. علي الرياعي وما ختم به الأستاذ المساري من مقالاته، فقد كتب الرياعي إن (هيكل نوع قائم من الكتلة يستشرف المستقبل ويحلل الواقع، ومن قرأ كتابه «أفاق النماذج»، قبل ٢٥ سنة ويعيد قراءته اليوم سيجد أن عقليته هذا الكاتب استباقية وواضحة بشكل واضح). أما ما ختم به الأستاذ المساري فهو خبر ما تختم به هذا الموضوع الذي يصعب الانتهاء منه. فقد تحدث عن قدرة هيكل على التمسك في الحقائق الجديدة ضارياً لما على ذلك بما كتبه منذ عشر سنوات عن أن أمريكا عازمة على أن يكون القرن الواحد والعشرون قرناً أمريكياً، وقال: (منذ مقد أو يزيد، استنبط هيكل من أوراق أمريكية إحصائيات أصبحت اليوم هي الكلام الخارج على لسان المحافظين الجدد. كل الناس قرأوا ذلك، لكن هيكل قرأه بعين فاحصة). ■

وأخرى تتعلق بالسياسة الخارجية المصرية. ولذلك تطل فكرة أنه كلما نهضت مصر تقدم العرب، صحيحة، ولا يبدو من سياق مقالة الأستاذ المساري أنه يختلف عليها، بخلاف سمير عطا الله وغسان الإمام اللذين يستحق ما كتياه في هذا المجال وفقه. فقد رأى الأستاذ عطا الله في حلقة الثانية أن (هيكل لا يرى حوله دوراً عربياً لأحد سوى مصر). وهذه تنجيح لا مقدمات تؤدى إليها. لأن ثمة فرقاً شاسعاً بين اعتبار مصر الأكثر قدرة على قيادة العرب المحفوظة أدوار كل منهم والعاء هذه الأدوار لصالحها فلا يبقى دور إلا لها وحدها.

والأهم من هذا كله أن هيكل حين يتحدث عن مصر والعرب إنما يهني رابطة أكبر من قياس دور كل بلد كبير أو صغير. إنها الدائرة العربية التي ورد ذكرها في كتاب «فلسفة الثورة»، الذي كان ثمة حوار مع عبد الناصر، الرقبة المشتركة بينهما. وقد قال عنها (إن هذه الدائرة متمازجت منها، امتزج تاريخنا بتاريخها وارتبطت مصالحنا بمصالحها الحقيقية وفعلًا لا مجرد كلام). وإذا كانت مصر في هذه الرؤية، هي البطل الذي كان دور هام على وجهه يبحث عنه ليقوم به هذا الدور (ليس نور زعامة) وفق كلمات «فلسفة الثورة»، وإنما هو (دور تقاضل وتجاوب يكون من خلال خلق قوة كبيرة في هذه المنطقة). والإيمان بدور هذه معالمة لا يمكن أن يفهم أبداً باعتباره تضخيلًا لصغر أو عجزاً عن رؤية دور عربي سوى دورها.

وكثيراً ما كان هيكل يربط حديثه الأساسي، في هذا العمل من أعماله أو ذلك، عن مصر بالوضع العربي الحالي. وقد أشار إلى ذلك عبد الدين حبيب في مقالة قالها: (ما كان هيكل يقصر حديثه عن مصر، وهو ما انكسر يدافع عن أطروحة مفادها أن مصر لا تستطيع العيش ولا حفظ أمنها القومي خارج محيطها العربي، وهذا هو ما وجه نظره إليها وكتابته عنها).

وإذا انقلنا إلى مقالة غسان الإمام نجد أنه ذهب أبعد بكثير من الأستاذ علي المساري في حديثه عن المركز والهامش. فقد تجاوز مقولة تعدد المراكز وقفز إلى القول إن مركز الثقل



المقتنعون  
بأن مصر  
هي المركز  
يعنون أنها  
القلب الذي  
ينظم حركة  
الدم في مختلف  
أنحاء الأمة

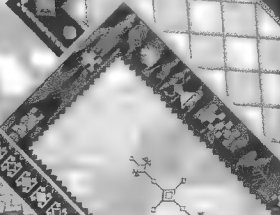
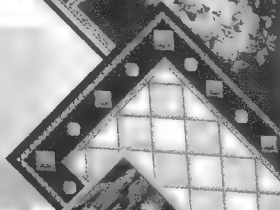
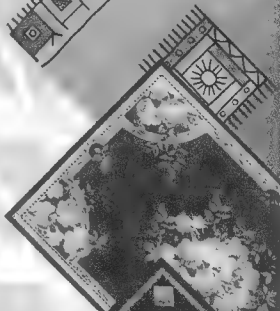
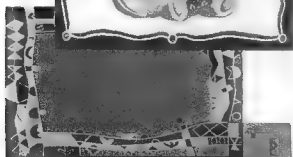
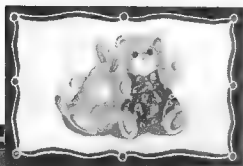
ربما نجد الإجابة في قوله أن (مقولة المركز والهامش طراً عليها لتحديد وحدت شيء ما في التاريخ العربي المعاصر يقول لنا إنه بدل المركز أصبح هناك عدة مراكز). ولكن هذا التطور، بدوره، ليس مختلفاً عليه ولا يتعارض مع الانطلاق - ابتداءً - من أن مصر هي المركز الذي إذا نهض قام بدور القاطرة التي تشد الأمة إلى التقدم. ولا يختلف هيكل هنا. على هذا الشئ الذي يقول الأستاذ المساري أنه حدث في التاريخ العربي المعاصر لأسباب إقليمية

لتفسيرها أبرزها، من وجهة نظر كاتب السطور، نظرية ماثيو أرنولد عن التفاعل بين الإبداع الفردي والمحظة التاريخية، ولذلك يعتبر هيكل ظاهرة يصعب تكرارها وتحتاج إلى دراسة متأنية لجلاليتها المختلفة، وهو ما دعا إليه د. علي بن محمد الرياعي في مقالته، إذ قال (إنني كأحد المتابعين لهيكل كاتباً ومفكراً وإعلامياً أرى أن دراسة هيكل باعتباره ظاهرة نادرة لم تقع حتى الآن. وأعنى الدراسة العملية الهادفة).

مصرية هيكل..  
وعرويته:

غير أن أقرب ما هي بعض المحاللات موضوع النقاش هو النظر إلى هيكل - العربي من رأسه حتى قدميه كما لو أنه يعبر عن رؤية تعتبر مصر هي مركز الوطن العربي وما دولها هوامش. وذهب الأستاذ محمد العربي المساري إلى أن هيكل (أدمن على إذا مركزية لا تخلو من قصاضة). ولكن حينما أراد أن يستشهد على ذلك لم يجد إلا محاضرة من محاضرات الأستاذ الكثيري ركز فيها على تاريخ مصر في ما كان عليه أن يتحدث في باريس (حينما ذهب إلى أن يتحدث في باريس في منتصف التسعينيات عن أزمة العرب ومستقبلهم، انفاق يتحدث عن تاريخ الأمة في نحو مائتي سنة فجعله سلسلة أحداث مصمورة في ما بين قوسين: محمد علي وعبد الناصر)، ولكن الأستاذ المساري يعرف أن هيكل لم ينظر أبداً إلى تاريخ مصر معزولاً عن التاريخ العربي. وهذا هو ما أدركه خير الدين حبيب في مقالته عندما تحدث عن هيكل المؤرخ وجهه المميز في كتابة تاريخ سياسي جديد للمنطقة العربية). فقد أشار إلى أنه (لا يقتصر من قيمة هذا التاريخ السياسي إنه انطلق من مصر في القام الأول وتكرس لحوادثها وقائعه أكثر من غيرها، ذلك أن مصر كانت هي قلب أحداث المنطقة والمسرح السياسي الرئيسي لهذا التاريخ).

والحق أن دور مصر الريادي وجدارتها بقيادة الأمة هي من الأمور التي قل عليها بين معظم العربيين في كل مكان. والمساري نفسه يتفق مع ذلك ويقول: (ليس هناك ادعاء في القول إن مصر سابقة وإنما مركز). إذن فيم المشكلة ولماذا يحب المساري على الأستاذ



متواجد في مرا





# ماك

ماك على الإنترنت [www.maccarpet.com](http://www.maccarpet.com)

سجاد ماك لكل الأغراض.. لكل الأجيال

مشايات

قطع موكيت

مطبوع

دواسات حمام

شرقي

سجاد أطفال

بيع بواقى التصدير المنتشرة في كل أرجاء مصر.





## ”النسج يبنى مصر“

المسجون على اختلاف ضرويه والنسج الخاص النسيجي والسفلاطون (وهو نوع من الملابس الحريرية الفاخرة بالألوان القرمزية كان يصنع في بلاد الروم ويقفاد وتبريز)، وإلى خزائن الكسوة كان يحمل ما يصل بدار الطراز بتقيس ودمياط والإسكندرية من مستعملات الخاصة (الملابس التي يامر بها الخليفة، وما يحتاج إليه من الخلع والتشاوريف)<sup>(١)</sup>، وكانت مصانع تنسج أدواباً تسمى «البدنة»، وهي صناعة محكمة من الكتان المخلوط بالذهب، كان الثوب منها يباع بمائة دينار، وكانت تحمل منها إلى بغداد، وفي تنيس أيضاً كانت تصنع طرز من الكتان بغير ذهب، يباع الثوب الواحد منها بمائة دينار<sup>(٢)</sup>. ويصف القلشندي حضور الخليفة لصلاة الجمعة في العدد الثامن والخمسون، نوفمبر ٢٠٠٢ م

مع استقرار الخلافة الفاطمية في مصر وإنشاء القاهرة المعز قبل أكثر من ألف عام، بدأت مصر تستعيد شخصيتها ومركزيتها بعد قرون طويلة تقلبت خلالها ما بين الخضوع للمحتل الروماني أو التحول إلى ولاية بعد الفتح الإسلامي لمصر. استعادة شخصية مصر سياسياً تراقق معه ازدهار كبير في شئون عديدة أسرها تطور الصناعات المعروفة في ذلك الوقت خاصة الصناعات النسيجية وتواصل التطور خلال سنوات حكم الأيوبيين ثم المماليك. فقد كان النسيج المصري محط اهتمام الأوروبيين الذين استوردوا منتجاتها لافتتاحها في كنائسهم ومتاحفهم، كما أن فنون طباعة الأنسجة في مصر انتقلت إلى أوروبا وخاصة ألمانيا. هنا صفحة من «تاريخ صناعة النسيج في مصر».

### صناعة النسيج

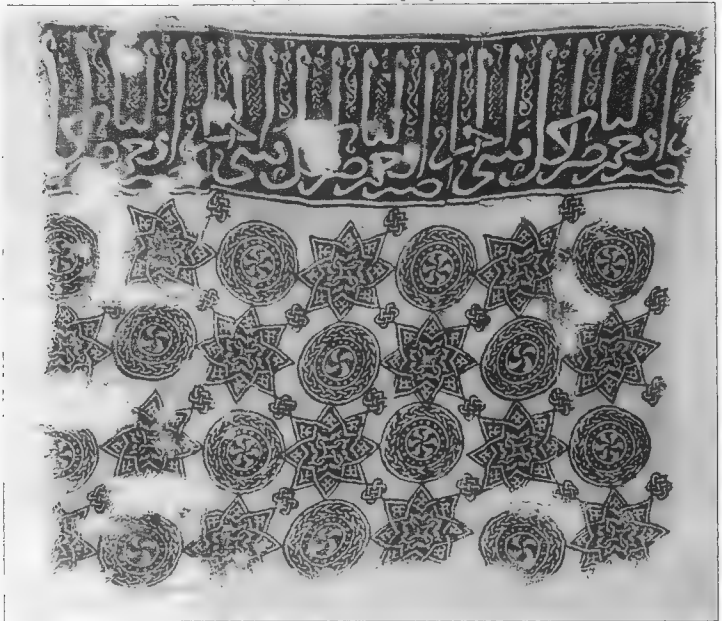
### في مصر

### الفاطمية

وقد أنشأ المعز أول الخلفاء الفاطميين في مصر دار الكسوة، وفيها كانت تفصل الثياب والأزدية الخاصة بكبار موظفي الدولة وتصنع بها كسوة الشتاء والصيف. وخصص ديوان الكسوة للإشراف على ما في الخزائن من الديبا

■ تطورت صناعة النسيج في العصر الفاطمي عما كانت عليه في العصر الطولوني من ناحية البنية وجمال الزخارف وزينتها. وعنى الفاطميون بالنسيج وكان في مصر مميلاً لا يتنضب من الحرير والكتان والذهب.

### محمود يوسف خضر



## كان في الأصل نساج

ولا يخلو منه مجلس ملك ولا رئيس. وفي أسبوط مناسج الأزمني والديبقي المثلث. وسائر أنواع اللبوس لا يخلو منه ملك إسلامي ولا جاهلي. وفي أخميم، صنعت طراز الصوف الشفاف والمطارف والمطرز والمعلم الأبيض والمفلون، ومنها كانت تحمل إلى أقصى البلاد، ويبلغ ثمن الثوب منه عشرين ديناراً.

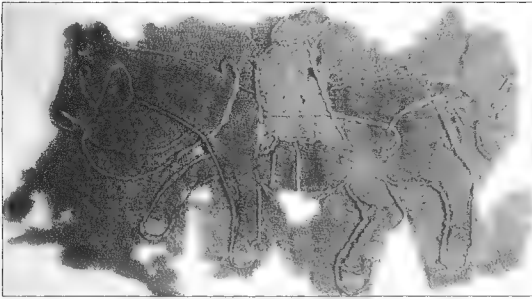
وبصر المصريون في فن التطريز، حتى إن دور الطراز كانت تقوم بصنع الحواشي الذهبية والأشرفطة المشغولة بزخارف الحرير على قاعدة من القصب أو من الحرير. وطلت صناعة التطريز في أيدي العرب في كل من مصر وصقلية. وكانت اللحمة والسداة في النسيج القبايطي السادة منسوجة من خيوط الكتان بلونه

والمقصور والشفاف، والأزدية وأصناف المناديل والخنايف الفاخرة للأبدان والأرجل، ولخاذا والفرش القطنوني المعلم (المخطط) والمطرز. ويبلغ سعر الثوب القصير (الأبيض) منها نحو خمسمائة دينار. ووحدها الأتواب المصنوعة في مصر بدون الذهب كانت تباع بأسعار تزيد على مائتي دينار، في ذلك الوقت. وفي دمياط كان يصنع القصب البلخي. وبيع الثوب الأبيض الذي خلا من الذهب بثلث مائة دينار. وإذا كانت دمياط لا تنتج المصبوب، فقد أبدعت تيس من صناعة الأبيض. وكانت الإسكندرية موطن مناسج الكتان والغلال والمعقب (نوع من الحرير) الذي يجعل منها إلى الأفاق. وفي مدينة الهنسا طراز المستور الذي يحمل إلى الأفاق من سائر البلاد،

وتدل كسوة الكعبة الشريفة على مدى ما وصلت إليه صناعة النسيج من الدقة والتقدم. فقد أوصى الغز لدين الله بنسج كسوة للكعبة العام ٣٢٢ هـ/٩٧٢م، فاستعمل من ديباج أحمر ويبلغ قياسها اثني عشر شبرا في مثلها وتدورها عشرة أهلة ذهباً. وفي كل هلال أترجة ذهب مشبك، في جوف كل منها خمسون درة كبيرة كبيض الحمام، وفيها الياقوت الأحمر والأصفر والأزرق، ومنها كتابية آيات الحج بالزمرر الأخضر، وحشوة الكتابية در كيار لم ير مثلهما وحشو الشمسية (كسوة الكعبة) المسك المسحوق. ويضو على نصبتها عدة قرأشين لثقل وزنها<sup>(١)</sup>. وذكر ابن طهيرة أن مدينة تيس كانت مركز تصنيع ثياب الكتان المديني

رمضان، فيقول: «يفرش بالمحارب ثلاث طراحات، إما شاميان أو ديبق أبيض منقوشة بالحمر، ويفرش واحدة فوق واحدة (للبوس الخليفة) ويعلق ستران يمتد ويسرة، في الستر الأيمن مكتوب برقم حرير أحمر سورة «الفاتحة»، وسورة «الجمعة»، وفي الأيسر سورة «الفاتحة»، وسورة «المنافقون»، بكتاتبة واضحة منسوجة.

وفي متحف الفن الإسلامي قطع من النسيج عليها اسم الخليفة العزّ، وأخرى عليها اسم الحاكم بأمر الله، وعلى بعضها كتابات بالخط الكوفي المورق، والأقفصة غالية الثمن التي كانت تخصم للخليفة. فقد كان منسجها من الذهب والفضة والخيوط منسوجة الألوان، وقد وجدت أقفصة عليها أسماء الوزراء.

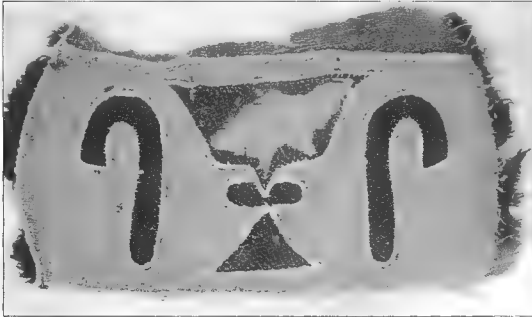


قطعة نسج من الصوف عليها رسم بقل البيرد بلحامة وعلى ظهره حمل

قطعة نسج من  
الحرير ونمأل  
الزخرفة رسم نسج  
دي راسين في  
اتجاهين متعاكسين

الحرير نسج

قطعة نسج من الصوف وعليها الكأس وفي شارة المسؤل عن شراب السلطان، وعصوي البولو وهو المسؤل عن لعبة البولو. في الملاط السلطاني



الطبع بالألوان. ووجدت منسوجات مطبوعة سريماً على وجه واحد من النسيج، وكتابات هذا النوع من النسيج مرسومة بالذهب ومحددة باللون الأسود. وقد انتقلت فنون طباعة الأنسحة من مصر في العصر الفاطمي إلى أوروبا، وألمانيا بوجه خاص.

ووجدت بعض الأقمشة مرسومة بالخرشة. وفي متحف الفن الإسلامي قطعة من النسيج مكتوب عليها اسم أحد

يحيط بالقماش، ضم أشكالاً هندسية وحيوانات داخل جامات، فيما أحيط التزييد بكتابات بالخط الكوفي المورق (التي تنتهي أطراف حروفه بورقه زخرفية) أو يدخل النسخ اللين سهل الاستدارة.

وتطور طبع المنسوجات معاً كانت عليه الطباعة في العصر الطولوني، فقد صنعت إختام من القصب وخصص لكل لون ختم، وكان الطبع بالذهب من ضمن

والحرير. وكانت تقدر. على ما يقال. باثنين وعشرين ألف دينار.

وكانت المصانع الأهلية تقوم بإنتاج الشيلان والأردية والأحزمة والعمائم وغيرها من الثياب، وتطرزها بأشرطة من الحرير السميك المشقوف بالإبرة في دقة وبراعة منقطعة النظير. وفي متحف المن الإسلامي الكثير من نهاج القطع المنسوجة وعليها كتابات مطرزة بالحرير. وكانت الأقمشة تزخرف بشرائط عريض

الطبيعي. مع قدر بسيط من التبييض. وكان يزخرف بشرائط أو أكثر من الكتانة المنسوجة في معظمها من خيوط الحرير بالألوان الأزرق أو الأحمر أو الأصفر أو البني.

وقد أجاد المصريون في استنبات أجود أنواع الكتان وإعدادها لعملية العزل وكانت مراكز إنتاج المهمة في مصر في العصر الإسلامي: محلة منها، أبو صير، سمثوه، شطا، ستور، دلاص، ويوش بالميم.

وقد لمنن النساجون المصريون في صناعتهم، حتى إنهم صنعوا للخليفة المستنصر معطفاً من الحرير الأزرق منسوجاً بالذهب وسائر ألوان الحرير، وفيه أقاليم الأرض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها وطرقها بأسمائها، وعليه صورة مكة والمدينة. وقد كتبت الأسماء بالذهب أو الفضة أو الحرير، ودين في نهاية المعطف معاً أمر بعمله الخز لدين الله شوقاً إلى حرم الله وإظهاراً لحاكم رسول الله في سنة ثلاث وخمسين وثلاث مائة،<sup>١</sup>

واشتهرت دور الطراز الحكومية بصنع أنواع معينة من النسيج لا توجد ولا تباع في مكان آخر، مثل القصب الملون في تنيس، الذي يستخدم في معائم رجال الجيش وملابس النساء. وكانت الخلافة الفاطمية تقوم بكسوة موظفيها في الصيف والشتاء، من المعامير إلى السراويل وما فوقه من الملابس. وكان للخليفة المستنصر ثماني مائة بدلة من ثيابه بجميع مستلزماتها كاملة. وكان وصول ملابس الخليفة على يد ناظر الطراز. يقام له احتفال كبير، إذ كانت ملابس الخليفة مقدسة مثل شخصه. ومن المعروف أنه في المرحلة الأخيرة من صناعة المنسوجات الفاطمية أصبحت الأشرطة الزخرفية الكتابية عنصراً ثانوياً في زخرفة النسيج، وبدأت تظهر في زخارف النسيج الفاطمي، الحامات والأشرطة المصمورة في أشكال مختلفة.

وكانت دور الطراز (مصانع النسيج) توضع تحت إشراف الخليفة الذي كان يجرى ناظرها.

ويذكر صاحب «المهرست»، أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم الوراق البغدادي أن الفلكي المشهور ثابت بن قرة (توفي العام ١٠٢٨هـ، ٩٠٠م) نسب لنفسه رسماً لتلاريس، وقد أبصر مؤلفنا هذا الرسم بأم عينيه على نسج ديبقي خام (ديبقي بلدة بمصر بين القضاة وتيس خربت الآن، وكانت تشتهر بصناعة الثياب) وقد ثبت ألوانه ناشع. وهناك رواية مماثلة لهدد مؤلفاً أنه لما نهيت خزينة الخليفة الفاطمي المستنصر، وجدت خاتمة كانت قد طرزت على نسج (تستري) (تستر) أو شستر، بلدة بباران) في العام ٣٥٣هـ، ٩٦٤م لخز لدين الله الفاطمي، وقد طرزت عليها مواقع وأسماء مختلف البلدان والجبال والبحار والأنهار والمدن والطرق بالذهب والفضة

الفاطمي الحاكم بأمر الله، ويقرأ أحد السطور «الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين... بن»، وفي السطر الأخير «حليمة أمير المؤمنين ابن...». والقطعة ملونة بالزيتون (المخضر) والأحمر والأسود.

ولم تكن الأقمشة الشام الحريرية تقل في مستواها عما كان يصنع في مصر، وفي أخميم وجدت منسوجات على درجة من الجمال والدقة وحس الذوق، بينها قطعة، أرضيتها خضراء وعليها زخارف منسوجة بلون برتقالي

### الزخارف الملوكية:

تدل أساليب صناعة النسيج في العصور الأيوبية والملوكية على أنها استمرار لأصول الصناعة والرحرفة في العصر الفاطمي، وإن كان اهتمام المماليك بالحرير وتقنيته على سائر المنسوجات واضحاً مما تركوه لنا، أو وجد في جهات متعددة من العالم، وبلغ من شغفهم وعنايتهم بمس التطريز أن كثرت حواشي التطريز والفول والنسيج، والتفن المصريون صناعة الحرير والبسط والثياب بأنواعها كافة.

ويلاحظ أن مراكز الإنتاج قد انتقلت من مدن الدلتا إلى الإسكندرية ودمههور ويهود ذلك إلى التخريب الذي لحق بمدن دمياط وقنس خلال الحملات الصليبية، واستمر أسلوب زخرفة المنسوجات الحريرية بالجامات البصاوية والدائرية التي تحصر بينها رسوم حيوانات أو طيور متقابلة أو متدايرة، ويبدو على المنسوجات الحريرية حبكة النسيج ودفقة الزخرفة وغالباً ما كان لون الأنسجة الحريرية الأخضر، وتلون الزخارف بألوان متعددة، وكانت بعض الأنسجة الحريرية لونها برتقالي أو بني وزخارفها بألوان مغيرة.

ولشد عناية المماليك بالتطريز كانت الثياب الكتانية توشى بالحرير بطريقة دقيقة تعمل بوساطة فرزة متتابة حتى تبدو على شكل سلمسة، وسميت هذه الفرزة فيما بعد بفرزة هولباين. كانت الزخارف المطرزة بهذه الفرزة من الدقة والحبكة حتى كان يظن أن الزخارف منسوجة في القماش، وذلك لتتابع خيل الفرزة للحملة النسيج، وقد انتقلت الزخارف المطرزة في العصر الملوكي إلى شرق أوروبا وشمالها، وظلت هذه الزخارف حتى اليوم دون أي تغيير

وأصبحت من الزخارف الشعبية هناك. واتسم الساجون في العصور الأيوبية والملوكية بالزخرفة الكتابية التي كانت تبدو أحياناً مساوية للمساحة المحصورة للزخارف النباتية والحيوانية. وتُشخّص الكتابة داخل أشرطة موازية لشرط الزخارف الأخرى وتتبادل معها. وكان خط النسخ هو الغالب على طريقة الكتابة وإن لم يمتد ذلك من الكتب بخط الكوفي



طيور وحيوانات داخل جامات. وهذه الطيور والحيوانات إما متقابلة وإما متدايرة، تفصلها عن بعضها أرواح نخبية محورة، وعلى أجنحة الطيور أدعية مكتوبة أو مرسومة أو مطرزة. وفي منتصف القرن الإسلامي هامة من نسيج الكتان والحرير عليها صور طيور كل اثنين متقابلين تفصلهما زخارف نباتية. والرسم محصور بين سطرين متماكسين من الكتابة الكوفية باسم الخليفة

بالأسلوب السيمي، وتوجد عباة كانت مصنوعة منذ العام ٥٤٨ هـ للملك روجر الثاني في باريس، مبدون اسمه باللغة العربية على حاشيتها. وقد حُثت هذه العباة بنخلة مطرزة في الوسط، وعلى حافتها أسد يصغر جملاً. وتدل تفاصيل الرسم على مطابقته للثقافة تطابقاً تاماً مع دفقة الرسم والتطريز.

وكانت زخارف العصر الفاطمي عادة ما تنحصر في شرائط ملونة عليها رسوم

أمراء اليمن من أسرة بني رسول بالخط الكوفي الجميل. وهذه القطعة تشبه الأقمشة القطنية التي كانت تصنع في دار الطراز باليمن، والتي كانت تطرز عليها أسماء الخلفاء العباسيين. ومن القطع المرسومة بالفرشاة واحدة عليها رسوم طيور وكتابات كوفية.

ولما كانت مصر تصنع منسوجاتها إلى مختلف أنحاء العالم، فقد كان التساجون يراعون صناعتها وزخارفها

أحياناً. كما ظهرت الكتابة الزخرفية المصغرة. وتضمنت الكتابة اسم من صنعت لهم قطع النسيج وأدعية لهم والحمد للطيب

وابتكرت في هذا العصر طريقة إبراز الزخارف على النسيج بحيثake قطعة نسيج أخرى ذات لون مغاير للون النسيج الأصلي.

وكانت الحياكة على درجة من الإتقان، تبدي معه القطعة (الرقعة) كما لو كانت مرفوعة في النسيج، وقد استخدمت هذه الطريقة لإظهار ردوك الأملء المالك وشارتهم.

وقد عرفت مصر مسجوات الحريري منذ عصر البطالطة وكانت من أهم السلع التجارية في الإسكندرية كما استخدم

الحرير في العصر الروماني. وفي أوائل العصر الإسلامي كان استخدام الحرير مقيد من الناحية الدينية، فكانت الأشرطة الزخرفية الحريرية بنية، وفرست قيود صارمة على استخدام الخيوط الحريرية وسمح فقط بقدر معين من الحريري يباح نسجه في الثوب. لا يجاوز قدر أربعة أصابع.

ولم يدع هذا التحديد العاصم طويلا فقد تعدت الشرطة الحرير الزخرفية في الثوب الواحد في العصر الفاطمي حتى شملت الثوب كله، وعرفت مصر الأقمشة الحريرية الخاصة في عصر المالك.

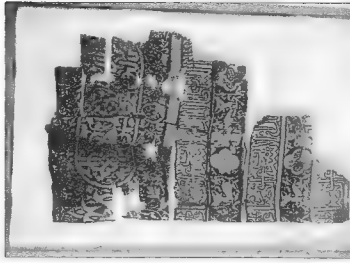
ونظراً لصناعة الأنسجة المصرية، وخاصة الحريرية منها اقتنت الكتانس والمتاعف الأوروبية الكثير منها المنسوجة بخيوط الذهب أو المظفرة بخيوط الذهب وعليها كتابات بخط النسخ كما أن على بعضها اسم الملك الناصر واسم الصانع. وقد ذكر القطن في النصوص حجر رشيد على أنه نبات يعرف باسم الجوسبيون، أما في العصر الإسلامي فمن الكتاب أن العرب كانوا يزعمون القطن في اليمن والعراق وأنهم أدخلوه إلى مصر إما بالزراعة أو الاستيراد.

وتأثرت زخارف المسجوات في العصر المملوكي بالزخارف الصينية وذلك في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر حيث تولدت العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي وبلاد الشرق الأقصى فأثرت صناعة النسيج

باعتبار رسوم زهور اللوتس زهور نبات ذو الطعيب والزخارف النباتية الحلزونية بالإضافة إلى استخدام رسوم لمحيوانات خرافية شائعة في الفن الصيني وإن لم تتخلل في أساليبها الأصلية الأوروبية، وقد شاهدنا هذه التأثيرات الصينية على الزجاج والخزف.



وقد تنوعت في العصورين الأيوبي والمملوكي زخارف النسيج المصنوعة من



## برع المصريون في فن التطريز، حتى إن دور الطراز كانت تقوم بصنع الحواشي الذهبية والأشرطة المشغولة بزخارف الحرير على قاعدة من القصب أو من الحرير. وظلت صناعة التطريز في أيدي العرب في كل من مصر وصقلية



تكون مثل زخارف الأنسجة المصرية حتى ليصعب نسبة قطعة من النسيج إلى أي من القطين ما لم يكن مدوناً عليها محل صنعها. وتوثقت الزخارف السورية الدمشقية الصنع على الحرير وكانت المنسجات السورية مرغوبة في العالم الأوروبي لجمالها وبقية زخارفها. ويأتى الصوف في المنسجات الإسلامية في المرتبة الثانية بعد الكتان. وقد تخصصت مراكز النسيج في مصر العليا بإنتاج المنسجات الصوفية في الينهنسا وأسيوط وأخميم والشيخ عبادة والقيس وتخصصت الأخيرة في إنتاج الأقمشة الصوفية الناعمة.

وفي العصر المملوكي تقدمت صناعة المسجوات في مصر. وقيل إن الأشراف خليل عندما احتفل بختان أخيه الناصر وابن أخيه موسى بن الصالح بن قلاوون، بلغت النفقة في سور السماط والمنشروب والأقبية والطراز والسرور ولباب النساء ثلث مائة ألف دينار.

وفي عصر المالك اضطلع نسج الكتان وزادت المنسجات المسجوات الحريري كما تآزر نسج الحريري في عصر المالك إلى حد كبير بمنتجات الشرق الأقصى الذي أدخلها الفول.



وفي العصر التركي في آسيا الصغرى الذي ورت حكم السلاجقة استمرت صناعة الحرير والمخمل. وكانت زخارف هذه المنسجات تشبه الزخارف الإيرانية غير أن الأتراك فضلوا منها زخارف النباتات والأزهار. وقد نشطت هذه الصناعة في هذا العصر وظهرت (بورصا) العاصمة كبرى مركز من مراكز صناعة النسيج، وكانت المنسجات التركية في القرن التاسع متأثرة بالزخارف والأساليب الإيطالية غير أنه في القرن السادس عشر استطاعت المسجوات التركية أن تنافس المنسجات الإسبانية والإيطالية من فينسيا بفضل التأثيرات الإيرانية واستخدام الزهور المحورة وكثافة الزخارف وتنوع الألوان وكثرة في الزخارف، كما كانت أقمشة الخيام المصنوعة من الكتان تُزخرف بزخارف بدئية جعلتها من أشهر أنواع الخيام في ذلك العصر. ■

## الهوامش

- (١) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء للقلقشدي.
- (٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور.
- (٣) كتاب تاريخ مصر لابن عيسر.
- (٤) كنوز القامعين د. د. زكي محمد حسن.

وكانت مصانع الطراز قد انتشرت في إيران منذ بدء العصر الإسلامي وأصبحت مرو ونيسابور والري من مراكز النسيج المهمة في إيران. والزخارف ذات طابع إسلامي أصيل وإن كانت تحمل

زخارف نباتية وهندسية وأشكال مضغرات وتصوير ومناظر رشيذ الحياة عامة على الخزف. وكان الطبع يسجى بوساطة أسطوانات من الخشب محفور عليها الزخارف ولكل أسطوانة لون لطبع الزخرفة، وكان الطبع يسجى على الأقمشة الكتانية.

واستخدم العرب في صناعة النسيج مواد نباتية وحيوانية. ومن المواد النباتية النيلة وهي صبغة زرقاء، والجرهة ولونها أصفر مائل إلى الخضرة وحجمها كحبة الحمص، والقوه عود وهي صبغة حمراء يحصل عليها من جذور نبات عشبي، والكركم وهو من الصفات الباشرة التي تحتاج إلى مثبت على النسيج.

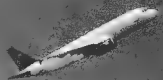
والصبغات الحيوانية كانت تؤخذ من الدودة القرمزية وهي صبغة حمراء قرمزية، والعللى وهي صبغة حمراء تزدح من حشرة تسمى على أشجار صمغية. وإلى العصر المملوكي يرجع ظهور أسلوب عمل قوالب لطبع الرسوم والزخارف على المنسجات الكتانية والفظنية.

وكانت مصانع الطراز قد انتشرت في إيران منذ بدء العصر الإسلامي وأصبحت مرو ونيسابور والري من مراكز النسيج المهمة في إيران. والزخارف ذات طابع إسلامي أصيل وإن كانت تحمل



مصر للطيران

روح جديدة .. بعد جديد .. جيتو حيت



الايرباص ر ا م

تدعم امكانيات الاسطول الجوى  
فى خدمة السياحة و الاقتصاد القومى  
وطائرات جديدة تضم فريدا لاسطولنا الجوى



وزارة الطيران المدني  
شركة المخططة مصر للطيران



# كيف نأكل دون



# خوف؟! .. الطعام على الطريقة الفرنسية

## مصطفى عبد الرزاق نوفل

ساعبد على بشرها المتحنت العدائية الأجنبية بما تقدمه من قطع تخالف أبسط قواعد التغذية الصحية التي كانت هامة في عصور قدام المصريين لذلك باتخاذ كافة الإجراءات الصحية المناسبة، للتحقق من كل المفاهيم الغذائية الخاطئة السائدة في مصر، ونقادي الاستمرار في إسح ونداول أي مواد عديمة محالة لاشتراطات الجودة الصحية، من أهم خطوات بداية تطبيق مصر لإحداث استراتيجيات التغذية، توصلت إليها الدراسات لعلمية هي الدول المتقدمة

وتضم هذه الاستراتيجية، ست قواعد أساسية تكامل فيما بينها، لتحقيق هدف التغذية للمستهلك، وحمايته من المخاطر والأمراض المختلفة، ويمكن اعتبارها أساسا لخطه تصبح مسار التغذية في مصر.

## من المتوقع أن تتجه الدراسات العلمية قريبا إلى محاولة تطبيق خبرة وبراعة علم قدام المصريين، في مجال تنفيذ أحدث ما وصلت إليه الدول المتقدمة من قواعد استراتيجية، لحماية الصحة العامة من مخاطر أخطاء التغذية

### التكنولوجيا... ضرورة!

إن استخدام التكنولوجيا لمخطوطة والمتقدمة في إنتاج الأغذية، ليس بالضرورة أن يحقق دائما أعلى درجات الجودة الصحية للأغذية المنتجة، فعلا، أدى استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في تحمير الأغذية إلى تعرضها لدرجات عالية من الحرارة مما ساعد على تكوين كمية كبيرة من مادة الأكريلاميد الصادرة بالصحة فيها، ولقد أثار ذلك مخاوف المستهلك في العالم خلال الشهور الماضية، وأحدث تأثيرا كبيرا على نظم تغذيته، ونوعيه ما يتناوله من طعام.

لذلك لم يغب عن أذهان المتخصصين في التغذية، إلى استنكار نظم جديدة لتسبيل فيها بعض المعاملات التكنولوجية عالية التطور، بأخرى يقل فيها تعرض الأغذية إلى ظروف تصنيعية قدسية من الحرارة العالية وغيرها، والحدير بالملاحظة، أن مثل هذه الأغذية المنتجة بالتكنولوجيا الأقل تطوراً، سوف تتميز بأرقامها الغذائية وبإلتزامها مناسبتها للواعد الصحية، المناسبة، التي تهدف الدول المتقدمة إلى تطبيقها.

وحيث إن الطعام المرتفع في قيمته الغذائية، يقل عدد ملاحظته لاستهلاكه الأمي، فإن مثل هذه الأغذية المعيدة صورياً، والنصح بالتكنولوجيا لاسفلها، لن تمسح للتصدير لمسافات بعيدة، فتتفصل بالتالي داخل نطاق الاستهلاك المحلي في الدول المتقدمة، ويميد في مبال

وتحقيق أقصى مسؤولياتها الصحية العامة للمستهلك، قد توك مع ظهور اتجاد يدعو لإعادة دراسة الأسس والقواعد التي كانت قائمة في نظم تغذية قدام المصريين، على أساس أن البشرية قد سبق وتعلمت منهم الكثير في كل علوم الحياة والعرف، وإن ما يتحضر له الإنسان الآن في الدول المتقدمة من أمراض ومخاطر ناتجة عن التغذية الحاطنة، ما تارغم من عصر التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يعيش فيه، يستلزم محاولة علمية جادة للاستفادة من براعة وعلم قدام المصريين في هذا المجال، والتعرف على أفضل ما توصلوا إليه من نظم غذائية صحية، ليتمك من إسعاد إنسان القرن الحادي والعشرين بحيث يخلص من الأخطاء تغذيته، ليضمن صحته من الأمراض

ومن المتوقع أن تتجه الدراسات العلمية قريبا إلى محاولة تطبيق خبرة وبراعة علم قدام المصريين، في مجال تغذية أحدث ما وصلت إليه الدول المتقدمة من قواعد استراتيجية، لحماية الصحة العامة من مخاطر أخطاء التغذية.

ولاشك أن هذا الاتجاه الحديث سوف يجعل مصر، على قمة قائمة الدول، التي يسهل عليها سرعة تطبيق هذه الاستراتيجيات الصحية لتحقيق التغذية السليمة، بشرط أن تبدأ مصر في إعادة إظهار وتنمية عاداتها الغذائية الصحية، القديمة التي كانت سائدة من قبل، والتمسك بكل ما كانت تحتويه من مكونات صحية، مع التخلص من كل الباع والمفاهيم الحاطنة في التغذية والتي

عنها وفاة أكثر من ٥ آلاف حالة سنويا (بدلاً من ٩ آلاف حالة كانت مسجلة من قبل سنويا).

ومع أن هذه الوباءات الممثلة خاصة بالوضع الغذائي في أكثر الدول المتقدمة صحياً، والتي تخضع فيها الأغذية لاشتراطات قاسية للتأكد من نضام سلامتها، بل وتمازج فيها أدق إجراءات الرقابة الصحية على كل ما يتناوله المستهلك من أطعمة محلية ومستوردة، إلا أنه يمكن اتخاذها أيضاً مؤشراً على مدى خطورة وسوء الحالة الصحية المتوقعة في الدول النامية التي تعاني أصلاً من ضعف وقصور في وسائل رقابة وفحص وتحليل الأغذية، وتكثر فيها أخطاء التغذية التي منها تناول أطعمة محتوية على مكونات عديدة، غير مطابقة للاستهلاك الأمي.

وإذا كانت الدول النامية لم تظهر بعد الاهتمام الكافي بهذه المشكلة، هالدول المتقدمة قطعت شوطاً كبيراً في جهودها العلمية للتحقق من كل مصادر أخطاء التغذية التي مارلت قائمة فيها، وذلك لضمان تحقيق السلامة الكاملة لكل ما يتناوله المستهلك من أغذية ومستجات المختلفة، وتم بلورة هذه الجهود العلمية في صورة استراتيجية حديثة للتغذية الصحية تحمي صحة المستهلك من مخاطر الإصابة بالأمراض.

ومن المثير للاهتمام، أن اهتمام الدول المتقدمة بوضع هذه الاستراتيجية الحديثة لتصبح مسار التغذية فيها

شهدت السنوات الأخيرة من القرن العشرين، تقدماً وتطوراً كبيراً في مجالات زراعة وإنتاج وتصنيع وتعبئته وتجارة الأغذية ومنتجاتها المتعددة، ومع أن هذا التقدم قد حقق فوائد كثيرة للإنسان، من توفير احتياجاته الغذائية لهائلة، التي تتناسب مع تصاعدها، وتخصيص هذه الاحتياجات على صور منتجات متنوعة ومستقرة، بل ومريحة في طريقة استهلاكها واستهلاكها، إلا أنه قد أحدث أيضاً مشاكل غير متوقعة من ناحية السلامة الصحية لتلك الأغذية، مما جعلها مصدراً لتعرض الإنسان للإصابة بالأمراض.

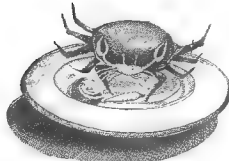
ونؤكد على ذلك، أشارت المجالات العالمية المتخصصة في علوم وتكنولوجيا الأغذية إلى تزايد عدد حالات المرضية ناتجة عن تناول أغذية غير مطابقة لاشتراطات الصحية ومخالفة لقواعد الإنتاج الصحي، بالرغم من أن انتاجها قد تم باستخدام التكنولوجيا المتطورة

ووصلت أعداد هذه الحالات المرضية، خلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين في أمريكا وحدها إلى أكثر من ٨٠ مليون حالة سنويا، تضمنت أكثر من ٥ آلاف مريض منهم، بالإضافة إلى ما أحدثته من فقد في الإنتاجية الاقتصادية بلغ أكثر من ٦,٥ مليار دولار سنوياً.

وتكتسبة لهذه المخاطر الصحية والاقتصادية التي تسببها التغذية الخاطئة على منتجات مخالفة للجودة، وضعت الدول المتقدمة في أولوية مهامها المطلوب تحقيقها، ضرورة التخلص من كل العوامل المؤدية إلى إنتاج وانتشار تناول الأغذية ومنتجاتها الخاطئة لقواعد التغذية السليمة، حماية للصحة العامة وتقادي للخسائر الاقتصادية التي تسببها الإصابة بالأمراض.

ولتحقيق ذلك، اتجه اهتمام الدول المتقدمة قبل بداية القرن الحادي والعشرين إلى ضرورة اتباع كل الوسائل الممكنة لضمان السلامة الصحية لكل ما يعرض للمستهلك في أسواقه التجارية من أغذية ومنتجاتها المختلفة المنتجة محلياً أو المستوردة من الخارج.

وحققت هذه الجهود بعض النجاح في المحافظة على الصحة العامة الصحية ما تعرضه الدول المتقدمة في أسواقها للمستهلك من أغذية ومنتجاتها، وتؤكد ذلك ما ذكرته المجلة العلمية لإدارة الغذاء والدواء الأمريكية، من انخفاض عدد الحالات المرضية التي أصيب بها المستهلك في أمريكا نتيجة التغذية الخاطئة على طعام مخالف لاشتراطات الصحية، حيث وصل عدد هذه الحالات إلى أكثر من ١٧ مليون حالة سنوياً (بعد أن كانت ٨٠ مليون حالة سنوياً)، ونتج



الحدود المقبولة عالياً للاستهلاك  
الأمسي.

وبهذا يتم فعليا المحافظة على صحة  
وسلامة المستهلك، وعدم استنزاف قدراته  
الشراعية، فيما لا يحق له الاستفادة  
العديدة المطلوبة.

## طعام صحي... كيف؟

تصنعت احدث استراتيجيات للتغذية  
الصحية، ضرورة وضع برامج قوية لمنع  
الإصابة بالأمراض التي تسببها الأغذية  
المخالفة لاشتراطات السلامة الصحية  
ولقد بدأت دول أوروبا وأمريكا في وضع  
وتنفيذ هذه البرامج، لتضاد أي ضلالت  
مرضية من تناول الأسماك، والأغذية  
البحرية الأخرى، والفواكه، والخضروات،  
والعصائر، والبيض، واللحوم، والدواجن،  
وعبرها من المنتجات الأخرى، بما فيها  
أغذية التمسلي والأغذية المنسنة مثل  
الحبوب والبقول.

وتعبر برامج منع حدوث الأمراض  
الناتجة عن التغذية الخاطئة عاليا،  
باسم «هاسب، HACCP»، وهو اختصار  
للمصطلح الإنجليزي تحليل مصدر  
خطر نمط التحكم الحرجة. وفي هذه  
البرامج يتم تحديد كل مصدر الخطر  
الصحية التي من المحتمل أن تتسبب في  
الإصابة بالأمراض المعدية، ويجري  
التعرف على أماكن تواجدها في خطوات  
عملية الإنتاج والتسويق العدائي، وغيرها  
من أي عمليات تكنولوجية تتعرض لها  
الأغذية حتى تمام استهلاكها. ثم توضع  
الأساليب والوسائل المناسبة للتخلص  
من هذه المصادر الخطرة وإزالتها من  
خطوات الإنتاج الغذائي، بما يعني عدم  
تواجدها في أي عداة منتج، فتصبح كل  
الأغذية خالية تماماً من مصادر الأضرار  
الصحية.

وللصقا على أي فرصة قد يتكرر  
منها خطأ يظهر أي مصدر خطر في  
إنتاج الأغذية، يجب ضرورة وضع برامج  
إضافية تكون حاصلة بالإنذار المبكر،  
لضمان سرعة اكتشاف أي احتمال قد  
يجعل من غذاء معين، مصدر خطر  
يسبب إصابات مرضية للمستهلك.  
وهكذا يؤدي تطبيق نظام «الهاسب»،  
في إنتاج الأغذية الزراعية والحيوانية  
ومنتجاتها للصنع، إلى ضمان سلامتها  
وصحتها، وخلوها من أي مواد صارة  
سواء كانت هرمونات، أو مبيدات حشرية،  
أو مستحضرات بيطرية، أو مضادات  
حيوية، أو سموم، أو ميكروبات، أو  
فيروسات، أو إصابات غير مصرح  
باستخدامها أصلاً في المجال الغذائي

## زيادة استيراد المنتجات الغذائية من جميع دول العالم - وهو الملاحظ الآن في مصر - يؤدي إلى احتمال تزايد مصادر الخطورة الصحية للمواطن الذي يتسائل هذا الكم الكبير من المنتجات الغذائية المستوردة



من خلالها تقرير مدى قبولها من الدولة  
الموردة.  
ولاشك أنه يتواجد مثل هذه  
المواصفات المحلية صالحة الجودة  
الصحية، فإن كل مورد أحسب سوف  
يحاول يدل أقصى جهود لكي تتوافق  
مواصفات منتجاته مع هذه الاشتراطات  
عالية المستوى، لكي ينجح في تسويق  
منتجاته في كل دول العالم، وهو ما  
يحمي صحة المستهلك من مخاطر  
العدية الحاطة بنوعيات غير سليمة  
من الأغذية المستوردة.

وبالرغم من الاستراتيجيات الحديثة  
للتغذية الصحية، تؤكد على أهمية  
تحقيق مفهوم حماية المستهلك، وهو ما  
سوف نتعرض له هذه الاستراتيجية في  
نقطة مستقلة قادمة، إلا أنها هنا،  
وارتباطا بسلامة الأغذية، تركز على  
أهمية ضمان الجهات المحلية الصحية في كل  
دولة للحدود الناعمة لجميع المنتجات  
الغذائية المحلية والمستوردة المخرصة  
للمستهلك، ومن غير القبول، أن يجهد  
المستهلك نفسه في التعرف على أفضل  
ما يعرض في أسواقه من أغذية مطابقة  
للاشتراطات الصحية، لأن ذلك يعتبر  
من مهام الجهات الصحية المحلية، فكل  
ما يتواجد في الأسواق التجارية من  
أغذية، يجب أن يكون متساوياً تماماً في  
مدى صلاحيتها وسلامتها، ولا تقل عن

وبالرغم من صالة الواردات الغذائية  
للدول المتقدمة، وبالتالي ضعف احتمال  
تعرضها لنفس مشكلة الدول النامية  
الخاصة بعجز قدرة معال الرقابة  
الصحية على اكتشاف المنتجات المستوردة  
المخالفة، فإن أسس الاستراتيجية  
الحديثة للتغذية، ضمانا لسلامة  
المستهلك، تعتمد على عدم التوقع الدائم  
تتمام قدرة جهات الرقابة الصحية في  
أي دولة في العالم، من اكتشافها لكل  
العدية المخالفة عند مئناذ الدخول  
المحلي للدولة.

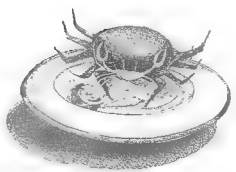
وكتتبع لذلك، يوصى حديثا  
بضرورة العمل على تواجدهات الرقابة  
الصحية المحلية، في الدول التي يتم  
منها الاستيراد الغذائي، بهدف القيام  
بمحصن ورقابة الأغذية في مواقع  
إنتاجها، والتعرف فعليا على مدى تطبيق  
قواعد السلامة الصحية في الإنتاج  
المصدر للدولة المستوردة له.  
ومى الطبيعي أن تواجده الرقابة  
الصحية المحلية، في دول الاستيراد  
العدائي، ضمن قواعد استراتيجيات  
التغذية الصحية. سوف يركز أساسا  
على نوعيات محددة من المنتجات  
العدائية التي تمثل أعلى درجات مصادر  
الخطورة على المستهلك. أما باقي أنواع  
العدية المستوردة فيبقى بالإعلان على  
أفضل درجت جودتها الصحية، التي يتم

ومع زيادة ندعيم مسانح الأبحاث  
الحديثة في الدول المتقدمة لإنتاج  
العدية الأقل تصنعها والأبسط في نظم  
تصنيعها يجب أن يبدأ مصر، ومن خلال  
مرامحها الطموح الخاص بتحديث  
الصناعة في اختيار أفضل وسائل  
التكنولوجيا الأكثر ملاءمة للهدف  
المطلوب تحقيقه غذائيا، وهو المحافظة  
على المحتوى المعدى للطعام، ليتناسب  
ذلك مع اشتراطات التغذية الصحية، مع  
العد عن إنتاج النوعيات الغذائية عالية  
التطور التكنولوجي، والصارفة هي  
محتواها المعدى، والتي تعتبر على قائمة  
المنتجات التي تعمل على انتشار أخطاء  
التغذية الأكثر ضرراً على الصحة العامة  
في الدول النامية

## تحدد مطلوب؟

أدى التغير الحاد الذي حدث في  
طبيعة الواردات الغذائية في مصر ودول  
العالم إلى ظهور نظم التغذية الخاطئة.  
ففي الماضي كانت الواردات تتركز أساسا  
على المواد الخام التي تخضع في الدول  
المستوردة للمزيد من الفحص والتقييم،  
قبل استخدامها في إنتاج الأغذية، مما  
يسهل من التأكد من جودتها وسلامتها  
للاشتراطات الصحية، وبالتالي دخولها  
عمليات الإنتاج الغذائي المضم للتغذية  
السليمة.

بينما تزداد حاليا نوعيات الواردات  
الغذائية المجهزة تماماً للاستهلاك  
والتناول المباشر، وهو ما يعني صعوبة  
اكتشاف حقيقة جودتها الصحية، وما  
تحمله من مكونات قد تتعارض مع قواعد  
التغذية السليمة التي تهدف كل دولة إلى  
تحققها، وهذا أصبحت طبيعة الواردات  
الحاضرة من المصادر المحتملة الحديثة  
لاضرار التغذية الخاطئة.  
وبعيدا عن نوعية الواردات الغذائية،  
فإن زيادة استيراد المنتجات الغذائية من  
جميع دول العالم، وهو الملاحظ الآن  
في مصر، يؤدي إلى احتمال تزايد  
مصادر الخطورة الصحية للمواطن  
الذي يتسائل هذا الكم الكبير من  
المنتجات الغذائية المستوردة وقد  
يرتبط ذلك بالقدرة المحلية المحدودة  
لجهات الرقابة الصحية، مما يعني  
انخفاض نسبة المنتجات المستوردة التي  
تستطيع معال المصدر، في الدول  
النامية، اكتشاف مخاطرهم الصحية،  
بسبب تزايد كمياتها وتعدد نوعياتها  
المخرصة للمستهلك في أسواقها  
المحلية.



## من غير المقبول أن يجهد المستهلك

نفسه في التعرف على أفضل ما يعرض

في أسواقه من أغذية من الناحية الصحية.

لأن ذلك من مهام الجهات الصحية. فكل ما

يتواجد في الأسواق من أغذية يجب

ألا يقل عن الحدود المقبولة عالمياً

مثل المورمالين والصبغات الصناعية وغيرها.

ونتيجة لهذه تطبيق هذا النظام العالمي في دول الاتحاد الأوروبي وأمريكا وغيرها من الدول المتقدمة. لتحقيق استراتيجية التغذية الصحية. ثم إجراء المصالح الصحي الدقيق لكل الخطوات التي تتبع فيها حلل زراعية وإنتاج وإعادة وتحضير وتصنيع المنتجات الغذائية. بما فيها عمليات دمج حيوانات اللحوم والدواجن. وتجهيز منتجاتها المختلفة

وعند مقارنة نتائج هذا المصالح الصحي الدقيق بالاشتراطات الواجب توافرها في الأغذية الحديثة من الأضرار. تم بسهولة تحديد أماكن تواجد مصادر الخطورة الصحية في إنتاج الأغذية مما ساعد على اتخاذ الإجراءات التكنولوجية المناسبة والمعالجة لتحل محل هذه المصادر الخطورة. مع وضع ساليب وطرق القياس والمعايرة التي تمكن أجهزة الرقابة من سرعة اكتشاف أي تكرار لمصادر الخطر. تنصح كل الأغذية الناتجة خالية تماماً من الأضرار.

وتكتمل هذه الإجراءات. بوجود النظم الحديثة الأكثر فاعلية والأسرع تنفيذاً. للكشف المبكر عن أي حالة مرضية تسببها الأغذية. قبل أن تنتشر تأثيراتها الضارة على الصحة العامة. ومن هذه النظم. ما بدأت أمريكا وأوروبا في استخدامه ما يعرف بمجموعة الحمض النووي (دي. إن. إيه. IDNA) لعينة تؤخذ من المريض. وتُقارن بمجموعة الحمض النووي للبروتينات التي توجد فيها. مع عينة مريض آخر. أو عينة غذاء. بهدف سرعة التعرف على مصدر العدوى لأي حالة مرضية. قبل زيادة انتشار الإصابة بها

ويؤدي تحديد مصمم المجموعة الحيوانية. على سرعة اكتشاف الجهات الصحية لأي حالة مرضية تسببها الأغذية. وبالتالي تتمكن من سرعة اتخاذ الإجراءات الفعالة السليمة لتتخذ انتشار هذه الحالات المرضية وعند بداية تطبيق نظام «الهاسب» لإنتاج الأغذية الخالية من الأضرار. يجب تحديد لأي أغذية ومنتجاتها التي تحمل أكثر مصادر الخطورة الصحية على المستهلك. وبالتالي تصبح مناطق إنتاجها على قائمة أولوية التنفيذ العملي لنظام الهاسب.

ومع وضوح الأهمية الصحية لكل صيغ النظام الغذائي الحديث «الهاسب» أساساً لإنتاج الغذائي في مصر. فإن له أيضاً فائدة اقتصادية مهمة. تتركز في عدم اشتراك أي كمية من أي غذاء تحالفت اشتراطات السلامة الصحية

والأطفال الصغار إلى عدم تناول أسماك التونة والمأكولات وغشها لتضاد الإصانة بالتسمم بالزرنيخ. وبما لا يمتد تصدّي جهات الرقابة الصحية لتهدد لمشكلة بالتصحيح أو الإصلاح. تحولت منتجات التونة والمأكولات التي تشتمل وحيات معدية غير مكيفة للمستهلك إلى مشكلة عادية تزيد من محاربه وحيرته حول نوعية مهمة وحول هذا الموضوع. كان يجب سرعة إزالة مخاوف المستهلك بتدعيم المعلومة الصحية ليُعرف أن تعرض أسماك المحيطات والبحار لتلوث بإعادة ميتيل الزرنيخ ليس بامر حديد. همد أكثر من ٢٠ عاماً وبعض الدول المتقدمة توجد بها تحديات للنساء اللاتي هن من الحمل والمرضعات والاطفال أقل من سن ١٠ عاماً من تناول أكثر من وجبة واحدة أسبوعياً من بعض اسماك المحيطات والبحار.

كذلك كان يجب سرعة علاج نتائج ما تم تحليله من منتجات الأسماك لتوافر في الأسواق المصرية. وحمود ما يوجد فيها فعلاً من مادة ميتيل الزرنيخ وعسى توافق ذلك مع الاشتراطات الصحية لتهدد الأسماك. لمساعدة المستهلك على حسن اتخاذ قراراته الصحيح في التغذية السليمة الآمنة بدون مخاوف

وبمن خلال الأبحاث. أنه منذ أكثر من ٣٠ عاماً. وفائدة المكون الغذائي السليبيوم ضد أضرار الزرنيخ معروفة تماماً. وقد تكون معجزة للمستهلك. أن يعرف أن العديد من الأسماك التي تحتوي استهلاكها على نسب عالية من الزرنيخ الصغار. يوجد بها أيضاً مستويات مرتفعة من السيليبيوم قد تصل إلى حدود ١٠. وهو ما يساعد على بقاء هذه الأسماك بالرغم من وجود الزرنيخ المرتفع في أجسامها.

ولعل ذلك يوضح أن مخاطر الزرنيخ هي الأسماك. بل يتأثير محتواها الطبيعي من السيليبيوم المضاد للزرنيخ. ويساعد ذلك على تعويض تحرير الدول المتقدمة. منذ ٢٠ عاماً بعدم زيادة تناول أسماك المحيطات والبحار لبعض المنتجات الحساسة من الحواصن والمريض والاطفال. بحيث يتم تناولها مرة في الأسبوع. وليس الأمتناع عنه. كقصة

وهكذا يتضح مدى أهمية سرعة تقديم المعلومات الصحيحة لإزالة مخاوف المستهلك الناتجة من متاعته والمعرضة له وجبته الغذائية من «تأهات متكررة. لذلك تركز استراتيجيته التقديمية الصحية على حق معرفة المستهلك بكل المعلومات المؤيدة عن كل ما يتصل

الصحية للإنتاج الغذائي. مما يسبح للجمهور المصرية سهولة القبول في أسواق الدول المتقدمة فضلاً عن تحقيقه مما يمنع الفاقد الاقتصادي للأغذية وللصالحات الصحية العامة.

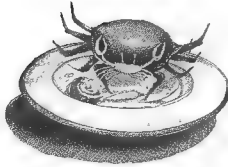
مخاوف المستهلك..

إلى متى؟!

مع أن تناول الطعام يحقق متعة طبعية للإنسان إلا أنه صبح يمثل مصدر خوف وقلق كبير على صحته بعد أن نجح الإعلام في ربط الطعام بكل ما يتعرض له المستهلك من أمراض ومشاكل صحية وتروءد حالياً بدرجة خوف المستهلك من تناول طعامه. بسبب كثرة ما يعلن عن المخاطر التي يحملها الطعام. ولا يتأهلها. من جانب آخر. ودود كافي من جهات الرقابة الصحية لإعاده الثقة بالطعام. أو لإبصاح مدى حقيقة ما ينسب للطعام من مخاطر وأضرار.

ومن أمثلة مخاوف المستهلك. التي أعادت له مخاطر الحبر والارتباك. ما أثاره الإعلام حول تلوث أسماك الزرنيخ. ودعوته للحواصن والمرضعات

وهذا يعني عدم اتفاق أي تكاليف في زراعة أو إنتاج أو تصنيع منتجات غذائية تكون غير صالحة للاستهلاك الآدمي. فضلاً عن حماية الصحة العامة. والمحافظة على البيئة لذلك لم يكن غريباً. أن تلتزم حديثاً دول الاتحاد الأوروبي بعدم عرض أي مادة غذائية للبيع للمستهلك (حتى لو كانت مجرد رغيف خبز). إلا إذا كان إنتاجها قد تم باستخدام النظام العالمي الجديد للإنتاج الغذائي (الهاسب). تأكيداً على ضرورة القضاء خالياً من الأضرار. وصمماً لحونه العامة. وحماية لبيته من باضر عمليات الإنتاج غير الصحي للأغذية الصارة ومن التقنيات الجديدة التي ظهرت مؤخرًا في مجال التجارة العالمية. وجود تشريعات تجارية أجنبية. تهدف إلى انقاذ استيراد الدول المتقدمة للمنتجات الغذائية (وبخاصة المواك والخضروات). من أي دولة لا تتبع في إنتاجها نفس اشتراطات ومعايير السلامة الصحية المطبقة في الإنتاج الأوروبي والأمريكي تستخدم نظام الهاسب. وذلك لتفادي مخاطر دخول أي أغذية ضارة إلى أسواقها التجارية ولعل ذلك يعني سرعة تطبيق مصر لنظام الهاسب الخاص بضمان السلامة



## تركز استراتيجية التغذية الصحية على حق معرفة المستهلك بكل المعلومات المؤكدة عن كل ما يتصل بطعامه من مشاكل، حتى يتعرف بنفسه على أفضل الأغذية المناسبة له، فيتم تناولها بدون خوف أو مخاطر مرضية

### المزول، في المطاعم والمنشآت التجارية المختلطة

ومع زيادة انتشار لوجيات المطاعم  
الجاهزة وما تقدمه من وجبات سريعة،  
تتضاعف أهمية دور جهات الرقابة  
الصحية، ليس فقط على ما تقدمه هذه  
المطاعم من وجبات يتم تناولها فيها  
بواسطة أعداد كبيرة من فئات المجتمع  
في مراحل عمر مختلفة، بل أيضاً إلى  
ظهور وانتشار خدمة نقل وتوصيل  
الوجبات الجاهزة إلى المنازل والمكاتب  
وجهاً العمل المختلطة، والتي أصبحت  
تُعرف في بعض الدول باسم وجبة  
الحمول، تمييزاً عن سهولة طلبها  
تليصوتياً، وسرعة حملها وتوصيلها  
للمستهلك في أي مكان يحدده،  
بواسطة عامل المطعم الذي يعرف باسم  
الطيار.

وإذا كان المطلوب زيادة درجة الرقابة  
الصحية على ما يتم تناوله من وجبات  
جاهزة في المطاعم السريعة للتأكد من  
اشتراطات سلامة التغذية الصحية،  
فإن المهمة تزداد خطورة بالنسبة للجهات  
على الوجبات المحمولة التي تشمل حالياً  
نوعاً استهلاكياً متزايداً، ويرجع ذلك  
إلى أن هذه الوجبات تحضر سريعاً داخل  
المطعم وتخرج منه بسرعة لتجذب أرباب  
الذم، معياً في عوالت لا تحمل أي ضمان  
للمستهلك، ولا توجد عليها أي بيانات  
تحدد له أدنى مستويات عملياً ما يتعرض  
له من مخاطر صحية، أو مخاطر  
لاشتراطات التغذية السليمة.

لذلك تستلزم استراتيجية التغذية  
الحديثة ضرورة الاهتمام بنظام دقيق  
للقابة الصحية على الوجبات المحمولة  
السريعة الجاهزة، وأن تعامل في رقابتها  
بأساليب مقارنة لما يتم على أي عيوات  
غذائية تعرض للمستهلك في الأسواق  
التجارية، ضماناً لسلامة الصحة العامة،  
وبالرغم من أن الولايات المتحدة  
الأمريكية هي أول دولة في العصر  
الحديث تطبق فكرة تسويق وجبات  
الطعام السريع في سلسلة مطاعمها  
المختلفة، وذلك منذ بداية النصف الثاني  
من القرن العشرين، إلا أن جمهور هذه  
الصناعة، بدأت في مصر منذ أكثر من  
٣٥٠ عام، حيث كانت الفنادق الصغيرة  
(الغلات) تقوم بتوفير خدمة تقديم  
العشاء والشراب للزجاج على طرق  
سمرهم، وتنتقلهم الأمر.

وبينما تواجه الآن المطاعم الأمريكية  
السريعة، حالات كثيرة من الرخص  
والانتقاص حتى من داخل أمريكا، في  
صورة تعاون قضائية زعمها مجموعة من  
المواطنين الأمريكيين ضد أربع من أشهر  
سلسلة شركات المطاعم السريعة، بسبب  
ما أحدثته وجباتها من أضرار صحية

الصحية المناسبة، التي تماثل تماماً  
أهمية التزامه بربط حزام الأمان في  
السيارة.  
ومن أهم العوامل المتغيرة والمؤثرة  
الآن بقوة على سلامة الأغذية مقارنة  
بالماضي، كثرة وتعدد أنواعها المتناولة،  
وإختلاف مصادرها حيث تأتي من جميع  
أنحاء العالم، وانخفاض نسبة ما ينتج  
منها محلياً فيصعب التحكم في جودته  
الصحية، وتزايد معدل تناولها جاهرة  
خارج المنزل بعد انتقال مسئولية  
ضمان سلامة الأغذية من المنزل إلى  
المنشآت التجارية التي تقوم بإنتاجها  
والتوزيع واستيرادها، وخروج جودتها  
الصحية من نطاق الجهود الشخصية  
للمستهلك إلى الوسائل والأساليب  
البشرية لكل من يتعامل مع الأغذية قبل  
أن يتناولها.



وفي ظل هذه العوامل فإن تأثير  
أخطاء التغذية على الصحة العامة لا  
يرجع فقط إلى تزايد وجود الإنتاج  
الكمي الهائل من الأغذية المستوردة  
وفعند منتجاتها في الأسواق المحلية، بل  
أيضاً إلى تضاعف أعداد المتناولين لهذه  
الأغذية على صورتها الجاهزة خارج

رمية واحدة ومن منطقة استهلاكية  
محدودة، كما يسرع خطا تعميم نتائج  
الدراسات البحثية التي تقوم بها جهات  
علمية على عدد قليل ومحدود من  
العينات الغذائية، سواء كانت نتائجها  
تشير إلى صلاحيتها أو خطورة  
استهلاكها.

## الرقابة على وجبات المحمول

شهدت نظم العديد في العالم  
تغيرات أساسية لها تأثير كبير على صحة  
المستهلك وسلامة أغذيته، ومع مساهمة  
جهات الرقابة الصحية في الدول  
المقدمة لهذه التغيرات بما يحافظ على  
سلامة العذاء، فإن الاستراتيجية الحديثة  
فيها تدعو أيضاً المستهلك إلى  
ضرورة تغييره لطبيعة تعامله مع المواد  
العذائية بما يتماشى مع متغيرات  
سلامتها الصحية، حماية له من مخاطر  
الإصابة بالأمراض، كما تدعو أيضاً إلى  
ضرورة الحذر والاحتراز في كل ما  
يتناوله خارج منزله من طعام ومشروبات،  
ولكن بدون أن يصل إلى درجة الخوف  
العذائي، حيث يكفي اتخاذ الاحتياطات

بطعامه من مشاكل، حتى يتعرف بنفسه  
على الفصل الأغذية المناسبة له، فيتم  
تناولها بدون خوف أو مخاطر مرضية  
وهي هذا الحال، فإن المستهلك  
يتعرض بصورة متكررة إلى إثارة مخاوفه  
من احتواء أغذيته المحلية والمستوردة  
على الهرمونات المستخدمة في إنتاج  
الدواجن واللحوم وايضاً الأسماك،  
والمبيدات والكيماويات المستخدمة في  
زراعة المحاصيل والخضروات والفواكه،  
والمواد الحافظة والمكسبات الصناعية  
للون والطعم والرائحة المضافة في  
المنتجات الغذائية ومشروبات المختلطة،  
والمواد الصارة المخالفة للصحة مثل  
المورمانين وغيره من الإضافات الممنوعة  
صحباً في اللبن والجبن وغيرها،  
والأغذية المهندسة وراثياً يصارها  
الصحية واحتمال ما توجد في المنتجات  
المحلية والمستوردة.

ومن الصور الأخرى لمخاوف  
المستهلك وعدم ثقته بطعامه، ما  
يتعرض له من خداع وعش فيما تحمله  
بيانات طاقة المعلومات الغذائية المحلية  
والمستوردة، وما تقدمه إعلاناتها التجارية  
من محاولة لحقيقة تركيبها وما تحتويه  
من مكونات معدية

وتزداد درجة هذه المخاوف مع غزو  
الأسواق المصرية بمستجبات العوالة  
العذائية، التي تم إنتاجها بتكنولوجيا  
متطورة، يصعب على النظم العامية  
للقابة الصحية، كشف ما بها من  
مكونات مخالفة وتحديد درجة خطورتها  
على صحة المستهلك  
وللقضاء نهائياً على هذه المخاوف  
العذائية التي تتعارض مع تحقيق قواعد  
التغذية الصحية للمستهلك، تعتمد  
الاستراتيجية الحديثة في الدول  
المقدمة على ضرورة الكشف الدائم عن  
مستوى ما قد يوجد فعال في الأغذية  
من هرمونات أو مبيدات أو ملوثات أو مواد  
صناعية أو مواد غير مسموح بإضافتها  
أو مكونات متخذه بالهندسة الوراثية  
وغيرها وذلك باتباع الطرق والأساليب  
العلمية الصحيحة

وتطبيقاً لذلك يجب تحليل عيادت  
من جميع المنشآت الصناعية الحام  
والصناعة، المحلية والمستوردة في مختلف  
مناطق محافظات مصر، بما يضمن أخذ  
لكمية من عدد العينات وتكرار الحصول  
عليها على فترات زمنية طوول العام، بما  
يعطي صورة حقيقية عن الوضع الصحي  
للأغذية في الأسواق المحلية، وإعلام  
المستهلك بذلك، ليتمكن من معرفته  
بالأغذية الصالحة لتناولها،  
ولعل ذلك يوضح خطا الحكم على  
صلاحية أي غذاء من نتائج تحليل عدد  
قليل من عيناته التي أخذت في فترة

# كتاب الزواية



## الإشارات الإلهية

الهم كثر غَلَطْنَا فيها، وصالَ لِعَطْبًا علينا، واشتدَّ الضعف بنا، ونادى مبادئ العزِّ بذلتنا، ودلَّ دليل الهتك على فضائحتنا، وامتدت حيرتنا فيها، وترادفت حسرتنا منا، وارادت نظرنا إلينا، وشتمت بنا عدونا، ووجد السبيل نحونا حاسداً وأصبحنا بين خلقك ملعوظين بالمت والشان، موطوئين بالقسوة والدعوان، مقروفين بالكذب والنهتان.

الهم: فُجِدَّ علينا منك ما يسيلنا عما حرمتنا منهم، وميزنا بلطيف لطفك عنهم، وعزَّزنا بعزيز عزك حتى لا نرى عز العزيز بفقر عرك، وقد همننا إليك واصرف مهمت عما لديك، واهمل معنا في الآخر نظير ما بدأت به في الأول، إنك المجيد الكريم ذو الفضل العظيم

يا هذا: إني أرى ما ترى، فهل ترى ما أرى؟ أنت من هذا الوري، تديم المسزى، ولا تحمد صباح المسزى: أرى جملة: أنوار الخالق عليها ساطعة وأخبار الخلق عنها قاطعة وذلك أنها تُفَضِّلُ مصدوقة لسان التزويق، وتُصَمِّسُ مكذوبة بلغات التحقيق، تمر في التهم كالريح، وتقف حرونا في مساكين التطويج، متوقفة لعلامات التصريح، أو أمارات التلويح، ومن أعاجيب نعتها، في كل مكانها ووقتها، بها تتحرك على نفسها، وتُرى الزيادة في نقصها، إن فعلت فعلت سرفها، وإن تركت تركت صلفها، وإن نطقت نطقت تمويهاً وإن سككت سككت تيهاً، إن أمنت أمنت اغتراراً، وإن خافت خافت اعتذاراً: وإن أبنت أبنت اقتداراً، وإن أجابت أجابت اضطراباً..

يا هذا: اسمع حديثي، وخذ من طيبتي وخبيثي، ربي حقيقته بالحق.

المعلومات، التي غالباً ما يكون أساسها العلمي ضعيفاً أو غير مؤكد تماماً. لذلك فإن استراتيجيات التغذية الحديثة في الدول المتقدمة، لا يمكنها بضروة اتباع مسحةم الإنترنت لنفس قواعد التعرف على صحة المعلومات الغذائية المقدمة للمستهلك إعلامياً، بل وقد تم أيضاً بعض الإشارات التي غالباً ما يستخدمها الإنترنت في تسويق منتجاتها القائمة على معلومات غير مؤكدة علمياً، وهكذا يتم توعية المستهلك لتضاد تعامله مع مواقع الإنترنت التي تبث معلومات خاطئة وتعرض منتجات لم تثبت فائدتها الصحية، بل وقد تخالف في حقيقتها ما ينسب لها من فوائد.



وفي مجال توعية المستهلك، ليكون حذراً من المعلومات الخاطئة لمنتجات الإنترنت، يجب أن يتقاضي التعامل مع أي معلومة تسويقية يوجد بها إشارة من الإشارات الآتية

1. التأكيد على أن ما يعرض من منتجات تكون (طبيعية) أو (غير سامة) أو (ليس لها أي تأثيرات جانبية) حيث إن هذه الصفات لا تعني بالضرورة أن المنتج آمن وغني بالمواد الصحية.
2. الادعاء بأن المنتج المعلن عنه جاء (نتيجة للتقدم العلمي الكبير)، وأنه (محصلة في العلاج)، وأنه (يحتوي على مكونات سر العلاج)، وأنه (يمثل الصحة الجديدة لأسرار العلاج القديم)، وغيرها من الإشارات التي تهدف لجذب انتباه المستهلك لمنتجات المعلومات الخادعة.
3. تعدد الفوائد المعلنه للمنتج الغذائي، ووصفه بأنه (علاج فعال للعديد من الأمراض) مع استخدام مصطلحات طبية لها صدى مثير لدى المستهلك، وبخاصة في علاج أمراض شائعة وخفيفة.
4. تدعيم المعلومات المعلنه عن فوائد المنتجات الغذائية بشهادات تقدير من بعض المواطنين، شديد بالتأنيج الدهلة التي تحققت لهم بتناولهم لهذه المنتجات، مثل هذه الشهادات لا يمكن اعتبارها بديلاً للمعلومات المطلوبة علمياً الناتجة من صحتها.
5. يقتصر عدم وجود بيانات كاملة عن اسم الشركة المنتجة للأغذية المعلن عن فوائدها الصحية، وعنوانها، وأرقام تليفوناتها، وغيرها من البيانات التي تحقق سهولة الاتصال بها، من الإشارات الإضافية على أن منتجات الإنترنت المعلن عنها مجهولة المصدر وأنها تعتمد على معلومات خاطئة تضر بصحة المستهلك فيجب تعادياها.

لهم، فإن مصر القديمة منذ آلاف السنين، كانت تقدم الوجبات الصحية الحاضرة في صورها المختلفة لذلك فإن مصر، تاريخياً، هي الأجر للقيام بتقديم وجبات جاهزة، باستخدام المكونات المحلية المتوفرة، تمثل نماذج صحية للوجبات السريعة المحمولة، التي يقبل عليها حالياً المستهلك داخل وخارج منزله.

## رسالة مطلوبة للمستهلك

من الجوانب الأخرى لاستراتيجية التوعية الصحية في الدول المتقدمة زيادة برامج توعية المستهلك التي يمكنه من التعامل الصحيح مع كل ما تقدمه وسائل الإعلام، والإعلانات التجارية، وسطقات الصوتيات المرئية، من معلومات، بقوة تأثيرها على معاهيمه بما قد يمر من اتباعه لقواعد التغذية السليمة.

ولتحقيق هذا الهدف، وضعت استراتيجية التغذية الحديثة في الدول المتقدمة مواصفات يستخدمها المستهلك بنفسه لتقييم أي معلومة غذائية يعرضها الإعلام، والتي عند مخالفتها لأي شرط من هذه المواصفات، يجب إهمالها لتضاد مفهومها الخاطئ الضار بمقواعد التغذية الصحية، كما يفيد تطبيق المستهلك لهذه المواصفات، على حل مشكلة التعارض في المعلومات الغذائية التي يكثر وجودها إعلامياً، وتسبب صعوبة اختياره الصحي للوجبات الغذائية.

وعلى ضوء مواصفات توعية المستهلك لتعريفه بالمعلومات الغذائية الصحيحة التي يجب أن يتعامل معها عند وجودها في الإعلام، أن يكون مصدرها الأساسي المعلن مجلة علمية عالية متخصصة في علوم التغذية والصحة، وأن تكون ناجدة عن دراسات عديدة وليس مجرد دراسة واحدة فقط، وأن تكون هذه الدراسات قد أجريت فعلاً على الإنسان وليس الحيوان فقط، ولم فيها تغذية أعداد كبيرة جداً من الرجال والنساء لمدة زمنية طويلة بالكمية المألوفة والمعتاد تناولها من الغذاء موضوع الدراسة.

والى جانب وسائل الإعلام المعروفة من صحافة وإذاعة وتلفزيون وصناعات، فإن معلومات الإنترنت أصبحت تمثل مصدراً آخر له تأثير قوي على مدى اتباع المستهلك لقواعد التغذية الصحية، لأنها لا تقتضي فقط بتقديم معلومات، بل وتعرض معها منتجات غذائية يعتمد تسويقها على فوائد مرتبطة بهذه







## ماذا يتعلم أطفال إسرائيل؟!

أنطوان شلحت

الإجابات تراكفت شخصية العري مع خائف الأولاد. والمخرب والمجرم. وأشباه ذلك.

٢. تجريد شخصية العريسي تجريداً سلبياً (قوليتها). وهو تجريد مكرس في أدب الأطفال العبري. طابع على الأسئلة الحمسة التي تطلب إلى

الطلاب الإجابة عليها. فهي حوائى ٨٠ بالائة من الإجابات تطارت تشابه العري في العبارات التالية. يعيش في الصحراء. وصنع الخبز. ويلبس الكوفية. وراعى بقرة. وفو سحنة محبة. وفي وجهه ندبة. وقدر وثق. وتحدث منه راحة كريمة. وغيرها.

٣. الجهل التام. بين أوساط الطلاب اليهود. لشكل العري وميئته وهندامه وتاريخه وعاداته. فيعصر الطلاب قال إن العرب «أصباح شعر أحمر». فيما أكد البعض الآخر أن العرب لهم ذيول.

٤. تسعون نائمة من الطلاب يتنكرون لحق العرب في البلاد ويؤمنون بأنه ينبغي قتلهم أو شنهم أو نرحيلهم.

٥. حقت فلاتن من الطلاب حاولوا شرح أسباب النزاع مع العرب بقدر مناسب من التمهيد. فيما اكتفى باليقون بجمال

مكتسبة ومبتصرة من

اسرائيلي منذ الصغر ويكرس معه (ويكرس). كذلك. بتأثير من الواقع السياسي الاجتماعي الإسرائيلي). فما هي أحكام هذا الموقف؟ وكيف تتولد. تأثير من الأدب العنصري. لدى الأجيال المتتية؟ هذان السؤالان شكلا موضوع الاستطلاع الذي أجراه الأستاذ الجامعي

والباحث في ادب الأطفال. البروفيسور ادور كوهين. بين طلاب الصفوف الرابعة والخامسة والسادسة في مدارس حيفا وقد أرفق الباحث نتائج الاستطلاع بمقدمة كتاب له حول انعكاس شخصية العري في أدب الأطفال العبري. (صدر في ١٩٨٥. عن منشورات «شعيم»). شارك

في الاستطلاع (٥٢٠) طالباً حيفاوياً من الصفوف المذكورة طلب إليهم أن يكتبوا حول خمسة مواضيع. وهي: أولاً. ما هي التناصيات التي يثيرها سماع كلمة عري؟ ثانياً. كتابة قصة أو وصف قصير أو موضوع إنشاء حول لقاء مع عري.

ثالثاً. تلخيص كتاب قراءه وينطوي على وصف للعري. وشرح مؤثراته عليهم رابعاً. محاولة شرح أسباب النزاع مع العرب. خامساً. المجاهرة بأرائهم فيما إذا

كان إجازة السلام ممكناً. وفيما إذا كان ممكناً قيام حياة صالحة وتعاون مع العرب أظهرت نتائج الاستطلاع ما يلي:

١. مستوى الجوف من العريين عال بشكل مدهل. ففي أكثر من ٧٥ بالمائة من

القصص أوست. الدعاية الأولى. هي تشييد الموقف التمنيطي القبول من العري. مجرد كونه كذلك. وهو ما وأصلته سلاسل قصص أخرى يصعب حصرها خصوصاً في الخمسينيات والستينيات وحتى أواسط السبعينيات من القرن المنقضي.

وهناك دراسات عديدة ترصد تأثير تلك السلسلة على الطفل الإسرائيلي والتأثيرات العميقة التي تركتها عليهم من عنصرية وكرامية بالة العمق للعرب لجدد كونهم عرب مع ملاحظة أن هؤلاء القراء اليهود الصغار أصبحوا في الوقت الحالي هم الجيل المتحكم في مختلف مؤسسات الدولة الإسرائيلية عسكرياً ومدنياً



استطلاعات الرأي التي جرت في إسرائيل حول هذه السلسلة من كتب الأطفال على مدى زمني طويل تشير إلى الأخرى إلى مدى التأثير العميق الذي تمارسه على أطفال إسرائيل.

لعل أكثر مميزات. يمكنه أن يخصص النمط اللعين هذا من الإدراك والتفكير أن الموقف من الأعداء العرب. من حيث أن هذا الموقف يتربى عليه كل يهودي

صدرت في إسرائيل. مؤخراً. طبيعة جديدة من سلسلة قصص الفتيان. حسمياً. لمؤلفها يعال موسينزون. وهي من أوائل سلاسل قصص الفتيان المكتوبة باللغة العبرية بعد ١٩٤٨ ويمكن إدراجها ضمن «جانر. كتب الحامرات المثيرة. الذي كان شائعاً إلى

أقصى الحدود في تلك السنوات. وقد صدر أول كتاب من هذه السلسلة في ١٩٥٠ وظل مؤلفها يكتب حلققات جديدة منها حتى قبيل وفاته (هي ١٩٩٤ عن ٧٧ عاماً). بستوات قليلة. وأظهرت استطلاعات للرأي. أجريت في الخمسينيات من القرن العشرين. أن

قصص حسمياً. تبوات مرتبة متقدمة جداً في قائمة أكثر الكتب الشعبية التي يستهويها القراء الصغار. بين اليهود الإسرائيليين. إلى درجة أنها تفوقت على أشهر القصص الأجنبية لغتيان مثل. وينسون كروز. وجزيرة الكنز. وذا اليس في بلاد العجائب.

وساكس وموريس. ونوم سوير. وسعاون ألف ميل تحت سطح المياه. وغيرها. وكان للإنسان العري حضور بارز في قصص حسمياً. تلون بالعبسية العامة. العنصرية في جوهرها. التي تميزت بها عموماً «النظرة الثقافية الصهيونية حياله. بل إلى قمة أبحافاً كثيرة تشير. دون مداواة. إلى كون هذه



شعباً (آخر). أو في سبيل دفع ضريبة كالمالية أو لتظاهر بالدليالية، ولهذا طفت على تواجدهم سمات الصنعة والافتعال وبدا العربي في هذا النتاج شيئاً من أشياء العنصرية يجهل البعض فيها كحبب زهرة بريّة، ولم تحصل شخصية خصائص الحركة العردية المستقلة، بل ظل يتحرك في إطار الشخصية العربية المستحضرة لأغراض إسرائيلية مضنية. أغراض انتقاد المجتمع الإسرائيلي. مقابل هذا الاتحاد، وعلى التقيض منه، بدأت تتغلغل في قصص المغامرات الرائجة أفكار أرض إسرائيل العنصرية، لا فاطيل الحزبي لقصة الزنايون الصغار عادلون، لا أفندي كرميلس هو صبي يعيش مع والديه وأخوته في الضفة العردية المحفلة، والاحنية الحفوية، يتزدهر هنا وهناك، بل الضفة العردية، انتشار المستوطنات الكولونيالية بحكم أن «أية قوة في العالم ليس مستوطنة أن تقنع شعباً من وطنه»، ويشير بعض البروفيسور كوفين إلى أن غالبية كتاب قصص المغامرات اليهود يحملون أفكاراً مماثلة لأطفال أفندي كرميلس، والبطش منهم، الذي لا يوظف شخصية عربية، يضمن قصصه تشابه مهياة سلفاً توحى بموقفه من العربي. الآخر.

كشف العربي عن مكان سكناه، وقام البوليس بجمعته وأفراده عائلته عدة عشر سنوات ثم أخلى سبيلهم. ولدى توقف الباحث عند أدب الأطفال العبري وتأثيره على القراءة (وهو إجراء الاستطلاع والثالث في الاستطلاع) يخلص إلى القول أنه ضمن حصيلة كتب الأطفال المعروضة في السوق حتى تاريخ إجراء الاستطلاع والتي يقبل عليها القراء الصغار، لا تزال غالبية هذه الكتب نشوء شخصية العربي وتتميز بين أوساط قرائها مشاعر الكراهية للحرب والاستخفاف بقوتهم ومقدرتهم العقلية. ويرد الباحث ذلك إلى واقع أنه في السبعينيات والتسعينيات كان الاتحاد الطائفي يشكل ثام، على أدب الأطفال العبري هو اتجاه تشويه شخصية العربي. أما في التسعينيات (وتعديدها في أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣)، والشانينيات، فيتناجد بعض القصص النادرة التي تحاول أن تقدم بطلاً عابراً يمكن أن يكون ذاته الإنسانية، فاتحة الباب بذلك لتحول بسيط صوب التعامل مع شخصية العربي كإنسان وصاحب حق. ومن هذه الكتب النادرة أعمال دافود صومر وشاؤول تيمور دوريت وأردا وموشيه بنياي، إلا أن هؤلاء الكتاب، يؤكد الباحث حاولوا في قصصهم أن يتعاملوا مع العربي بطوى إيجابى في مواجهة نوع من حالة توبيخ الضمير (شعبيهم يستظهد

لص. محبوب. جلد غامق.. وكبد رابع رفض هو الآخر توقف لسمع، يبعثان مقتل أعر. وان جلسهم على كرسي كهرمانى وان نطقهم على أعواد الشناق. وبطورهم من البلاد. أنا كمان. وجواباً على السؤال الثاني (كتابة قصة أو وصف أو موضوع إنشاء عن لقاء مع عربي). كتب أحد الطلاب ما يلي: صعدت إلى الباص. جلست. صعد إليه عربي. وجلست معاداتي. فكرت فوراً أنه يجدر بي أن انتقل إلى مقعد آخر، انتقلت، وانتقل والي المقعد ذاته، وفكرت أنه يخطط ضدي شيئاً ما. هم العربي بالزئول. لكن السابق متعة وقام باستدعاء البوليس، الذي سافه إلى السجن، وكنت الطالب (ي.ع.)، ضمنما سافرت إلى القدس جلس معاداتي صبي عربي كان يستغل حذاء ممرقا ويردني ملاس رة. كان لونه أسود وتنبعث منه رائحة كريهة. فمقت من جواره لأنني لا أريد أن أجلس بمحاداته. وكنت (ج.ل.). سافرت في الباص، ورفاة جلس بمحاداتي صبي عربي. هممت أن أقوم. فقال أنه يسميني بسوء. رابت أن يحورنه سكيناً حاد. فجأة ولفقت على قدمي. فأخرج الصبي العربي السكين وحاول أن يقتلني. استهتته أرضاً وأخذت السكين، فجاءت تشبهاً مشبهها. فنقلت الأمر إلى سائق الباص. الذي اتصل فوراً بالبوليس وجاء البوليس فطلبت منه أن يحقق مع الصبي العربي. وفي التحقيق



سيد أن هذه النتاج هي الصنف الأول من الخصميرية التي تصفها الصهيونية في «عنيت رؤوس، مرديدها منذ الصغر. يبقى النصف الآخر، الذي لا يتقل أهمية، وهو ما ورد في إجابات الطلاب على أسئلة الاستطلاع وموضوعه، لتقديم أمثلة على هذا الصنف. يقدم، تالياً، نماذج مقتطعة من الإجابات، رداً على السؤال الأول (بشان التدايعيت التي يثيرها مجرد الاستماع إلى كلمة عربي). رد (رش) بقوله. - مجرم. يسج. يتن. راعي بشر. مخطف. لص غريب. فلاح. عامل بناء. وكنت (ي.ع.) أن حسنته غريبه. عصبى المزاج وسعدو شعر أخضر. شريس. محبوب. متشرد. وكنت ثالث رفض توقيع اسمه. إنه. عمو. خضير.

## من أطفال إسرائيل.. مع التحية

**أطفال الكيبوتس**  
 \* سأبدأ رسالتي بما يلي: لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ قولوا لي لماذا؟ لماذا؟ لماذا؟ ليس في مقصودكم أن توجوهوا إلى حكومتكم رسالة تتكون فيها أشياء يرسلونكم، انتم الأطفال، إلى العرب؟ الأمور عندما ليست على هذا النحو، إنني أشفق عليكم.  
 \* اعتقد انه ان الأوان لعقد جنة بين إسرائيل والفلسطينيين لكي تشدبر أوروبا معاً. الواحد مع الآخر.  
 \* إلى طفل فلسطيني، يبدو لي أنك تعرف ماذا يحدث في المناطق بيتنا وبينكم. نحن نريد سلاماً وربما انتم كذلك. على الأقل أنا أريد السلام، لأن هناك أناساً يموتون. فهل توافق أنت أيضاً؟ الأقل، على صنع سلام؟

أقلبس هذا هو ما نطلبونه. تمضوا. كلوا ما طهت ايديكم؟  
 \* حربي أشد ما تكرهه هو انتم العرب. رجلاً، نساءً وأطفالاً. الأولاد وفتياتنا. واحداً، واحداً، اكرهكم جميعاً. وسنركم المزيد، سنقتحم ونفجر ونقتل.  
 \* إلى محمد النتن. انتمى ان ثوت على أيدي الإسرائيليين وبأن تحترق اسركم جميعاً (واحد أيضاً) بنار جهنم ليترك تعرض بالإردي وتضوت. تحيا حتى عمر ٢١ سنة وتوت. الموت للحرب. ليت ذلك يتم!  
 \* اعتقد بأنك غبي. متخلف وأريد أن اقول لك إنك قمامة.  
 \* فتلة. ليحكم تمشون أيها التنتون. طابعكم خرائي ولديكم وجوه ساحرات وشربيات وأجساد عرب يشعون وعقريفي. انتمى لكم الموت يا أبناء الكلاب الضالة. فقط الموت!

استأن حادة. وأصاف يهود أن اتمنى لك الموت وأن تقترق إلى حياة جيدة. أما لا أحبك واكرهك بسبب كل العمليات التي تقومون بها ضدنا وأمل بأن تحترق؟  
 \* نحية إلى ياسر الشيخ. إذا كنت تعتقد بأنك ستتنصر فإنك تركبت خطا جسيماً. إليك نصيحتي. خذ سكيناً حاداً وأغرد فليك واهك البشة وفي أنيك واحك وحجر نفسك فتحنه!  
 \* إلى ياغا العريزة. أنتمى ان توتوى وتصبحى مريضة. انتظر ان توتوى سوية مع جميع افراد عائلتك  
**أطفال المستعمرات:**  
 \* لا توجد هنا إغراشات. فصط. انتفاضة. إنكم تحبون الحروب كثيراً. وهذا أعزده كراهية الإخوة. لا أننا جميعاً نشر. أنا عديم الأهمية في نظري. إنكم راداره. أغبياء محصلون. وسنظل نقصصكم حتى لا تقوم لكم قائمة

هذه عينة من رسائل كتبها أطفال إسرائيليون وتخليلوا أنهم يحتون بها إلى أطفال فلسطينيين.  
**رسائل أطفال المدينة:**  
 \* اتمنى لك ان توتوى وان تصبحى مريضة. انتظر ان توتوى. ولرب كل عائلتك توت.  
 \* نحية إلى العربية الفتنة. أما لا أحب ما تفعلونه بنا البشة - البشة - البشة. وسنرد لكم الصاع صاصين. ليحكم توتوى!  
 \* نحياتي لطلعه من شعب شريس. أرغب في أن أطلب منك أن تمولي لوالدك أن يكف عن الصفا وان يحل السلام. اتمنى لك العصف ان توتوى وان تشيخي.  
 \* نحية إلى محمد المرفط. كنت أحد الأطفال الذي رسم فلسطينياً في ربيعته الشام يبدو ملتحياً ودا



ومن هذه التشابه: «الراحة العربية، والعمل العربي، والتصرف مثل العربي، وغير ذلك، ويؤكد أن تأثير تلك التشابه على تكوين وعي الأطفال الصغار مماثل لتأثير الذي يمارسه اتجاه تشويه شخصية العربي بشكل مباشر. ويضيف كوهين أن قراءة هذا الأب القاسق هي ظاهرة عامة. ويؤكد كل فتى يهودي في إسرائيل يقرأ هذه القصص، وتكون لديه فكرة مسبقة، وحشية وخاطرة، عن الإنسان العربي، تكبر معه وتتكسر.

أما بالنسبة للسؤال الرابع (أسباب النزاع مع العرب) فقد أبدى الطلاب اليهود جهلاً مطلقاً في معرض إجابات عليه. ويؤكد الباحث أن الجدل هو ديفينة جيدة لنمو الأفكار المتطرفة الجامحة، وأخطر ما هي هذه الأفكار المتطرفة الموقف من السلام، وهو موضوع السؤال الخامس والأخير في الاستطلاع.

كتبت إحدى الطالبات الإسرائيلية، «حبيب رأبي يستحيل أن تتوصل إلى سلام، لأن العرب يكرهون اليهود، واللاتك للظفر في هذا الصدد، إلا أنني سأستمر في سلك دم اليهود إنهم يريدون السلام، واستنكفوا عن تصديق شروطه وموافقاته، وإمكانات تحقيقه، أما الرأي السائد عند هؤلاء ما برهنه الطالب (ع.ك.) الذي كتب يقول: «حبيب رأبي يجب طرد العرب من البلاد، إذا استمر في سلك دم اليهود مجرد كونهم يهوداً. يجب طرد عائلة العرب ومن طرد منهم قريته برمتها. العرب هم بفالياتهم كارهون لنا ولا نستطيع التوصل إلى سلام معهم لأنهم يعتقدون بأننا أخذنا أرضهم. أعتقد أنه يجب تقبل هؤلاء إلى أية دولة ممكنة، لأن لهم نول عربية ولنا فقط دولة واحدة، وسيبقى سلك الدماء في هذه البلاد، ويظهر أشخاص مثل كاهن كاهن ويطلبون، بحق، بطرد العرب من البلاد.

وفي نهاية الاستطلاع يقول الباحث إن الواقع الذي أظهره يحيطه ويهيئته، ويعلن كشره بمقدرة الأساليب التربوية الخفية في المدارس اليهودية على أن تشكل بديلاً إنسانياً، لهذا الأب القاسق. إن مرد إجابته، حسبما يؤكد، هو أن أدب الأطفال اليهود واقعاً يتروى في ظله، نمو عيشهم طفولة ساذجة بريئة، فضلاً عن أنه ينسى في نفوسهم مشاعر القلق والخوف من المستقبل.

(قبل تلك المقابلة)، وبشكل خاص فشل محادثات «كاسب ديميد، وانفجار الانتفاضة، تشكل الدافع الرئيس وراء النأي عن اعتبار السلام «غاية نبيلة»، تشمل متضمناتها ضمن ما ينسحب أن تشمل التأسيس لعلاقة معاصرة مع الآخر، فإنه لا يمكن، في الأحوال جميعاً، إسقاط تأثير العملية التربوية على تفكير هؤلاء الأطفال، إذا ما أخذنا في الاعتبار أن هذه العملية لم تتكيف ولا تظهر في الأفق المنظورة علام تشير إلى أنها سائرة في طريق التكيف مع واقع السلام.

ولذا لتفتي دلالة الخلاصة التي يتوصل إليها «شعري»، مع دلالة الخلاصة التي سبق أن توصل إليها «بار» «مال» بشأن تشابه المصمتع والسلام فهو ينول

«من ناحية نفسانية لم يكن توجهنا نحو اتجاه التوليع على اتفاق سلام مع الفلسطينيين اتجاه حقيقياً، لقد كان وفقاً لمفهوم هيأ» تتوصل إلى هدوء، بعد طول تعب، خلافاً للفهم العميق بأنه حدث هنا غير تاريخي ما للسطر الأخير ويتعين علينا إصلاحه لمصلحتنا... بلافة السلام كانت جوفاء وعصداً فهو ذلك على هذا النحو فإن انهيار اليسار الإسرائيلي لا يقصد مفاجئاً،

ارتكز بحث «شعري»، الذي جاء في إطار إنجاز أطروحة دراسته الجامعية في قسم علم النفس الاجتماعي في كلية لندن للاقتصاد، على لقاءات أجراها مع 84 طفلاً يهودياً في إسرائيل في الثامنة والتاسعة من عمرهم يدرسون في مدارس خاضعة لجهاز التعليم الحكومي في ثلاثية أحياء تجمعات سكنية (مدينة). يفتوح ويستوطنه كولونالية) خلال هذه اللقاءات طلب إلى الأطفال اليهود أن يشرحوا كيفية تفكيرهم للنزاع الإسرائيلي-ال فلسطيني وكيفية معاشيتهم له على مستوى الحياة اليومية.

وقد انطلق من الأساس الفكري نظرية أنماط التمثيل الاجتماعي، التي تقترح أن المجتمعات البشرية تتكيف لتتمسك نفسها سلم قيم معيناً من «هضم» الواقع المحيط بها، مهما تبلغ درجة جنون هذا الواقع.

وقد كانت الخلاصة الرئيسية التي توصل إليها هي ما يلي:

تصورهم «مفردة ملازمة لصفات سلبية وشديدة، أما بالنسبة لكتب التدرس العبرية فقد وجد هذا الباحث أنها لا تزال تمنى ما يصفه بأنه «تشبيهاً على الماضي، من غير أدنى تغيير، يتناسبه على الأقل، مع مستجدات عملية السلام»، وكتب في هذا الصدد يقول:

«يبدو أن السلام بقي خارج حدود المدرسة (الإسرائيلية) وظل من ينظر إليه بفعل ذلك بوصفه شيئاً ما يتنقى إلى السياسة وتختلف الآراء حوله، أو بوصفه انحرافاً طفيفاً عن المسار الطبيعي للتاريخ (الإسرائيلي) الحافل بالحروب... ولأن الحال هنا يقول ما جدوى تعبير كذب إذا كان السلام وفق المنظور السالف، فضلاً قصيراً أن يصعد طويلاً»

«أما كذب بار» «مال» برهن عليه، بالدليل الحي والموس، بحث آخر غير منشور حول موقف الأطفال اليهود في إسرائيل لا يتصور أن السلام، من حيث إشارته إلى كون هؤلاء الأطفال يقيمون حياً قاصداً على أساس من التضاد والانتقاص بين الموقف حيال العرب (الفلسطينيين تحديداً) والموقف حيال السلام. فيتميز يريون هذا المصطلح الأخير لا يتصور أن السلام، من حيث يتربط عليه مد جسور من التواصل الحميم مع العرب.

ومع أن هذا البحث «أسى شعري»، يجهد كثيراً في القابلة المطولة التي أدلى بها لمصنعي، وعرض غاؤون في ملحق «معاريف» الأسبوعي يوم 24/8/2001 - 2001، لكي نثبت أن أحداث السنة الأخيرة

وإذا كان بحث كوهين المذكور سابقاً قد توقف عند العام 1988، فإن مهاباً كثيرة قد جرت في الشهر، منذ ذلك التاريخ، كما يقولون. لكن من أجل إطلاقة، ولو شافية، على موضوع موقف الأطفال والأولاد اليهود من العرب سأؤخر بحثي آخرين،

١- في العام 1988، وإرتباطاً بالذكرى السنوية الثالثة لقتل اسحق رابين، رئيس وزراء إسرائيل الذي اغتيل على خلفية توقيع «اتفاق أوسلو، للمستوية مع الفلسطينيين، نشر البروفيسور «دانييل بار» «مال»، من جامعة تل أبيب ورئيس الشركة العالية لعلم النفس السياسي، «الشركة العامة» ما تفكك احتسابه تعديلاً للواقع الإسرائيلي على أريكة التحليل النفسي. وقد تطرق بحثه، ضمن أشياء أخرى إلى التأثير السلبي الذي شاربته مناهج التعليم الإسرائيلية وكتب الأطفال على مواقف الطلبة اليهود من العرب ومن «السلام» معهم، طوال نصف قرن من عصر «الدولة العبرية، وعلى رغم انقضاء خمس سنوات، في ذلك الوقت تحديداً، على ما يعتبر «صراعاً من أجل السلام».

لعل الخلاصة الأهم التي يتوصل إليها هذا البحث هي أنه حتى التاريخ المذكور فإن الأطفال اليهود في إسرائيل، يتنفسون تلك الأفكار، ويتبنون تلك الأفكار، ويعتقدون بأن هؤلاء الأطفال البرية، ويظل العربي في



# امنعوا هذا الفداء الروحي الفاسد!

## أورينيل أوفك

ومن بين الأجوبة جميعاً على هذا الاستفتاء تميز أكثر شيء، الجواب القصير والمتشكك الذي أدلى به أريك كاستنر، حائل كتب (بعد التماس العذر من المسائل على لآخره في الرد عليه ما يلي: «إنني أنتمي إلى الكائنات البشرية التي لا تكن الود لكامل ماي. في صفري تصفحت كتاباً أو ربما اثنين من كتبه، وبكل بساطة لم يعجبني، وعليه فلا تدع لكاتب ما أن تخسده عليك متفك وذوقك، لكن يبدو أن التقيصة الرئيسية في كتب «ماي، ليست منحصرة، بالذات، في أحداثها المفقرة إلى الصفيحة والتي تدور في أماكن لم تطأها قدم الكاتب في حياته قط. كما أنها ليست منحصرة في أساليبها الشعرية، وإنما ومما عن ذلك كله في الطريقة التي يعرض بواسطتها الذوات الفاعلة فيها من بني البشر، الهندي الأحمر فينتو والصيد أولد شورماند، وفي الأساس المخامر الأبيض الأسطوري. هذا البطل الأخير يتم عرضه ليس كإنسان من لحم ودم وإنما كإنسان متفوق (المانى) شديد القوة والباس قادر على كل شيء، وعارف لكل صغيرة وكبيرة، محبوب من طينة خاصة لا تشوبها ضائبة، عديم المأوى والأسرة، يتكلم بكل لغات الأرض، يعطيب المرضى وملم بتقني الأثر لأحد من الجنس والنساء، يحمل القلْب وذيل النفس، فئاض ماهر لا تحركه قريرة القتل، لا يخطئ الرمي بتأتاً ويتخلص من كل متعصبة تواجهه وتكون كفته راحة على السوام. أفليس رائحة العنصرية في التي تنبعث من هذا التوصيف لإنسان أبيض مشقوق كامل الأوصاف والخصائص ما له العجب إذاً في أن تحول قصص «ماي، شرعية رسمية في ألمانيا النازية وأن يتم إرسالها كهدايا إلى جنود «الفيرماخت، في جهات القتال؟ وما الخرابية في أن



تخول ويفضل خصاله النبيلة، في أن ينحو جلده منها جميعاً. وليس هذا فحسب، وإنما يفلح أيضاً في أن يتقذ أسدقاه وعملاه وفي أن يحقق العدالة، وكثيراً ما تعرض «ماي، لهجوم حاد بسبب أسلوب كتابته، غير أنه عندما كان عرضة مثلاً وهو على قيد الحياة على هذا الهجوم باستخفاف عبر عنه قوله التالي، «لغة من يقول إنني أكتب بأسلوب يعثير أسوأ من يقول إنني افتقد أي أسلوب في الكتابة، بينما يقول آخرون إنني امتلكت أسلوباً كهذا، لكنه سيئ، أنا شخصياً غير متشغل أبداً منضاي أسلوب الكتابة، وأواصل كتابة الجمل التي تخرج من دماغي، ويسبب الشعبية المستمرة لقصص «ماي، أجرى باحث الأدب الألماني «راينر جاملان»، في ١٩٦٥، استفتاء في أوساط الأدباء ورجال الفكر طلب إليهم من خلاله أن يجيبوا عن السؤال التالي: «هل تتوجب على الفتيان أن يقرأوا كارل ماي؟». غالبية الذين صلبوا هذا الاستفتاء اعترفوا بأنهم، في سنوات طفولتهم، قرأوا قصص «ماي، ورغم أن آراءهم حولها تغيرت فهم يعتقدون أنه لا ينبغي فرض رقابة على قراءة الأطفال والمفتيان.

■ ■ ■ هذه هي لحظتنا الأخيرة، لن نستسلم للأسر، الموت أفضل من أن تصبح عبداً. هل صدقت؟. في أكثر الأشكال دسنة. دون أن يتبادلوا الحديث فيما بينهم، انطلقت من أفواه الفتيان الأطفال صرخة الحرب الشهيرة بمعنويات عالية ينذر أن يحظى بها إنسان في حياته، حسماً! حسماً! حسماً! هذه السطور المقتبسة من قصة «حسماً في أسر الجيش الحربي، ليجنال موسيرون في مثال نموذجي لمواقف الذروة، التي تعج بها منات الكتب من إنتاج معمل قصص المغامرات والمكاند دي الماركة الإسرائيلية المسجلة. ورغم أن سلسلة «حسماً، كانت «أولى الطلائع، في هذا المعمل، التي جرنت وراءها سيلاً لم ينقطع من عمليات تقليدها السينة والفاصلة، فمن الأجدر بنا أن نبدأ الكلام حول خطورة منتج هذا المعمل بحدوث متعصب حول سلسلتين مترجمتين من قصص المغامرة سبق صدورها بدء صدور «حسماً، وما زالتا مقروءتين بفلواء شديد، من جانب الفتيان هواة المغامرات المثيرة. لم يكن أولاد إسرائيل وفتياتها، مثلهم مثل فتيان العالم كافة، عن كونهم قراء متحمسين لاختلاف القصص حول الهنود الحمر، ومن بين جميع الفتى الذين ألفوا هذه القصص، بقيت كتب «كارل ماي، في رأس سلم الشعبية ضمن هذا «الجائر، الأدبي



وماي، الذي كتب قصصه الأولى خلف قضبان السجن، نشر على مدار عشرين سنة أكثر من سبعين كتاباً تحكي الغالبية الساحقة منها، إن لم تكن جميعها، بصير المتكلم، عن الوقائع المدهشة في سيرة حياة مغامر ألماني الجنسية يواجه ظروفًا خطيرة ويصلح بفضل قوته الجسمية الخارقة التي لا

تمت التمثيل الاجتماعي الذي يتيح لأطفال إسرائيل، في الوقت الراهن، أن يتعمقوا مع الواقع الصعب المحيط بهم يتمثل في كراهية مشتتة، مضطربة، وأحياناً وحشية، حيال الفلسطينيين، هؤلاء الأطفال يرون أن مجاليهم في الطرف الآخر هم بشر مشوهون، أصحاب شعور شعنا، ذوو أسنان حادة، ينهضون أن يمتدوا ومن المحيد يمرض «الإيدز، وقدرهم أن يحترقوا بنار جهنم من سكرة اميهم!

من ناحية أخرى، وفقاً يشير هذا الباحث، فإن جميع الأطفال اليهود ابداً ورغبتهم بالسلام، غير أنه «سلام أجوف، وأوجب صنع السلام مع العرب لا يعني «في قراءتهم الشخصية أنه لا ينبغي قتلهم من سكرة اميهم.

فضلاً عن ذلك - يؤكد «شعبي، أن تعبير الأطفال عن التطلع إلى السلام دون تحديد مواصفاته وقيمه يشكل وسيلة بفساد تسفك الصور الداتي الإيجابي للأنا توجهاً لثقله، «أنا أريد السلام، إذا أنا إنسان أخلاقى..

بيد أنه فور سؤال الأطفال عن معنى السلام ودلالته لم يعرف أي منهم ماذا يجيب، ما يعني من باب أولى لكس فائق الأهمية أن السلام الذي يذكرون تصميهم به هو سلام فارغ من أي مضمون.

كان في صلب الأشياء التي طلبها الباحث من هؤلاء الأطفال اليهود أن يكتب كل منهم رسالة متخيلة إلى طفل فلسطيني مجرد في مثل عمره وأن يرسم هذا الفلسطينية على الوجه الثاني من الورقة. ولدى طلي هذا، جاب من طرف الأطفال، بسؤالين - الأول: «هل ترسم عربياً جيداً أم عربياً شريفاً؟ والثاني: هل يسمح باستعمال الشتم والكلمات النابية؟

في بحثه عن هذه المسائل وجد «شعبي، أن كراهية الفلسطينيين لدى أطفال المدينة (في وسط البلاد) أكثر حدة منها لدى أطفال المستوطنة الكولونيالية. وأنه هذه الكراهية أقل حدة لدى أطفال «الكيبوتس، لكنها ليست متفينة تماماً. العديد من أطفال المدينة عادوا إلى توكيد القولوة العنصرية المدينة «العربي الجيد هو العربي الميت، ■





غير مهم، فغمغم داني.. (من قصة «حسميا في أسر الجيش العربي»، ص ٩). النتيجة المطلوب استخلاصها من ذلك ضمني هي: إذا خطر عليك أهلك، أيها القارئ الصغير، المشاركة في عمليات تنطوي على أخطار فهي ذلك إثبات على أنك «ربيت» أهلاً خطرين، ومن حقلك أن تتمرّد عليهم وأن تذهب إلى عمليات كونه، على رغم حظرهم، وهذا هو ما فعله داني حقاً، إذ أنه نشره على أهله وانطلق إلى القيام بعمليات يقف لها شعر الرأس.. وبعد ثانية مستند للكلمات ويسمع أزيز الرصاص من المدرسات في فضاء الكهف..

تتمثل الخطوة الرئيسية من هذه السلسلة في كونها حظيت ولا تزال بأكثر شعبية في صفوف القراء الصغار، وفي استمالة أجرته إحدى المصريات في ١٩٦٧ حول أشهر الشخصيات الأدبية شعبية في أوساط الأولاد تبين أن الشخصية التي حازت أكبر نسبة من المحبين هي شخصية يارون زهافي من حسميا، في أوساط القاريين وشخصية تمار من حسميا أيضاً، في أوساط الفتيات، وحسميا أكثر في سياق سابق كانت «حسميا» الطليعة الأولى التي فتحت الطريق أمام نبع فكر من سلاسل معاشلة مختلفة غمرت جوانبها في الكتب وأعلنت صدارة قائمة كتب المطالعة لدى الأولاد، وهي، في غالبيتها، أدنى مستوى من «حسميا»، وبينها على سبيل المثال، «مغامرات أولاد البليدة القديمة» (١٩٥٢-١٩٥٨)، تأليف حاييم الياف وحبو عز، تأليف جاكوب غيبوري وجماعة تشويشنيك، تأليف أرنون غروت وجماعة الزملاء، تأليف ت. أرويل وغيرهما وغيرهما. لكن لا شك أن أكثر الكتاب غزارة في إنتاج مثل هذه السلاسل هو شراغا غنتي، الذي كتب أيضاً بأسماء مستعارة مثل أفتير كرميلي وأور شريغ وإيتان دودن وقد دفع إلى السوق خلال سنوات معدودة سلاسل رائعة وجاذبة بقوة عدد كتبها حتى الآن المائة كتاب.



منذ الخمسينيات في القرن العشرين تحوّل عشرات من



الأول والثاني فقط من سلسلة «حسميا، كتبها موسينزون بأسلوب ساخر فيه قدر من المعقولية، لكنه بعد ذلك انتقل لتسليّة جمهور قرائه بواسطة سفرية هابطة ورخيصة وضمها على السنة الأخيار والأشرار على حد سواء. وهذا المستوى الهابط والرخيص من أسلوب كتابته أخذ في الانزياح سوية مع جعل كل فرد من أعضاء مجموعة حسميا أشبه بسوبرمان صغير، ومع جعلهم جميعاً يجيزون لأنفسهم أخذ زمام القانون في أيديهم ضد الأعداء، وتوجيه سهام استغفاهم نحو عالم الكبار وحتى نحو عالم الأهل.



والحكم هذا النموج بشأن الاستخفاف بعالم الكبار، في أدب لغات المجموعة التي تجرى في فترة (لذا مقبرة بالذات) يقول إيهود لداني (الذي حشر عليه أهله المشاركة في عمليات حسميا، «إذا كنت وأغياً بسماع الحقيقة فإن العديد من الأولاد يتعلمهم الحسد منهم ومذاً جميعاً لأننا أعضاء حسميا وهم كذالك، لكن إذا كان لديك أهل... إذا كان لديك أهل... ربيت أهلاً مثل هؤلاء... ولم تمنحهم ترسة معقولة... إذا لم تريد القول إنهم جبناء؟، سأل داني بحزن بالغ، غير مهم.

صبريون، مثل يارون زهافي، القائد الشجاع لمجموعة حسميا، مع سلاح صبري وحتى مع محتارين عبريين (١٠/١٩٧٠/٤). وفي مقابلة مع صحيفة «هار» (نشرت في ١٩٧٠/٦/١٧) شرح موسينزون سر نجاح «حسميا، بقوله: «استجابت كتب حسميا مع غريزة القامرة المتأصلة فينا جميعاً، وخصوصاً لدى الأولاد. يصعب أن نجد ولداً لا يتعلّال مع فتيان في مثل عمره ينشدون عمليات صادة ما يكون تنفيذها من نصيب البالغين. (غالباً بواسطة السلاح) معارك مختلفة في ذلك المقطع التالي... في أثناء ذلك كان حسميد قسيس يارون زهافي متعاقبين ومتلاصعين يوجه كل منهما إلى الآخر ضربات موعدة ودقيقة غير أن عروى به أسامة يارون، وسدد صوب الجاسوس لكمة جانبية جعلته يركع ويستخذ أرضاً (من قصة، «حسميا والجواسيس في سلاح الجو»، ص ١٤٤). عند هذا الحد يجبر ذكر أن الكتاين

بعد طرزان، انتقل أولاد إسرائيل لتقدير مجموعة «حسميا، الصبائية، التي تعمل معاً كجسم واحد، ولقد اعترف مؤلف «حسميا، يعناش موسينزون، على مسامحة بأن تضمن أولاد «الكيبولسات» لشخصية طرزان هو الذي دفعه لكتابة قصص مغامرات بلغموم الأم تكون بمثابة «سدل مناسب، لقصص المغامرات الأجنبية، فضلاً عن ذلك، أضاف موسينزون، فإن المناخ العام لتلك السنوات الذي تميّز به، النضال اليهودي والحرب من أجل استقلال إسرائيل، أتاح المجال لتقبل قصص المغامرات. هكذا ولد الكتاب الأول في هذه السلسلة الذي حمل عنوان «حسميا» مجموعة السر أطلق بالتمام ١٩٥٠، وقبل ذلك نشر على حلقات في جريدة «مشمش للأولاد»، تدور أحداث القصة حول ثمانية أولاد أعضاء في مجموعة «حسميا، وهم القائد يارون زهافي وتمار نانتيه وإيهود السمين وعوزي امين السدود وموشيه يرحميلي البروفيسور، وشخصية اليميني وزملائهم، يحاربون الشريرة البريطانية ويخلصون منها الأسلحة التابع ل «الهاغانا»، ويتخذون في عملية جسورة قائد الحركة السرية من المعتقل ويهرون الحماية لثغينة مغامرين ويحورون أوسمة تقدير أو القيادة العامة وحظي هذا الكتاب بنجاح باهر (ومعوم طبعاً)، وظهّرت التتابع ل «الهاغانا»، ويتخذون في عشرون قصة أخرى من سلسلة «حسميا، وفي الكتب الأخيرة من هذه السلسلة، التي صدرت قبل كتابة هذا المقال سنوات قليلة، وبينها «حسميا في غزوة شنة السويس» (١٩٧٠) وحسميا في مواجهة الخطافين أو فرمان الليل يصرون ثانياً، (١٩٧٧)، طهر جيل جديد من الحسمينيين يقوده يواف تسور وثانيته راجيل، ويديش أنهم يتعاونان مع يارون زهافي، مؤسس «حسميا»، الذي أصبح الآن قائد دائرة المهام الخاصة في الجيش الإسرائيلي.

خلف سلسلة «حسميا، ما يمكن اعتباره «موجة جديدة، في أدب الأطفال العربي، حسميا يشتر بذلك صميمية «هارتس»، التي هي ملحقتها الأسبوعية حين كتبت تقول: «لقد طهر عندنا أخيراً أبطال شبان



## كتاب الزاوية



### الإشارات الإلهية

يا هذا: توقف قليلاً، وتفكر طويلاً، فإن توقفك يحضرلك بالك، ويصلق فهمك، ويشجذ بصيرتك، ويحد ما كل منك، وفكرك يبحث عنك، ويعرضك عليك، ويريك من أنت، وما أنت، وكيف أنت، ومن أين أنت، وعماذا أنت، وعلى ماذا أنت، فإن فكرنا نتاجه هذه الأمور الشريفة، وهذه الأحاديث الطريفة، وهذه الإشارات اللطيفة، ففكر قد صافحه الله بيد التوفيق، ونظر إليه بعين التأييد، وليس أحد هذه الفكر إلا فاز قدحه، ووجب مدحه، فإن هذا من عنوان نجاة، ومن دلائل نيله لمرضاة.

اللهم: ارحم زوعائنا في أطراف هذه الإشارات، من اختلاف هذه العبارات، فتوحيك ما ندرى كيف ندعوك، وبأى شيء تقترب إليك، وعلى أى وجه نطلب رضاك، وأى باب نقر حتى يذن لنا بالوصول إلى حضرتك، فافزع عنا هذا الروغان، وتعب هذا الطوفان، واهدنا إلى سواء السبيل، إنك على ذلك قادر وجواد به، قد طال بنا الضرب، واشتمل علينا الوصب، وأنت المرجو لفلك هذا القيد، والمأمول لتعديل هذا الحيد.

يا هذا: أما يعطلك على من فضلك عاطف؟ أما يبعثك على الرحمة لى من فتونك بأعش فتقول: والله لأسعمن قول هذا القائل ولأسبرن عقل هذا العاقل، حظيت بقبوله وسيمقت إلى الزلفة عند الله به، فإن كان رشدًا، يخرج من أذن، وإن كان غيًّا، فما ضاق مخرج كلام دخل من أذن، ولو فعلت، عافاك الله، هذا به، وقلته لنفسك على خلوتك، أرحتنى من تعب كثير، ورفيت معى إلى محل كبير، لأننا كنا نتعاون على رفض هذه الخبيسة التى قد جملت على أعضارنا غشاوة وضربت على أرواحنا إتاوة، فتحن هالكون بها لأننا متكالهون فيها.

إسرائيلية يتم تصويره بضوء كاذب ومشوه، تكفى الإشارة إلى الفوارق الحادة، التى تجهد هذه الكتابة فى توصيفها، بين الأبطال الإيجابيين وهم دائماً يهود ذوو خصائص نبيلة لا تشوبهم شائبة ومتفوقون ويعملون معاً، وبين الأبطال السلبيين، وهم دائماً ساذج وحشيبة، غلامية، متعنتة للدم، جبانة، خاننة، مبتذلة، مختلصة، ذات مظهر متفرد، زائقة، بذينة اللسان، وطبعاً تحمل أسماء مثيرة للزعم، مثل زكى خطورة ومسحلول بنندورة وطورطورة وكوكورتشا ومراملنا، وما إلى ذلك، ولا حاجة للإضافة أن هذا التوصيف لـ «الأبطال المتعشبين للدم»، من شأنه أن ينمى فى أوساط القراء الصغار كراهية عمياء للعرب ولعرب واستهتاراً بقوتهم وفهمهم، وهذه الكتب لا تترى هؤلاء القراء على الاستتار بالمرب فقط وإنما أيضاً على الاستخفاف بحياة الإنسان لجرة كونه إنساناً، السؤال، إذاً، هو: كيف يمكن أن تلجم مثل هذا الخطر الذى يتم تعريض أولادنا له منذ أن بدأت هذه السلاسل العنصرية، الخطيرة والفاشقة، تفسر السوق وتأسر قلوب القراء الصغار علت أصوات قليلة بين الأهل والمربين تدعو إلى خوض حرب ضدها، بعض المربين طالب بفرض رقابة جماهيرية على أدب الأطفال، أنا شخصياً نشرت فى صحيفة «دهار» (عدد ١٠٣٠/ ١٩٦٥) مقالاً حول الغذاء الروحي الفاسد المقدم إلى صغار القراء، أنهيت بالعبارة التالية التى أعقد أنها لا تزال صالحة حتى الآن «الأغلفة الملونة، لهذه الكتب تصرخ: احذر، سم قاتل! لقد حان الوقت لكى نستيقظ الراى العام على خطورة هذا «المعلم»، فى جميع الأقطار لتندرج أمثال هذه الكتب فى عداد «القوائم السوداء» للمجلات الترويجية والأدبية. وهذا الأمر ينبغي أن يتم العمل به عندنا أيضاً، وربما حانت الساعة التى يتعين فيها تشريع قانون خاص يحظر إنتاج وتسويق هذا «الغذاء» الروحي الخطير والفاسد».

فصل من كتاب: أعطوهم كتباً صدر عام ١٩٧٨ من منشورات «مفريات بوعلي».

مجموعات البحث فى دول أوروبا وأمريكا دراسة مدى تأثير أدب المغامرات والمنف على سلوكيات القراء الصغار، وعلى رغم عدم التوصل إلى إثباتات قاطعة فى هذا الشأن، يسود فى أوساط رجال التربية رأى عام يقول بوجود علاقة متبادلة بين قراءة هذا الأدب وبين ارتفاع نسبة الجريمة والجنوح بين الشباب الأحداث، بل إن باحثاً ترويضاً إسرائيلياً نشر فى ١٩٥٥ دراسة حول هذا الأدب وتأثيره على تربية الأجيال تحت عنوان صارخ هو «معمل لإنتاج مجرمين صغار»، وفى الستينيات أشارت لجنة تحقيق رسمية عينها مجلس الشيوخ الأمريكى إلى وجود رابطة وثيقة بين الانتشار الواسع لكرايس الد كوميكس، المصارخة (وبالخاص تلك التى تصف بإبراز شديد العنف الوحشى وتدعو إلى تقديس شخصية الزعيم) وبين تواتر محاولات مصابات للفتيان من أجل فرض هيمنتها على أحياء كاملة فى عدة مدن أمريكية، حتى أنها أوصت بحظر توزيع هذه الكرايس، لكن السلطات الأمريكية قوت فى نهاية المطاف أن تلزم ناشري تلك الكرايس بعرضها على لجنة رقابة خاصة من أجل فحصها ومن ثم إقرارها، وتجوز فى إسرائيل أيضاً، بين الهيئة والأخرى، أبحاث تتناول تأثير كتب المطالعة على سلوكيات الأولاد والفتية، على استطلاع للرأى أجرته «مؤسسة ساند»، بعد مرور عقد من السنوات على قيام الدولة، تبين أن «قراءة الأدب الفاسق هى ظاهرة عامة، وتقريباً كل فتى وفتاة يقرآن هذا الأدب، ونسبة قراءته تزداد طردياً مع تقدم العمر»، وبينما تشكل هذه القراءة لدى فئات اجتماعية عليا ظاهرة عابرة ونسبية ضئيلة مقارنة لنسبة قراءة الكتب الجيدة، فإنها لدى الفئات الاجتماعية الدنيا تشكل ظاهرة مستمرة ومعتبر القراءة الأساسية، لكن إذا نحينا كل ذلك جانباً فإن هناك مجالاً واسعاً للاعتقاد بأن هذا الأدب، على شاكلة سلسلة «جمجم»، وما تلاها من سلاسل أكثر فسقاً وسوءاً، تمارس تأثيراً كبيراً على قرائها من خلال مواجهتهم مع واقع حياة وعلاقات

# جارية في مبدن الكرمد

## مدخل

■ توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري العربي المعاصر جزء أساسي من متافهة حضارية متنامية في امتدادها بين الماضي والحاضر، وبين الحاضر والماضي الأجنبية بمحتلف تياراتها. وقد أدت هذه المتألفة بدورها إلى صياغة أشكال شعرية جديدة، تتباين تبايناً واضحاً مع النموذج الشعري التقليدي وأحداث فجوات في الأنماط الخليلية. وبالتالي تعبير جدي أو جزئي في شكل القصيدة أو مضمونها، فالصمود الجديد يخصص للتحويل التاريخي والحضاري الذي يعمل معه في الواقع. بالإضافة إلى تأثير الفلسفات والأدبيات الأجنبية. والشعرية على الذهنية العربية، ولا يعني أن يكون هذا التحويل الجديد منقطعاً أو متبايناً مع القيم الحضارية والتراثية الفكرية للإنسان العربي المعاصر. وتوظيف الأسطورة نزعاً تتصاهر قيم نفسية وروحية وجمالية في تأجيلها والدفع بها صوب الماضي الذي كان مضيئاً ومشعاً في بعض قسماته، ومظلماً وكابوساً في قسامات أخرى. وعندما يكون الواقع المعاصر مظلماً وقاسياً، فإنه يحيل إلى حقل تاريخي مظلم. ومهمة الأسطورة حين توظف في القصيدة أن تشير وتدل على ما هو مظلم في الحاضر انطلاقاً من بنية الماضي نفسه.

إن ذاكرة التاريخ لها حضارة في لوعي الجمعي للحضارات البشرية

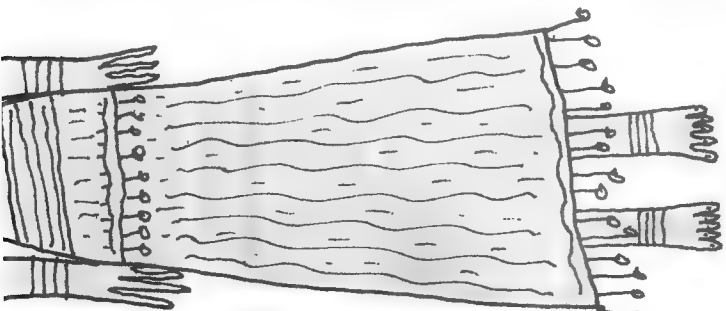
في حاضرها ومستقبلها. والإنسان المحصر يحتفظ دون وعي منه بمعارف مما قبل التاريخ درجها بصورة غير مباشرة في الأسطورة. فإن صبح ذلك، فإن هذا التخمين يفسر الرغبة الفاضلة بعض الشيء في الاستماع إلى القصص الأسطورية على الرغم من أن ما فيها من عناصر خارقة لم يعد لها أية سيطرة تعيدية، كما يرى كلارل يونج. والبطل الأسطوري باعتباره بنية معرفية من التاريخ فإنه في القصيدة المعاصرة شاهد إداة لكل العثرات والسموات من أسس وفجائع مرت بها الأمة، ولا تزال تترى، وهو مصر وفاضح لبنية خطاب السلطة التاريخية والمعاصرة ومطشها وتجاوزاتها. هذا الخطاب الذي يؤد الخطأ عند كل من يتلقاه وبالتالي الشعور بالإثم (...). ينتظر منا البعض نحن المثقفين أن نقول، في كل مناسبة، ضد السلطة بصيغة المزد. بيد أن معرفتنا تدور خارج هذا الميدان. إنها تقوم ضد السلطة في أشكالها المتعددة. وليست هذه المعركة اليسيرة، ذلك أنه إن كانت السلطة متعددة في المضاء الاجتماعي، فهي في المقابل، ممتدة في الزمان التاريخي. وعندما يبعدها وندهمها، سرعان ما تظهر هنالك. وهي لا تزول البتة. فلم ضدها بثورة نغبة القصص عليها، وسرعان ما تنبئت وتنبت في حالة جديدة. ومرد هذه المضايقة والشدة والظهور في كل مكان هو أن السلطة جرومنة عاتقة بجهاز يخرق المجتمع

ويرتبط بتاريخ البشرية في مجموعه، وليس بالتاريخ السياسي وحده، على حد تعبير رولان بارت. إن تاريخ السلطة السياسية والاجتماعي في توجهاته ورواه هو تاريخ القمع والممارسات اللا إنسانية واللا أخلاقية على أفراد الجنس الإنساني، وضماناً لاستمرار السلطة واستمرارها الاجتماعية والطبقية داخل القطاعات البشرية التي تحكمها. فإنها تعتقد أن القمع والسطوة الاستبدادية هما من أهم الوسائل التي تكفل لها استمراريتها. وهي تلجأ إلى خلق وضعية اجتماعية وأخلاقية. وإنسانية مشوهة. سواء على مستوى العلاقات الإنسانية والتواصلية أم الأنظمة الفكرية التي تحكم طبيعة هذه العلاقات وتوجهاتها. وقانون السلطة في حقيقته هو قانون قمعي واستبدادي. فإذا كانت عصور الرق والعبودية قد انتهت على المستوى الظاهري العرفي منذ زمن بعيد، فإن الإنسان المعاصر لا يزال يروح تحت وطأة أصناف عديدة من العبوديات الجديدة، إذ يجبر الناس جميعاً على أن يصبحوا أبناء للسلطة، ومن حقها عليهم أن يدينوا لها بالآبوة والولاء والخاصة. وبالتالي تصبح جميع ممتلكات الجنس الإنساني من الاقتصاد وفكر وثقافة وفن هي ملك للسلطة المتويزة إما بفعل إلهي، كما يدعى بعض الحكام لشعوبهم بأن أسابهم تنتمي إلى نسب الأئمة والرسل، وإما بحق السلطة المكتسب باعتبارها لنفسها حامية لهؤلاء الناس من

الأخطار الداخلية والخارجية. وبالتالي اصحابها تأمين الأمان والسعادة والعطائية لهم، وأنهم يزعمون الاعتناء بسعادة المجتمعات، ينتحل الحكام حقوق المروء عن طريق حسابات منفعة، دون اعتبار للخسارات وشقاء البشر الذي تسببه قراراتهم أو تسمح به إعمالهم، وفق رؤية ميشيل فوكو. وأمام الحالة هذه يستلب الكلن الإنساني سياسياً وثقافياً واقتصادياً وتسير كل العلاقات الاجتماعية وفق رؤية السلطة وتفكيرها (( إذ يغزل الفرد ويزداد رفض العالم له ))). كما يرى أرنست فيشر.



إن عصر شهريار الذي ذكرته ليالي ألف ليلة وليلة، يجيل إلى ممارسات سلطوية، لم تنته بعد، إنها مستمرة في الواقع المعاصر، فكم من شهزاد مقموعة تتبرز يومياً؟، وكم من الغلمان والعبيد والوصيفات والإماء والسراري يروحون تحت وطأة القهر؟ صحيح أن أسماهم قد تغيرت بفعل التحولات الحديثة المعاصرة، لكن أدوارهم ومواقفهم وأفعالهم هي نفس مواقف العبد والإماء بتحويرات جد طفيفة. وبالرغم من التحولات المهمة في تاريخ القرن المعاصر، فإن جذور شهريار بأبعاده التنكورية، والسلطوية والسادية لا تزال تتوغل في فضاءات الحياة العربية المعاصرة. إن فعل السلطة فعل شمولي ومتنام،





# ... شهادت زاده شهریار

محمد عبدالرحمن یونس

لعمیفه لطیفه العلقه بیس شهریار  
وشهراد، ویتالائی بین السلطه وجماهیر  
المضطهین، یفشی الطاء ...  
ومن الشراء الدین وطقوا اسطوره  
شهریار وشهراد فی اعمالهم الشعریه،  
حلیل حاوی من لیسان، وعید العزیز  
القالح من الیمن، وامل دنقل وکمال عبد  
الرحمن من مصر، وعید الوهاب البیاتی  
من العراق، وسعاد الصباح من الكويت،  
وسوف عبید من تونس وغیرهم کثیرون  
جدا.

وتأتی هذه الدراسة لتدرس بعض  
التعاضد الشعریه المعاصره لبعض هؤلاء  
الشراء محاوله ان تظهر السمات  
الاسطوريه فیها، وعلاقه بعضها بالتاریخ  
من جهة، وبالواقع المعاصر من جهة  
الخری.

## شهراد

عند عبد الوهاب البیاتی

لعل عبد الوهاب البیاتی من اکثر  
الشراء العرب المعاصرين الدیس  
استادوا من الدلالات الرمزیه العمیقہ  
لشخصیه شهراد الأسطوريه، فهو یرکز  
على استخدامها فی اعماله الشعریه،  
وبخاصه فی دواویمه، ابرارقی مهشمه،  
والمجد للأطفال والزیتون، والموت فی  
الحیاه، وتوظيف البیاتی للرموز  
التاریخیه والشخصیات الأسطوريه  
ینطلق من رؤیه صمیمه تؤمن بالإنسان

شخصیتا شهریار وشهراد، ان أثرت هاتان  
الشخصیات فی الصکر والنس والانجاس  
الأدبیه كافة، إلیهما صلتان طرفی علاقہ  
استلابیه بین الحاكم والمحكوم، بیس  
السید والعبد، ویتالائی فی نئیة الحیاه  
سیاسیة واجتماعیة واقتصادیة فی زمن  
الدیاتی شهریار القاهم بأدوات سلطته،  
وشهراد المقموعه بخوفها ورعبها  
وجسدها وكرامتها، تاریخیة واسطوریة  
لهما ما یماتلها فی نئیة الحیاه العربیه  
، فزمان الیالی واحد لا یختلف کثیراً  
فی المؤثرات التاریخیة والاجتماعیه  
والاقتصادیه التي تتحكم فیها، زمان  
الاستلاب وشور المرء بالعجز أمام كل  
ما یحمله سواء أكان هذا الزمان أمویاً  
أم عباسیاً أم غیر عربی، والمكان إذا اتسع  
وتشعب، فإن ثمة بنیات وسمات مشتركة  
تسم هذا الاتساع والتشعب حتی یمید  
واحداً بخصوصیات تنقاریه جدا، .

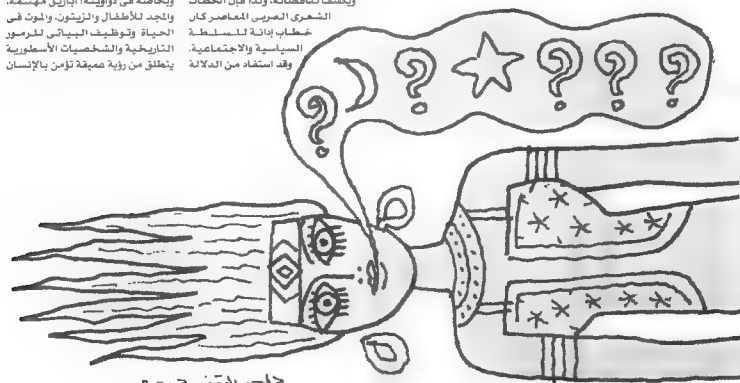
هذا الزمان لا یزال یفعل ببئیته  
الاستلابیه فی جسد الحیاه العربیه  
المعاصره، إذ قلما تجد سلطه معاصره  
لا تتجسد فی سلوكها ومواقفها الرؤیه  
الشهریاریه سبطه وطمشاً ونفوساً،  
والشاعر العربی كان مرآة عصره، وكثیر  
من الشعراء لا یزالون هذه المرآة  
بشمافیاتها وقدرتها علی التمریة، وعلى  
تجسید الملامح الدقیقه لما یسم العصر،  
ویكشف تناقضاته، ولذا فإن الخطاب  
الشعری العربی المعاصر كان  
خطاب إدانة للسلطه  
السیاسیه والاجتماعیه،  
وقد استفاد من الدلالة

مجبره لأن تحکی، لا حیاً فی الحکی  
بل هروبا من سیف السیاف،  
أذكر انی قرأت مقالاً قبل عدة سنوات،  
ومفاده، انه فی لحظه احتضار الجنرال  
الأسانی، قرانكو، جمعت الجماهیر  
الأسانیة فی باحة قصره، فسال الجنرال  
أحد معاونیه  
لماذا یحتشد الشعب هنا ؟  
هاجاب معاون جاء لتودیك یأ  
سیدی ؟

هاستعرب الجنرال قائلأ، والی این  
یسافر الشعب ؟  
ونمثل هذا التصور والرؤیه تفهم  
الشهریاریه الحدیثه، أو السلطه المعاصره  
حركیه الزمن والتاریخ، ان واجب الزمان  
والتاریخ ومهمتهما یحسدان فی كونیما  
أمنین لاستمراریه نقاء السلطه، إلیها  
الطلق الایدی الحاضر المتواصل، وبالی  
الوجود الإنسانی بأحلامه وطموحه  
وعرکته، ما هو إلا ظل زائف أو حالة  
عرضیه طارئة علی خارطة الزمان

ومن أهم رموز خطابات السلطه التي  
ارتبطت بتاریخ البیسیه واساطیرها

ومتوالده، إنها ای السلطه، متعددة  
مثل الشیاطین، متعمره كالحریاء، إنها  
یمکن أن تعرف نفسها بكونها ذات أسماء  
عدیدة، وتوجد فی كل الأسكنة  
والخطابات من الأسرة إلى الدوله، من  
التابو إلى اللیبیدو، من العلم إلى  
الایدیولوجیا، من المستشفی إلى  
السجن، من العقل إلى الجنون، من  
المدرسة إلى الكتیمه، علی حد تعیر  
عمر أو كان، وحضور شهریار المستمر فی  
أمكنه السلطه ونئیته المعرفیه، یعنی  
حتمیه النذل والمبودیه للنموذج  
الأضعف، من شهراد، حتی أبسط رجل  
وأمرأة، وشهراد باعتبارها طرفاً مستلباً،  
فإنها مجبره لاستحضار لیال جدیده،  
وتشکیلها لتشکیل سحریاً بفعل القص  
إرضاء لسلطه شهریار ورجولته،  
ان شهراد الأسطوره والتي تمثل  
معاداة جنسها من حرار ووصیفات  
وجوار تقف مسلوقة الإراده أمام استغلال  
شهریار لجمدها وروحها ولیالیها،  
وبالرغم من بعض الدراسات التي تؤكد  
ان شهراد تمثل وعیا متفوقاً علی بنات  
عصرها، من خلال قدرتها السحریه علی  
تقديم العلاج الشافی لشهریار، عن  
طریق تناغم القص وسحریتیه،  
واقطاعه، وسحر حیکاته إلا أنها تظل



خلص المونی 2003

هدفاً أسمى، وللضحية أساسية. ولذا القصدية عندنا توجّهه انساني، وأيديولوجي. يهدف إلى تعريب نظام المجتمع ونظام السلطة بعلاقاته الترددية. وإدانة الزيف الكائن في بنيانه، إن لشعر عند البياتي وظيفة اجتماعية تحريرية. تسهم في تثوير الواقع وإعادة صياغته انطلاقاً من التزام الشاعر بحاضر محتشمه والإيمان به. ويقول البياتي: «فالشاعر الذي لا يعلم ولاه للحاضر، ولا يحدد موقفه منه بصورة واضحة صريحة. ولا يأخذ مكانه بين صفوف كادحيه وجماعيره، إن يكون له شرف منح المستقبل مثل هذا الولا». ويقول في قصيدة الجردة الذهبية من ديوان الموت في الحياة.

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

شهرزاد

وتسردده في الحيام، وشقائه في مجتمعه ومنه السوءاء الرمادية. وهنا تكمن مهمة القائل (في) أن يلتقط اللحظات الأهم والأعمق في هذا التيار الواسع والمستمر من الشقاء، «والقمع والسجن والهزيمة حالات يعيشها كل مواطن لأنها تقلقت في دمه، كما يرى عبد الرحمن منيف.

شهرزاد

وإذا كانت مهمة الشاعر.. كما يرى البياتي الكشف عن جوهر الإنسان، والالتزام بشرف إلى كادحي العالم، فطبيعي أن يلمن بميلاد نجمة نور، تسطع لتثير ليل هذا الإنسان، وطبعي أن تنصهر ثورة الإنسان في هيتام، ويبنى الصراخ مجد المتصاهم، كما أن تنطلق خيول صالاح الدين المعاصر، بأصوات فرسانها لتزق الفرح في غواء الصعرا، وتترد العتود المعاصر وتدره.

إن استخدام البياتي لأسطورة شهرزاد يشير إلى واقع معاصر يتقاطع في كثير من حالاته، مع عصور الاستبداد والظلم، عصور الرقيق في مدن ألف ليلة وليلة، فالأسطورة ظاهرة معرفية جسدت تجربة الإنسان وعلاقته بها حوله منذ العصور القديمة، وهي لا تزال قادرة على تجسيد تجربة الإنسان المعاصر، وعلاقة هذه التجربة بماضيها التاريخي والثقافي. إن الأساطير بأشكالها وحركاتها تجسد نواحي نفسية، صعبة الجذور في الإنسان وعطية البطور في حياته. لقد غدت الأساطير مع الزمن رموزاً لتجربة الإنسان الأولى لبساية، هذه التجربة الطويلة التي رسمت إلى أفعال اللاوعي الجماعي عند كل واحد منا، على حد تعبير جبرا إبراهيم جبرا.

ويقول الشاعر البياتي في قصيدة بعنوان «العراق الأصم»، من ديوان الذاكرة الطين:

«لم تقل مولاي، شيئاً، شهرزاد  
فهي في تابوتها نائمة تبيكي،  
ولكنني المقتى والرماد.  
ودم القلب بالغلج الجمجمة  
لم يزل يسقط فوق المدن الكبرى،  
فيخفي  
وجها تحت القناع  
ها أنا أبتني نفسي مثل عصفور  
بخي من شعاع  
تحت مصباح عمود النور في الليل،  
لكي تبُعث بعدي  
شهرزاد..»

في حركة شهرزاد العميقة مع مسار حكاياتها وأبطالها، وجواري العصور التي تسرد عنهن، نطّل أمامنا، قهقهة، قهقهة رجلاً شرساً، لا تعرف لحظة انقضاؤه، إنها فرصة تهدهد دلياً بألف حيلة، لتكبح وحشيته، وعندما نتأكد الحكاية، ووصل القاص إلى ذروة تقويته، يضطر شهرزاد إلى فعل القتل، أملاً في أن تفلت شهرزاد بحبكه الحكايات،

وعندما تشكّ عقدة الحكاية يدخل شهرزاد على المستوى النفسي في عالم سحري غرائبي منمش، ويخرج من فضاء حيوانيته مقلّماً، إنها توجّل فعل قتلها، وإذا ما انتهت الحكاية، فإن شيخ القتل يلوح من جديد، وكأن الحكايات السافرة التي سهرت الليالي وهي تسردّها، لم تفعل شيئاً، ولم تهدّب سلوك شهرزاد.

شهرزاد

ومن هذه الرؤية يوظف البياتي أسطورة شهرزاد في هذه القصيدة. فيعد أن تنتهي الحكاية تعيش شهرزاد حالة موت، وما انتهى فعل الحكى والقص، فإن تابوتاً ينتظرها. وهي توت على المستوى الروحي والنفسى كل ليلة، «لم تقل مولاي، شيئاً، شهرزاد.. فهي في تابوتها تبيكي، وهنا تستمر السطوة الشهريانية، ويوجد الفعل الإنساني نفسه، سواء أكان من شهرزاد أم من غيرها، عاجزاً عن خلق الحكايات، وبالتالي عاجزاً عن رزع شهرزاد، وإيقاف سلوكه الهجسي وشهوته للقتل. وفي الحالة المعاصرة لا تستطيع شهرزاد أن توقف بطش شهرزاد المعاصر، مهما حكّت له، ويطل القلب يخرق ما، وفناء طلاءات الأمكنة والمدن العربية الكبرى مسكونة بكابوس الدم، والظلام، والنال الذي يشير رمزياً إلى موت الحكاية، وجمدها، في حين أن لحظة الطلعات، تدل على التخلّف والاستعبد، والحرية المثالية، في فضاءات هذه المدن.

وها هي شهرزاد العربية المعاصرة انتهت من حكاياتها، وكأنها لم تقل شيئاً، فاستسلمت لقمعها المحتوم، وهذنت نفسها في تابوتها انتظاراً لتعليقات السياف القاضية بدهنها. إن انتهاء الحكايات معناه الموت، واستمررت شهرزاد سيتركز عليها بنعمة البقاء طاماً هي تحكي، ويبقى منطق الحكايات هو منطق المصالحة مع القمع، هذا إذا عرفنا أن الليالي جميعها، تقوم على منطق الإزهاق والاستطهاد، والقمع الشهرياني إنسانية شهرزاد. «أحكى حكاية ولا قتلته، هذا الشرط هو سرّ قواصل شهرزاد مع زمانها، ورحلتها مع هذا التواصل رحلة كلها مخاطر، إنها على حافة جرف، ما إن تنتهي الحكاية حتى ترتعد من أن يرميها شهرزاد من أعلى هذا الجرف، فالبطش السلطوي الشهرياني سواء في الماضي أو الحاضر لا يحكم بضابط أخلاقي أو إنساني، أو تقاضي يكبح جماحه، إنه مستمد في كل لحظة لإغراق المكان والزمان بسيل الدماء.

«أحكى حكاية ولا قتلته»، هو موقف السياف من الضحية، ولا يوجد موقف معتدل أو وسط من قضية القتل، وموقف شهرزاد الفاقدة لقدرتها موقف مهادنة يتصلح وذل، واسترحام من واقع البطش

جارية في مدن الرما  
تباع في المذا  
رأيت بلّس الشرق  
ونجمة الميلاد في دمشق  
رأيت مجد فقراء الأرض في الفيتام  
وفي خيام اللاجئين سيد الآلام  
منتظراً خيل صلاح الدين  
وصيحة العرسان في حطين<sup>(١)</sup>.  
من خلال الرؤية الشعرية تظهر ثنائيات، الطلام والصياء، والبؤس والفرح، الدال والمجد، هذه الثنائيات تسم فضاء النص الشعري، ومن خلالها يستحضر البياتي صفحات مضيئة من تاريخ العصور العباسية التي مرت بها الأمة العربية، خيل صلاح الدين، الفرسان في حطين، وصفحات أخرى قاتمة، من بيع الإنسان في أسواق الرقيق العربية، وبقدره يؤسس.

إن شهرزاد الجارية في القصيدة تخرج من حقبتها الأسطورية ولا تنها العزمية في ليالي ألف ليلة وليلة تنصعب واقعاً أسود، إنه واقع العصر الحالي، واقع بيع الإنسان وانتهاك كرامته وحريته وإنسانيته. فشهرزاد في القصيدة، والتي تباع في مدن الرما تدشير على مستوى العزمية إلى كل امرأة فاقدة كرامتها وكبريائها، ولا ينحصر وجود هذه المرأة في مدينة بعينها، إنها في فضاءات المدن العربية جميعها، «مدن الرما، مدن الشرق، الحترقة، المدن التي احترفت فيها كل رقى الصرح والشرورة، فأصبحت أسواقاً للزنيق، وللزنازات، وحمى البيع، على أن شهرزاد لا تمنى إحدى المرأة العربية فطم، إنها الكل التحدي المحرق في مدن الشرق، الذي انطفاًت فيه جميع جمرات الشرورة وطموحاتها، وصارت رما، وهي فضاءات الشرق بكامله، باعتبار أن المرأة كثيراً ما ترمز في الأدب والفرن، إلى الأرض والوطن والأمة، والولادة والشرورة، وأمام فضاءات الشرورة السوداء، وبؤسها، يستدرف البياتي سطوع نجمة مشعة في سماء مدن الشرق، واستخدام الشخصية الأسطورية لشهرزاد في القصيدة، يكرّس حق الإنسان المعاصر بالفالج والمأساة، واستهان إنسانيته، وبمعنه في المذا.

لكن يقيسها حبة، موقف الجسد الذي يجتر لياليه مستباحاً عاجزاً عن القيام بأى فعل بديل من شأنه التغيير والتثوير،

والطلاقاً من إيمان البياتي بقدرة الإنسان على التغيير ومنع المستقبل،

هائه يرى أن حالة العبودية والنذل المحاصرة حالة مؤقّتة، فالإنبيات الحصارى ضرورة حتمية، وتأكيد فكرة

هذا الإنبيات يوظف بشكل غير مباشر أسطورتى أورفيوس والعنقاء فى نفس القصيدة، فهى فى تابوتها تكفى، ولكن

المغنى والرماد، إذ تشير لفظة المغنى إلى أورفيوس، وكلمة الرماد إلى الرماد الذى ينبعث منه طائر الميسيب أو العنقاء

متجدداً بعد أن يحرق نفسه، وبالتالي التكميل بتحرير شهرزاد، الإنسان المستل

وافتحام الجهول، وتبديد ظلام العالم، ويحث هذا العالم وتجنده، هذا العالم هو

التكميل بتحرير شهرزاد، الإنسان المستل ومساعداً على تخطي حواجز الأسر،

وكسر تابوتها المفروضة عليها قبل موتها، إذ فرغم كل القهر والأضطهاد

والقسوة وحتى الموت الذى يمكن أن يطرأه الجلاذ فى الضحية تبقى الضحية هى

الأقوى، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

يتميز دلاليًا إلى المصادفات الذهبية التى تؤم بها المدينة العربية من تعاويد الحظ، وقدم العرص الذهبية بطرقة سحرية وأسطورية وغيبية، وقد أشارت إليه المكرة الشعرية سابقاً فى خاتم من شهرزاد، بحيث يصبح الواقع فى سدود،

المعاصرة - من خلال الرؤية الشعرية واقعاً انهزامياً يعتمد على الحظ والمصادفات والعيب، ويبلغ منه الصعل

بحركيته الخلاقة، ودخل فضاء هذا الواقع المحط لتتناول السبائا والبعايا

المحصوص، إنه واقع الفيلة ولبلة، واقع العزو والسوط، واقع تتلاقى فيه كل

أخطاء الشرق وشباباته المظلمة، مع شهبوات ونزوات الغرب المتهنكة، واقع

الدين ذكرته شهرزاد فى البلى، والذين لا يزلون مستعصرين فى نبتة الواقع

المعاصر الذى تطمح الرؤيا الشعرية إلى حرقه ويحتمى مشرقاً وأنتانياً،

إن القصيدة تقدم ترجمة للعالم، إنها العالم خلال وقت ما، ومثلما أن لغة

القصيدة واسطة رمزية مرة ترمز فيها العناصر الذاتية والوضوعية ككل

متكامل، فإن كل كلمة فى القصيدة متفلق ممكن وقاطع طرق رمزى يمكن

من خلاله أن تلتقط إلى القصيدة باجمعا، كما يقول تشارلز فيدلسون

الابن. وقد كانت قصائد خليل حاوى عبر دواوينه الثلاثة، نهر الرماد، والنشأ

والريح، وبيادر الجوع، ترجمة لواقع العالم العربى المعاصر فى زمانه وتكاثرته

ومأساه، وكان اعتماد خليل حاوى على الرموز الدينية والأسطورية والتاريخية

قادرة على إثارة مزيد من إشكاليات هذا العالم فى سلبيتها، إذ تقاطعت هذه

الرموز وتداخلت فى فضاءات النصوص الشعرية بعدد، وكانت تؤس هدف واحد

بالرغم من تعدديتها، وهو إعادة تشكيل الحياة العربية المعاصرة لضربة مشرقة

قوية وقادرة على تخطي ماضيا الأسود، وواقعها الحبيب فى كل توجهاته وأماله.

شهرزاد وشهرزاد

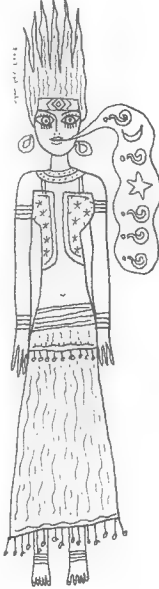
وأصل دنقسل

ويوظف الشاعر أمل دنقل أسطورة شهرزاد وشهرزاد فى قصيدة بعنوان: «حكاية المدينة الضمنية»، وهى القصيدة

الوحيدة فى كل أعماله التى تذكر هاتين الشخصيتين. وبالرغم من الكثرة الشديدة على معطيات التراث المرموعة أحياناً، والعربى الإسلامى أحياناً كثيرة، إلا أنه لم يستند كثيراً على ألف ليلة وليلة، وفى أعماله تبرز الرموز التاريخية والتراثية الأسطورية بشكل واضح، إذ لا

يخلو عمل واحد منها، ابتداء من ديوانه «مقل القصر، مروراً باليقاص بين يدي رزقاء اليمامة، ونعليقاً على ما حدث،

والعهد الآتى، وأقوال جديدة عن حرب البسوس، حتى



بذلك مرة واحدة، وذلك فى قصيدة بعنوان عودة سدوم،

يقول الشاعر خليل حاوى فى هذه القصيدة،

عدت فى عيني طوفان من البرق ومن بعد الجبال الشاهقة،

عدت بالثار التى من أجلها عرضت سدوى عارداً للصاعقة،

جرفت ذاكرتى الزمان وأصغى كل أسمى فيك إلى نهر الرماد،

صلواتى سفر أيوب وحصى مع ليلى، خاتم من شهرزاد

فيك يا نهر الرماد لثمت من مات بالثار

حملت لث الغنقد، لثيت الحرب فيه أطمأأبى، عكاره

ويضى، البيت غشاى مذهب دونه يخضع أهلى، إخوتي،

نسل السبائا خلتهم غزوات الشرق والعرب

لصعود وغياى، (١)

عندما يعود الشاعر خليل حاوى وفى عينيهِ طوفان من البرق، فإنه يعود عودة

الرائين، إذ تهبط عليه رؤيا الكشف من الحبال الشاهقة، حاملة شائر الخلاص

ليظهر بها سدوم، وهو رمز تاريخى وأسطورى يرد مراراً فى أعمال خليل

حاوى، وإذا كان هذا الرمز يشير إلى هلاك القوم المناسفين والتاكسين

والمعتدين للأصنام، فى حقبة تاريخية ماضية، فإنه من خلال التوظيف المعاصر

يشير إلى فضائل المدن العربية، السوداء التى هى بحاجة إلى التطوير ليعود إليها

تقالها وعلاقتها الإنسانية الأخلاقية والنبتية، والتطهير عند خليل حاوى

يكون بالثار التى تحمل بذرة الخلاص الجديدة للبشرية، وبالتالي رؤيا الإنبيات

الحصارى للعلمن العربية الجديدة، وتجلجلى وظيفة النار عند خليل حاوى

فى إعادة كل ما هو معبر من أدراك متراكمة فى فضاءات المدن العربية ومن

قيم بالية رثّة لا تزال تتراكم من أيام شهرزاد حتى التاريخ المعاصر، فربما

خليل حاوى هى رؤيا الأبطال الأسطوريين، الذين وقفوا على مبنى

الجس الإنسانى ضد الآلهة، والثار هنا تشير إلى ثار بروجيتيوس الذى سرقها

لخدمة بنى البشر.

إن «خليل حاوى يسعى عبر الرموز المكتبة والثقافة إلى التعبير من مكان

الخطب والتخاطب فى الوجود ليحل من دونها رموز القوة والخصب والفعال

الفاعل والخلق وتلك الحرية التى لا يكون المرء إلا بها، وكأنه أيدى، الآن غير

حافل بأهله ولا بذويه ولا بصحبته ولا بأى أمر آخر، ويستحق ناز الرقش

الشعرية، «الحفش المنعب» الذى يقدهه باحترام عميق الأهل والإخوة والأقارب

وسكان سدوم المعاصرة، وهذا الحفاض

لكن يقيسها حبة، موقف الجسد الذى يجتر لياليه مستباحاً عاجزاً عن القيام بأى فعل بديل من شأنه التغيير والتثوير،

والطلاقاً من إيمان البياتي بقدرة الإنسان على التغيير ومنع المستقبل،

هائه يرى أن حالة العبودية والنذل المحاصرة حالة مؤقّتة، فالإنبيات الحصارى ضرورة حتمية، وتأكيد فكرة

هذا الإنبيات يوظف بشكل غير مباشر أسطورتى أورفيوس والعنقاء فى نفس القصيدة، فهى فى تابوتها تكفى، ولكن

المغنى والرماد، إذ تشير لفظة المغنى إلى أورفيوس، وكلمة الرماد إلى الرماد الذى ينبعث منه طائر الميسيب أو العنقاء

متجدداً بعد أن يحرق نفسه، وبالتالي التكميل بتحرير شهرزاد، الإنسان المستل

وافتحام الجهول، وتبديد ظلام العالم، ويحث هذا العالم وتجنده، هذا العالم هو

التكميل بتحرير شهرزاد، الإنسان المستل ومساعداً على تخطي حواجز الأسر،

وكسر تابوتها المفروضة عليها قبل موتها، إذ فرغم كل القهر والأضطهاد

والقسوة وحتى الموت الذى يمكن أن يطرأه الجلاذ فى الضحية تبقى الضحية هى

الأقوى، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

وإنما تمنى الفرد الذى نشأ وشهرزاد وسيفروس، وهى القادرة أن تستعصى، والضحية لا تحتمى القدر الذى انتهى،

## شهرزاد حوى

نلاحظ أن خليل حاوى مقل فى استخدام شهرزاد فى أعماله الشعرية

العبد الثامن والخمسون - نوفمبر ٢٠٠٢ م

أوراق العرفه . وهي حصيله اعماله  
الفسيديه . وهي حصيله حكايات  
المجيسه الفسييه . تسير الشخصيات  
الآتية شهزاد شهياري . سليمان . بدر  
اليدور . مسرور السيف . وهي شخصيات  
ذكرتها انث ليله ولييه

شهرزاد  
سليمان  
بدر

تبتدئ القصيدة لمعلم سنديادي  
خفي . اد يفهم الشاعر السندياد طارفا  
باب المدينة . لكنه لا يحمل تجارة او مالا  
ولا جواهر ولا حريرا . إنه صاحب قلم  
يمنح به مدييه مفصلة . طائبا طلا وهما  
وامانا وطمانيه . يقول الشاعر :  
كانت لا احمل الا قلما بين صلوى  
كنت لا احمل الا قلبي  
في يدي : خمس مرانا  
تمسك الغيوم (الذي يسرى إليه) من

(دس)

طارفا باب المدينة  
افتحوا الباب  
هنا رد الحرس  
افتحوا لباب اما طلب طلا ..  
قريب ..

لكن المدينة العربية الغارقة هي حمى  
الاستهلاك والبيع والتجارة والتجهيل  
ومن خلال الرؤية الشعرية - ترفض  
اصحاب الافلام الذين يتكثرون تاريخها  
المصوغ . ويمسرون واقع طرقاتها القدرة  
وعصوات النصوص الادبية . لكنها لا تبتدو  
شعرا وقصة ورواية ومسرحة اهمية  
واضحة جدا . إذ يبتدو قصاه اساسيا من  
قصائد النصوص الادبية . لكنها لا تبتدو  
من خلال هذه النصوص قصاه جماليا  
للمعلم والفرح والحريه . بل تبتدو عالما  
قائما تشترش فيه كل الؤنك والامراض  
ولوئاث السلطة . يقول جبرا ابراهيم  
جبرا عن المدينة .

المدينة العربية الجديدة . بكل ما  
فيها من متناقضات وتيارات وامال  
ومخاوف . المدينة اليوم ليست مجرد  
قصة مدي دار الحريه انها ملتقى  
سيول سريره من الرعب وشبه الملقى  
ملتقى الاحاس والتفاوت والحل  
المدينة بوننه ضاملة لم تمسح هيها  
العناصر انصهارا تاما بعد . هل من  
موضوع اعظم من ذلك ؟ هي المدينة  
يشهد المحافظون محافظة والمتهمرون  
تسرد . فيها سلطة الفانوس وسلطة  
الشرطي وسلطة الخبير الرهيبي . هيها  
صوت الله وصوت الشيطان يبتان على  
نفس الموجة المبتدئة في ساحة الصراع  
على المستوى الفردي والمستوى الجماعي .  
فيها يصيب التاريخ سيولا من الحزازات  
التحاذية والمشاكبة . ومها تنطلق قوى  
الهدم والبناء إلى هدف وغير هدف  
المدينة ما زالت تسحرني وتشتحنني على  
الكنايه وتصوير الشخصيات الناهضة  
المتوهشة فيها . كما تسحر البيدي القادم  
اليها من الصحراء لأول مرة . ولكنني قد  
ابكى عليها . كما ابكى السبع على القدس .

وتعشقناك . حزنا أرواجانيا أмира  
وتعشقناك . شعرا كستالنيا غزيرا  
وتعشقناك . ثوبا جدلته الحور ..  
وعشقا فيك : حتى خفك الجلوب  
من وادي القمر .

شهرزاد

من خلال المقطع السابق تتضح رؤية  
العشق واللمعة لأتحام المدينة . ومعرفة  
حياتها واسرار نساها . ولا تتحدد الملكة  
بدر البيور او شهزاد بالجسد الانثوي  
فقط . بل هي ترمز إلى المدينة كلها .  
بتناقضاتها وعلاقات طبقاتها وسلوك  
سلطتها . ويتوهج حلم الرؤية الشعرية  
عند الشاعر ليبدل في الفضاء  
الحميمي لشهرزاد . إذ تأخذه شهزاد إلى  
قصيرا الاسطوري الذي تضاهل امامه  
قصور النش سليمان . وينزاح القصر هنا  
من حقله الاسطوري . ليصبح مشيرا إلى  
قصور الحكام وانسابهم ونسائهم  
وزوجاتهم . وما وصلت إليه من بدخ وترف  
وشراء اسطوري . وهنا وبجبت معاملة  
النص لا كموضوع مقدس (موضوع لعفة  
اللغة) . ولكن كفضاء لغوي وكعبر لعبد  
لا متناه من الاستطرادات الممكنة . ينهي  
الانطلاق اذن من عدد من النصوص  
لإبراز مجموعة من القواعد الخفية التي  
تعمل فيها . كما يقول رولان بارت .  
ومن خلال هذا العدد الامتثانه من  
الاستطرادات يمكن ان نعتبر بدر البيور  
هنا اية امرأة سلطوية معاصرة سواء  
اكانت زوجة حاكم . أو اية امرأة أخرى تصف  
في أعلى سلم السلطة . ويمكن ان نعتبر  
قصيرا إشارة رمزية إلى قصور المدن  
العربية التي تنتهي تحديدا إلى طبقات  
السلطة .

وتتجلى تقنية الرمز الاسطوري عند  
أمل ندخل في أنه يبدل الحادثة  
القصصية في الص ليله ولييه . شهريار  
هو الذي كان يقتل كل يوم مواطنة من  
نساء مدينته بعد ان يقضى لذته معها .  
أما في القصيدة فإن شهزاد هي التي  
تقتل مواطنا بسيطا ومتشقا ومبدا بعد  
أن تسقيه من غمورها وجسدها . ضلوك  
السلطة في بنيتها العميقة دو توجه واحد  
سواء اكان دكوريا ام انشويا . ومن يقرأ  
الليالي جيدا سيلحظ ان سلوك زوجات  
السلطين ونساء السلطة بصفة عامة  
هو سلوك عدواني وتعطش للدماء . ولا  
يتوانى عن القتل لأي سبب كان . إذ كانت  
هاته النسوة تملك بالعبيد والخدم .  
فالملكة يدور في الليالي الاسطورية .  
والتي استمادت منها الرؤية الشعرية في  
هذه القصيدة ووظعتها تحت اسم بدر  
البيور وشهزاد معروفة بشراها للقتل .  
فقد كانت تريد ان تقتل ابن زوجها الأمير  
الأسعد لأنه رفض ان يكون عشيقا لها  
وباعتبارها زوجة لفرانك لأبيه الملك قهر الزمان .  
وقد قتلت قهرمانتها الجرد ان القهرمانه  
اكتت أنها لم تشاهد غلاما جميلا دخل  
القصر . فاجابته بيور : هي خالته تكذيق

العبد الثامن والخمسون . نوفمبر ٢٠٠٣ م

لأنني أريد لها الخصب والصحة . لا  
الجب والمرض .  
وعبرمايا الشاعر السندياد الغامر .  
الداخلية والخارجية . التي تطمح إلى  
اكتشاف عالم المدينة . تنعكس صورة  
قائمة لهمه المدينة وسكانها وقصائمتها  
وكلايتها . يقول أمل :  
يا طريق التل (حيث القبة للمساء  
تبدو صنما ضخما تحدى المستحبال)

يا طريق التل :  
مارالت على جبنيك آلاف النفايات ..  
سكان القباب المصمتة  
من قمامات البقايا الميتة  
وزجاجات خمور فارغة  
وكلاب ولعنة  
ورماد . وورق !  
أه . يا ذكرى الحنين المحترق  
أه . كم كنت - كما كنت - ترش النور  
والشوق للنبيل  
وتهدجنا غناء .  
وتهدجنا بكاء .  
وتهدجنا فضولا  
ثم . لم نلق من الحب عدا . نابيا  
بخيلا (١) .

ويعد هذا الملح السنديادي . وهذه  
الصورة القائمة للمدينة تبرز صورة أخرى  
للمدينة الحلم بتشافية نساها . وحياة  
الرفاهية والذعة فيها . وسحر حكاياتها .  
وتقل المدينة حاجسا . وحلما بالنسبة  
للذين لا يمكنهم مقومات العيش فيها .  
ولا يخلو هذا الهاجس من دافع جنسي  
واستغاسي من نساء المدينة  
الارستقراطيات . لكن هذا الهاجس يعود  
تحديدا إلى المكثبات السياسية القصصية  
والتي المكثبات الاجتماعية الذي يحاصر  
الشاعر في أحلامه وحريته . ومن قصاه  
هذا الهاجس يبتدو للسندياد الذي أراد  
أن يفتح المدينة بالمعلم والمعرفة والقلم .  
أنه حصل على أجمل وأرفع امرأة في  
المدينة . إنها ملكة المدينة ذاتها . وهي الملكة  
بيور . او شهزاد نفسها . ويعتقد السندياد  
المعاصر ان هذه الملكة ستمنحه الأمان  
والطمانيه والظل وسحر الليالي . وتقف  
العربة الملكية وتطلب منه الملكة بيور او  
شهزاد ان يصعد معها . ويقول الشاعر :  
« فرقت في الصمت حولي عجلات  
المركبة ..

..واقف الخيل .  
..أطلت :  
- من ترى أنت ؟  
..فأومأ مجيبا  
.. قالت : اصعد ..  
.. أه يا ذات العيون الطليبة  
.. كما ترى يتهدد  
أنا لا املك حتى كلمات الشكر . وندنا  
- « غريب ؟  
.. قلنت ما عدت غريبا  
بيتنا كان على ريوه نجم  
زوجه قرانا زوجة لفرانك كثيرا  
عن جبين ييب العمر تتامد ورحمة  
ورسمنا وجهك العبود فوق المنزل  
وعلى صدر الربيع المقبل

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

شهرزاد  
سليمان  
بدر

متوقفة عليه مركزاً وطبقه.. وهو اسير  
حالات عشق مفضية يحبسها نحوها.  
يقول الشاعر:  
لست شهريار  
ستدركني ابداً بأني لا امكك الا  
سوى هواي.. ١

و ما احتوت منذ مولدى  
سما ولا جارية..  
ولا اعتصمت بالصور والرياش  
ولا ملكيت مركباً يمحى به باطنه  
الياقوت والذهب :  
ولا انتصرت للعتى ضد عبده  
لست سوى عاشق روح هاجرت..  
صوب الولايات التي قد امتنت بالعشق  
قل موتها

فارتفعت في سوحيا  
رايساب احمل الارض حبيب  
يعتفون.. ٢

١- هذا المواطن البسيط الذي يحب  
امراً ارتفع منه ما لا مكانة لطيفة. يتقدم  
لخصه فارداً كل اوراقه. طالباً حباً وفلاً  
منها. بالرغم من انه يشترى إلى الملكية  
والقوة. فلا سيف ولا جارية له. وينتمى  
منذ ساعة ميلاده إلى فضاء اجتماعي  
يتحد بالطيفة الفقيرة التي لا تعرف  
القصور الوثيرة. وهو يشترى إلى أي شكل  
من أشكال الثراء.. أو إلى أي احتمال أن  
يكون ثرياً يوماً ما. لأنه لن يكون يوماً ما  
سبندياً يملك مركباً يمحى به باطنه  
اليقوت والذهب.. ١. وإذا كان مستغنياً  
أما هذه المرأة المهيبة الثرية. فإنه لم  
يصف حبها الحمائي والإنساني. إذ لم  
يصف حباً غنى ضد فقير بل حباً حقيقياً  
التي تباين الطبقي وكوله لا يملك ما  
يحميها من طغيانها. لم يمنعه من أن  
يغارها عشقها. طالما انه يملك ثغافية  
الروح العاقبة التي تهاجر إلى كل مكان.  
وقد يتعمد مفهوم العشق هنا من دلالة  
القرينة. ليكون عشقاً لكل مفاهيم الحق  
والخير والحرية. وقد تشير الولايات التي  
تؤمن بالعشق إلى فضاءات بعيدة يتحقق  
فيها كل ما تصبو إليه الروح وتبلغ حالات  
العشق بالشاعر أوجها لتستبدد إيجازها  
وحركته داخل فضاء مكاني يمتد من  
عينيها وليست عينيها

وهنا تصبح هذه المرأة قصيدة كلية  
ناشئة إليه. فهي الأميرة التي من أجلها  
يصبح سكان الأرض منبهاً إلى  
اهميتها. وعندما لا يصل إليها بالرغم  
من عشقه الرافض لها. فإنه يطلب من  
هؤلاء السكان أن يوصلوا خطاب حبه  
إليه. يقول الشاعر:  
..ستدركني أبداً أيتها الاميرة...  
بأنني موزع ما بين عينييك  
وعينيك ١١  
انحر هي يسرها.. كيما أرى جنوني  
القديم  
أطوف حول قصرك  
الناهض من مراراتي..

القم أو حامل الوعى الثقافي والتثويرى  
خارج المدينة المعاصرة المسلحة الرافضة  
لحركات التغيير والتجديد. يعود إلى  
حالة الحزن والصراع. متشرداً خارج  
أوراقها الحماقة بالفتيات والكتلاب  
الوافقة. فأفاد كل أماله فيها. بعد أن  
كانت قائمة في ذهنه كحالة حضارية  
يمكن أن يحقق فيها الأمان والحرية  
والعلمانية.



ولا يتكسى الشاعر أمل بنقل بإدانة  
مدينته المعاصرة. بل تنقذ انتصاره من  
خلال تركيزه الشديد على الرمز  
التاريخي والأسطوري شاهد أدلة وتعبية  
للمجتمعات العربية بهزائنها  
وانكسائتها ماضياً ومضاراً. ولذا فإن  
الرمز عنده يخرج من حقله الماضي  
لتشير إلى حالة معاصرة تتعلق بوضع  
القصدي أو اجتماعي أو سياسي يرفضه  
الشاعر باعتباره وضعاً مشوهاً لا إنسانياً.  
إن شعر أمل دقيق. يعتبر شاهداً حياً  
صادقاً على عقدين.. عقد الستينيات  
وعقد السبعينيات.. سنوات التفتيح  
والاعتزاز الاجتماعي والسياسي في  
الامة العربية. وهو شعر عف وعلا على  
الهبوط إلى مشاركة جوقات الاستبداد  
والاستئمان.. وإحسان الرؤوس وإزاحة  
ماء الحنايا والوجوه. وهو شعر يتنصر  
للعلم الإنساني والحرية.. حيث يمتد  
كبيان الفرض إلى الوطن.. ويمتد كبيان  
الوطن إلى المجتمع الإنساني العام.  
شعر.. أو لثروات العربي والإسلامي.. بل  
شعر التراث الإنساني.. استرقده أمل.  
وجعل منه عصارة حبه.. تسري إلى  
أصناف قصيدة بمفاهيم جديدة.  
ودالات عمرية متوجهة. على حد تعبير  
جابر قصيدة

على وتقولين ما كان أحد بالنا متدك  
وتحلفين لي بالله باطل. فحالت  
الضمرانة والبه ما كنيت عليه.. ولا  
حلفت باطلاً. فاعتقلت منها الملكة بدو.  
وسحبت سيفاً كان عندها وضربت  
الضمرانة فقتلتها<sup>(١)</sup>. كما تؤكد حكايات  
الف ليلة وليلة. ونقرأ في الليالي كيف  
أن السيدة دنيا اليرمكي اخت جعفر  
اليرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد  
امرت بقتل زوجها محمد بن علي  
الجزيري لأنه غاب عنها في لحظة تريد  
فيها دنيا أن تحقق تواصلاً جسدياً معه.  
ولولا شاعرة جوارها ووصفياتها به لما  
نجا من القتل. عندئذ تكتفى بجلده  
جلداً وحشياً يبقى شاهداً أبدياً على  
جسده لأنه خرج من القتل. ثم تطلقه  
بعد ذلك. ويتر البسور أو شهريار  
المعاصرة. أو المدينة المعاصرة هي  
الأخرى تستبد برأي القتل. وبدلاً من  
أن تمنح هذه المدينة الوعى الشعري  
والثقافي والأمان والحرية. فإنه ما إن يلوح  
الصباح حتى تامر سيدة المدينة السيف  
بقتل صاحب هذا الوعى.

يقول الشاعر:  
.. قد أتى الصباح. فقم.  
شدني السيف من أشي حلم  
حامل أمة الأميرة  
- أنا في مسرور معشوق الأميرة  
ليلة واحدة تقضي.. بدم ؟  
يا ترى من كان فيها شهريار ؟  
أنا في مسرور..  
مسرور على الباب: رخام  
- أنا في مسرور لم أسعد من الدنيا  
بفرحة  
أنا لم أبلغ سوى عشرين عام  
خذ ثيابي.. خذ مراياي المتيرة.. ٢



ويبدل الشاعر أمل دقل من الفكرة  
الأسطورية والتاريخية حينما يوظفها  
في القصيدة. فإذا كانت لها إلى ألب ليلة  
وليلة تؤكد أن مسروراً سيف الخليفة  
هارون الرشيد لا يخالف للخليفة عليهم  
بل يقتل كل الذين أصدروا الخليفة أمرهم  
حكماً بالقتل. فإن مسروراً داخل  
القصيدة الشعرية يعقون عن صاحب  
القم ويترنل له فرصة لأن يهرب ولا يعود  
أبداً إلى المدينة. حسناً. فاهرب من الباب  
الذي في آخر المعشوق ولا ترجع هنا.  
وفكرة العفو عند الجلايين في ألف  
ليلة وليلة هي وأردة أيضاً. لكنها ليست  
مصراً عن الثائرين على السلطان.  
والناشرين بنور الوعى والتحرير ضد.  
بل إن العفو تحديداً يقع على المجرمين  
من الجلاذ نفس. إذ يعمل على تهريب  
هؤلاء المذائين خارج أسوار القصر. شرط  
ألا يعودوا إلى المدينة. ولا يقوم الجلاذ  
بتهريب هؤلاء المذائين. إلا إذا تأكد أنهم  
تعرضوا لكيدية وأنهم أبرياء. أو أقدموا  
رشوة كبيرة لهذه الجلاذ  
وتنتهى القصيدة ليُطرد صاحب

## كمال عبد الرحمن

### وخاطب إلى شهرياد

ويكتب الشاعر كمال عبد الرحمن  
قصيدة بعنوان.. خطاب إلى شهرياد.. لا  
تبدو فيها شهرياد أسطورة أو رمزية  
تشير إلى حقل تاريخي أو أسطوري.  
يرتبط بدلالات فورية من الواقع المعاصر.  
بل تقتصر مدخلا قصيدة تشير إلى  
حالات عشق وهوى رومانسي مع امرأة  
معاصرة يطلق عليها الشاعر اسم  
شهرياد. ولئن لهذه المرأة المعاصرة من  
حقول مرجعية أسطورية تتعلق  
بشخصية شهرياد الأسطورية إلا  
مستواها اللغوي قصيد. وكوتها امرأة  
غنية كشهرياد. وإذا كانت شهرياد  
الأسطورة امرأة ناعمة متقدة لشهرياد.  
ولا إرادة لها أمام رغباته. لأنها مجبرة لأن  
تمنحه الحب والحكايات متى شاء. فإن  
المرأة المعاصرة التي يحياها الشاعر امرأة

انصرح يا أهل الأرض... وسعوا المدى  
أميرتي أنية لا ريب. ؟  
وطيبوا الدروب بالزواجر الزكية.  
واطفوني عاشقاً من شرفة الحياة  
وأوصلوا وصيتي بسم هذا  
الخطاب ...

ويتساءل الباحث، هل يتحدد مدلول  
الأميرة هنا، بكونه يشير إلى مجرد امرأة  
غنية ومتموقة وتملك صفات خاصة  
تتموذج بها على بنات جنسها من النساء،  
سجها الشاعر، ومن شدة ولعه بها  
يسمى، أميرة أو يشير إلى رتبة شمولية  
أكرم من ذلك. فتعني قصيدة كبرى هي  
الحياة يسون، أو الاحتمالين قائمان هنا،  
إن العمل اللغوي يستعمل في أن عدة  
أصناف من علاقات وحدانية فيما بينها،  
وهو تبع لذلك يجمع إلى عدة أقطامه  
حسب تعبير ترويض تودوروف. والعمل  
الشعري هو أكثر الأعمال الأدبية التي  
تستعمل عدة أنماط من الإيهامات  
والدلالات اللمائية التي تنمو داخل  
حقول معرفية جد مختلفة. وهذه  
العقول بدورها تمر بركى مخاضة، ومن  
ميزة النص الشعري الحديث أنه لا  
يخضع لتفسير نهائي، بل يظل أي  
تفسير له ناقصاً، وقابلًا لأن يعارض  
بتفسير جديد قد يتباين معه، وقد يليه  
نهائياً، إن النص الأدبي لا يمثل بنية  
لغوية متسقة منطقياً، تخضع لتقليد  
ثابتة يمكن الكشف عنها، بل يمثل  
(تركيبية) لغوية تعارض نفسها من  
الداخل، وتضج بالمتناقضات والفسوخ  
والعجوات على نحو يجعل النص قابلاً  
لتفسيرات وتأويلات لا نهاية لها... كما  
يرى كريستوفر مطر.

وراء التفسيرات التي لا نهاية لها  
والتي يعرضها النص الشعري يمكن  
التكهن بمجموعة من الحالات البلا  
نهائية، فربما تكون هذه المرأة مجرد حالة  
وهمة أو تخيلية، أو مجرد ذروة من نزوات  
العشق، أو امرأة حقيقية كان لها وقع  
خاص في نفس الشاعر فشكّل منها  
أميرة، وحلماً ذهبياً، أو حالة جمالية  
خاصة بالشاعر، أو رغبة تتعلق  
بأيديولوجيا معينة يؤمن بها الشاعر.  
ويسعى إلى تحقيقها، لكنها تبقى في كل  
أحوال معزولة عن سياق المرأة  
الأسطورية شهرة، وحتى لو افترضنا  
أنها ليست معزولة، فإن الرؤية التي  
تطرحها القصيدة غير قابلة لأن تدخل  
في حقل معرفي، أسطوري، وتجد مقابل  
لها في حقل الواقع. إنها رؤية رومانسية  
خاصة، قريبة إلى الوهم أو الحلم، لكنها  
بعيدة عن الرمز التاريخي أو الأسطوري.  
يقول الشاعر:

في تلك الساعة من نزوات العشق  
أتيت

استلحي أوامد الحلم الذهبي  
وأدور بصحراء العريان.. ولأنت  
تسبحني شيء من بعض بكاء  
مطلق...  
فاخذ بدمعي دائرة للفجران  
وأصحو محمورا

وبين ليلة وضحاها أصبح هذا الكتاب  
جزءاً لا يتجزأ من الأدب العالمي تماماً  
مثل «إلياذة» Ilias ، «هوميرس» ، و«أينيز  
Aeneis» ، و«فرجيسيل» Vergil ، و«ديكاميرون»  
Decamerone ، و«الحكمة»  
و«بوكاتشيو» Bocaccio ، و«الحكمة»  
الألمانية القديمة المسماة  
Nibelungenlied كما ترى أدموته  
هلب.

وإذا كان لهذا الكتاب مثل هذه المكانة  
المتميزة فإن لشهراد الفضل الأول في  
جعله يتخطى حدود الإقليمية، ليأخذ  
صبغة عالمية بين آداب شعوب العالم.

ويرى البروفسور «جون جو لبيير» أن  
لشهرزاد أثراً في تاريخ المرأة الأوروبية،  
يقول بهذا الصدد: «إن شخصية شهرزاد  
أثرت تأثيراً حاسماً في تاريخ المرأة  
الأوروبية، وجعلت القرن الثامن عشر  
أعظم القرون في حياتها، وكان لجمالها  
وتفتنها بنفسها، وقصديتها وهذا  
لشهرار الذي عجز كل الرجال عن أن  
يوقضوه، واستخدامها لسلح الأثوة  
والمعرفة معاً، كان لهذا كله أثر كبير في  
تكوين شخصية المرأة الأوروبية.

ولم تتأثر القصيدة العربية المعاصرة  
بشخصية شهرزاد فحسب، بل تأثرت  
القصيدة الفرنسية والانكليزية والألمانية  
والفارسية بهذه الشخصية الأسطورية  
التي تدفع الخيال إلى مزيد من الجموع  
والأحلام والإبداع، «إن قصص شهرزاد  
شبيهة بالأحلام، إذ أنها لا تهتم بالواقع  
والواقع ولكنها تعطينا صورة مخاضة له،  
تلك الصورة التي لا يقدر على إدراكها  
العقل، كما يرى كورتينج، ومن خلال  
هذه الصور التي لا يربطها العقل تتكشف  
أجمل الرؤيات الشعرية التخيلية  
والإبداعية في شعر العالم المعاصر.  
وعلى صعيد الأدب العربي والعالمي  
لم تتأثر القصيدة الشعرية وهذا  
بشخصية شهرزاد فحسب، بل تعدى ذلك  
إلى الأجناس الأدبية الشعرية كافة، وإلى  
الرسم والموسيقى والمسرح والسينما، ولا  
تزال هذه الأجناس تتأثر باستمرار  
بحكايات ألف ليلة وليلة، باعتباره  
منبعاً ثراً لا ينضب من حيث طاقاتها  
التخيلية القصوى التي قلما نجدها في  
أي عمل أسطوري أو قصصي آخر سواء  
أكان عربياً أم عالمياً. ١٧٩٧

## هوامش الدراسة ومراجعها

- (١) عبد الوهاب البياتي، ديوان عبد الوهاب  
البياتي، المجلد الثالث، دار العودة، بيروت،  
الطبعة الأولى
- (٢) خليل حاوي، ديوان خليل حاوي (مجموعة  
فهر الرماد)، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية  
١٩٧٩
- (٣) أمل دنقل الأعمال الشعرية الكاملة.
- (٤) ألف ليلة وليلة، المجلد الثاني، المكتبة  
التشجيع للطباعة والنشر بيروت، دون تاريخ.
- (٥) كمال عبد الرحمن، مجلة الأقطاف، وزارة  
الثقافة والإعلام، بغداد

بلقاء خادع.

وتلاحظ أن القطة الشعرى السابق  
يتناسخ بقصيدة مظفر النواب، «نريبات  
ليلية»، من حيث الفضاء اللغوي، يقول  
مظفر النواب:

في تلك الساعة من شهوات الليل  
وعصافير الشوك الذهبية  
تستلجني أصباح ملوك العرب  
الصدماء...

في تلك الساعة تكوّن الأشياء  
بكا مطلق.

كنت على النافذة معموراً بنجوم الليل  
الأبدية  
استقبل روح الصحراء  
في هذا البدوي المعن بالهجات تروى  
بلفاء الربيع الخالي بقطرة ماء.

## خاتمة

واختتم هذا الفصل بقصيدة قصيرة  
بمعناو، شهرزاد، للشاعر التونسي، سوف  
عبد، وكثير فيها إلى عبثية وعدم  
جدوى الفعل الشهري الأسطوري في  
علاقاته الكثيرة مع نساء مدنيته، والتي  
هي علاقة انتقامية وقمعية له، ومهما  
كانت محاولاته الكثيرة الرامية للوصول  
إلى رأس التبع العبد، وبالتالي تحقيق  
أمنيته هي الحصول على امرأة لا تعرف  
الخبانة، بعد أن فقد كل شقته بنساء  
مدنيته، فإن هذه الأنثوية تصبح سراًياً  
أيضاً تهرب في فضاء غاي، الجيب،  
المنقوب، وما نساء مدنيته غير أفاع  
حرام، وبالتالي من الصعب الحصول  
على امرأة نقية لم تعرف الخيانة بعد.  
داخل الملكة الشهريّة، ويصعب شهرزاد  
هو نفسه «جميعاً، أي حالة فورية تاهية  
أو ذاتاً، بوراً خاوية في زمن جور مالج،  
وتستعيد حكايات شهرزاد بيتاً في عت،  
وتعقد قيمتها الجمالية والحكاية،  
وبالتالي تفقد فعلها في تهذيب طابع  
شهرين، ويسقط الليل طويلاً وينتهي إلى  
الليالي، لشهرزاد أصبحت خرساء، أي أن  
العمل وتأثيراته داخل الرؤية خاوية لا  
المعاصرة، ويعتبر، ويصعب الزمان خاوية لا  
وفاة ولا نماء فيه.



لقد كان لكتاب ألف ليلة وليلة  
الصدارة بين الأعمال العربية والعالمية  
الكبرى، في الفلسفة والتاريخ وعلم  
الاجتماع والأساطير والحرفاات والسحر  
والقصة والرواية. وقد ساهمت في إقام  
الأول حكايات ألف ليلة وليلة في خلق  
الصور الرومانسية الخيالية عن الشرق،  
إدخلته معها ونقلته إلى الغرب، وتوسّى  
لحرب من خلال حكايات شهرزاد اكتشاف  
الشرق. ولا يوجد مؤلف عربي أو أجنبي  
قوياً في الأدب الأوروبي مثل تلك  
الحكايات الشعبية الرائعة والجنابة.



## تتجلى تقنية الرمز

الأسطوري عند

أمل دنقل في أنه في

ألف ليلة وليلة، كان

شهرزاد يقتل كل يوم

مواطنة بعد أن يقضى

لذته معها، أما في

القصيدة فإن شهرزاد

هي التي تقتل مواطناً

بسيطاً ومتقفاً

ومبدعاً بعد أن

تستقيه من

خمورها

وجسدها



# أقل سعر للدقيقة محافطات فقط من المصرية للاتصالات



عندما تستخدم خطوط المصرية  
للاتصالات لأجراء مكالمات  
المحافطات تتمتع بتوفير يصل الى  
٩٠٪ عن أي شبكة تليفونية أخرى

بأسعار الدقيشة

بدا من ٨ قرشين ويصل الى ٢٠ قرش  
جيد - المضافة

نوع الخدمة	سعر الدقيشة
محافطات	٨ قرش
محافطات	٩٠ قرش

نوع الخدمة	سعر الدقيشة
محافطات	١٦ قرش
محافطات	٣٠ قرش

نشرت الآن في حاصية الساء الاالى محافطات  
لزيادة من المعلومات اتصل بـ ٠٨٠٠ ٢٢٢٢٢٢٢٢

المصرية للاتصالات  
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

٩٩ تهتم وجهات نظر، بتعريف قراءها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشرين والكتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك. وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٦٦

## القرب والآخرون. قصة هيمنة

صوفي بيسيس  
ترجمة سبيل سعد  
الناشر: دار العالم الثالث ٢٠٠٣ ٤٢  
صفحة



من الذي أعطى الحرب تلك الحماكة المهيمنة ليحرص رؤيته لكيصية تسجير التوقف؟ وهل ثمة نماذج أخرى يمكن أن تحتذى؟ هل ثمة وسيلة للتقدم مع الاحتفاظ بالشخصية الوطنية على حالها، أي دون أن تتعرب. تلك هي بعض الأسئلة التي تطرحها المؤامرة وهي في الخلاصة تشير إلى أن هذا التوقف ليس حتمياً ولا نهائياً خصوصاً وقد برزت تفرقات في أماكن أخرى من العالم، هي آسيا مثلاً. والغرب لا يمكنه أن يتخالف حالات التوقف تلك. وستولد من ذلك صراعات قوى جديدة تأخذ أشكالاً مختلفة، قد لا تتكمن من إنياف حالة الهيمنة الغربية. لكنها بالتأكيد ستخلق اضطرابات تؤثر عليها. فالعولمة دائماً لا يمكن أن تحقق أهدافها من مشاركة من هؤلاء الواقعيين تحت سطوة العرب وهيمنتهم. هذا يعني أن ثمة لا عيب جدداً مشتركين في مسيرة العالم حتى لو لم يكن العرب مدركاً لذلك.

## آخر أخبار المسألة الشرقية

مايرال الرحل مريضا  
الناشر: دار العالم الثالث  
دمشق و. رة الأعلام ٢٠٠٣ ١٠٠ صفحة



يبدل العنوا مباشرة على المحتوى. إذ يتابع المؤلف في سرد تاريخي حالة المسألة الشرقية. ويصف الداء للرجل الذي امتد مرضه المرص حتى قارب الموت عام وهو

في هذا كله ينارب حركات التجديد والإصلاح سواء كان دينياً أو مدنياً، ويقدم مصادج لتهديد الحركات من خلال من عياشوف. وكيف ألهم إلى ما ال اليه. ثم ينتقل إلى معاهيم عطرسة القوة التي صارت معصا العصر. ويراية فإن اعتقاد هذه القوة هو أحد أعراض الرجل المريض متلما هو أحد أسبابها وأحد مصادر عداية الأتني من الداخل والخارج هذا حركات التحرر الوطني لا تلتفت من الصورة. فقد كان تاريخ صعودها سلم السلطة وممارستها لها. هو تاريخ الانقلاب العسكري والسطو الاجتماعي والسياسي. وإزهاج السلطة في المجتمع. وتكامر املال الدائرة بالتعصب الذي مارسته حركات ننت صمها إلى الدين والاضطوط الخارجية الاستعمارية ورع إسرائيل في المنطقة وهكذا دخل الرجل المريض، في دائرة معترجة على كل الاحتمالات مع قدوم القرن الحادي والعشرون. وهذا إما أن يدفن ولوازيه الشراة، أو يسترد عاقبته ويوصيه ويعود لممارسة دوره. هذا الذي سيجرى خصوصاً مع الحل السحري الأمريكي الذي يخلط الداء بالداء معاً؟

## نظرية السلطة في الفقه الشيعي

ترقيق السبب  
الناشر: المركز الثقافي العربي ٢٠٠٣ ٢٢٠ صفحة

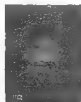


مسألة السلطة في الفقه الحنفي هو الموضوع الرئيسي للكتاب. والهدف هو اختيار امكانية الوصول إلى نظرية حديثة لشريعة السلطة في الإسلام. وقوامها سيادة الامة على الدولة. انطلاقاً من ان الشريعة الإسلامية لا تقتصر على الجانب العبادي والاحلاقي. وإنما تشمل يتعالييمها وقواعدنا الشأن العام. ومن ثم تتناشئ الدراسة فرصيات عدة وتطرح تساؤلات عديدة عن فكرة الإمامة وفي التعبير الذي استخدمه أهل الشريعة لتفسير عن نظام الحكم الحنفي وكيفية ممارسة السلطة في إطار الفقه الحنفي. هل السلطة التي ترجع اليه حق ملكية وما الذي يفاضلها من واجبات ومن الذي يحاسب

على صحة القيام بالتكاليف. ويصبح السؤال الرئيسي هنا: مع القول بالولاية العامة للإمام، ومع القول بأن الولاية العامة بعد الحضور لفقهاء الجامع للشرائط، فهل ثمة احتمالات في الفقه الحنفي لتأسيس سلطة شرعية خارج إطار ولاية الفقيه؟ وينار هنا إلى ان الثورة الإيرانية وما أحدثته من تحولات في محيطها جعلت الموضوع مطروحاً بقوة. فقد بنت الثورة فكرة نظرية ولاية الفقيه، باعتباره عمود الخيمة في النظام السياسي الإسلامي، مع تطعيمها بفاهيم مستمدة من الأدلة العقلية والنظريات أخرى. شكلت في معظمها التطورات التي وضعت فقهاء ومفكرين وطرح للاستفتاء الشعبي. وقدم أول نموذج نظري للسلطة وشرعيتها والمؤلف يؤكد في هذا الإطار على معنى بالغ الأهمية هو أن ولاية الفقيه نظرية ذات طبيعة تاريخية، وهي نتاج عمل اجتماعي من شأنه أن يصيب أو يخطئ. وهي محصنة للتفاسد بين الإنسان والزمن. وهو تفاعل يعيد بين المعرفة في كل مرحلة على حدة، ويبدأ الوصف فإن هذه النظرية لا يمكن اعتبارها ثابتة بل هي قيد إلى حد ما يستلزم الصواب والخطأ. وإقامة شروط لتحقيق قيم في العمل السياسي لا يمكن تحقيق العدل دون إقرارها منها. العرف الحلي كمحدد لقياسات العدل، وتعميد السلطة لضمأن عدم جورها والحد من استبدادها. والمشاركة الشعبية باعتبار أن الشعب هو مانح السلطة.

## مختصر تاريخ العرب

محمد إبراهيم حلمي  
الناشر: دار المصرية. ٢٠٠٣ ٤١١ صفحة



يسلط المؤلف عبر كتابه، الذي يوزع مصححاً برسم يراي توضيحي جانباً من تاريخ العرب وحضارتهم، وهو يصفى كتب التراث وتكون الأقدمين، ويخرج علينا بقصص وتراجيم ونوادير تثيرها بين سباحة تشكل في مجملها عنقداً واحداً ولا مدت متفرقة لا جامع بينها.

وهو إلى ذلك يضعها في إطار واسع يشمل أصناف العرب ووطن قبايلها الأساسية وأصلها وأصول التي أحدث منها، والهدف هو أن يقدم تاريخ الأمة العربية منذ ما قبل التاريخ وحتى اليوم في أربعة أبواب تبدأ من الجزيرة العربية في فجر التاريخ، وتنتهي بالعولمة العثمانية، مروراً بمعشرات القبائل في الوطن العربي كله، وبالفرقة والمناولين من فرس وإغريق ورومان وصليبيين وتترار.

## تأثير المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية على المسرح الخليجي

حبيب غلام الحمار  
أبو ظبي: الجمع العلمي الثقافي، ٢٠٠٢. ٢٧٢ صفحة



يقدم الكتاب وهو في الأصل أطروحة جامعية نال عنها المؤلف درجة الدكتوراة من جامعة ماستر دراسة تحليلية للحركة المسرحية في الخليج العربي، وتأثير التغيرات الاقتصادية والاجتماعية عليها. وكما كان للظاهرة في أسعار النفط فكتاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ تأثيرها على أوجه الحياة في دول الخليج العربي اقتصادياً واجتماعياً، فقد كان لها كذلك تأثيرها الثقافي المهم، إذ امتدحت دول الخليج على العالم المحيط بها. لكن تأثير ارتفاع عوائد النفط على المسرح كان سلبياً بدرجة ملحوظة. إذ انصرف الناس إلى المسرح التجاري الذي يقدم الكوميديا المبتذلة والتبريح المسند خصوصاً. كما يقول المؤلف في قطر والكويت، فيما بقيت المشكلات التي واجهت المسرحيين في دول الخليج الأخرى على حالها، هي السعودية مثلاً لم تطرح بدائل لعباب التخصر النشائي عن المسرح، وفي الإمارات وفي تواجده مشكلة تعدد الفئات، ولم الجوين لا يوجد بناء مسرحي واحد. لكن المؤلف رغم هذا اتخذ الباعية على التنازل، يرى بقعة ضوء في المسرحيين الشباب من حصولا على شهادات علمية في كلياتهم ومعاهد متخصصة، وقدم بعضهم عروضاً تجريبية واعداً. مثلت بلدانها في المهرجانات المسرحية المختلفة، ويلاحظ المؤلف أن القضايا التي يطرحها



**هؤلاء الشباب هم فصالي إنسانية**  
 بالدرجة الأولى، ومن خلالها تناقش أفكار  
 وروى سياسية ودينية جريئة، وحين  
 يعود هؤلاء لمارس ما درسوه في  
 بلادهم، فإن غداً مترقباً ينتظر المسرح في  
 الخلق

## المناطق الخالية من الأسلحة النووية بين الشروط النظرية والخبرات العملية

محمد عبدالسلام  
 القاهرة مركز الدراسات السياسية  
 والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٢، ٥٢٢  
 صفحة



بمكس ما كان متوقفاً، لم يولد ضرب  
 هيرتسما ونجاواك في الفانيال الدرية، ولم  
 الخراب والدمار الذي شهده العالم لهذه  
 النوعية من الأسلحة التدميرية، والوهاب  
 النفسية العميقة التي سببتها والتي مازالت  
 تأثيرها حاضراً حتى اليوم. لم يولد ذلك  
 كله إلى الإجماع على إنتاج هذه النوعية  
 من الأسلحة بل على العكس، زادت  
 مجالات تطويرها، ومثلت لدول وقوى  
 عديدة صاعدة تحدياً أساسياً لبناء مكانة  
 إقليمية ودولية، وهو ما أدى إلى انتشار  
 تلك الأسلحة في عدد كبير من الدول، ومع  
 انهيار الاتحاد السوفيتي وزيول نظام  
 القذافي الثاني، سمحت دول كثيرة إلى  
 امتلاك سلاح نووي برغم معنى المجتمع  
 الدولي التي تحميم هذا التوجه بغرض  
 شبكة من الضوابط ذات الطبيعة  
 القانونية

وهذا الكتاب في الأصل أطروحة  
 علمية نال بها صاحبها درجة الدكتوراة  
 في العلوم السياسية، وهي تهتم بالتحليل  
 النظرية وتطويعها التاريخي في مجال  
 ضيق التسليح ونظم الأمن، وتحديد  
 العناصر التي يمكن من خلالها تحديد  
 مفاهيم المناطق الخالية من الأسلحة  
 النووية وأهداف إنفاذها والالتزامات  
 المرتبطة بها، ويحلل الخبرات العملية  
 لإقامة تلك المناطق في حالات أمريكا  
 اللاتينية والكاريبي وجنوب المحيط  
 الهادئ وجنوب شرق آسيا وأفريقيا،  
 وصول إلى الدول الكبرى تجاهها، بهدف  
 التوصل إلى معادلة واضحة حول الشروط  
 الموضوعية اللازمة لإقامة منطقة  
 خالية من الأسلحة النووية في الشرق  
 الأوسط.

## المنار الجديد

المشرق العام، جمال سلطان  
 القاهرة، دار المنار الجديد للنشر والبيع  
 صيف، ٢٠٠٢، ١٧٦ صفحة



علق العدد الجديد من هذه الدورية  
 خصص لتركيا، ومن هنا يوثق، ورقه  
 السياسة الخارجية عند حزب العدالة  
 التركي، البنية الثقافية والفكرية لحزب  
 العدالة التركي، حزب العدالة التركي من  
 الواقعية والوقوف السياسي، قراءة في  
 تجربة الحركة الإسلامية تركيا،  
 وفي منتدى المنار لكتب الدكتوراة  
 ماجدة مخلوف عن تركستان الشرقية في  
 نسج الحصار الإسلامي.

وفي الأمتاحية يكتب الدكتور كمال  
 السيد حبيب وهو أحد رموز التيار  
 الإسلامي في مصر عن تحولات الحركة  
 الإسلامية المصرية ومستقبلها، ويكتب  
 الدكتور محمد رجب البيومي عن حرية  
 التفكير في الأزهر الحديث، ومحمود  
 سلطان عن المعلمانيين العرب من محنة  
 التنوير إلى محنة الحداثة، بالإضافة إلى  
 دراسات عدة في الواقع الإسلامي  
 وتحولاته سياسياً وثقافياً واجتماعياً،  
 ومباحثات الإصدارات الحديثة في المجال

## عروسة بالكمبيوتر

صلاح المداوي  
 القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
 ٢٠٠٢، ٢١٢ صفحة



لم يكن أحد يتصور أن يشغل  
 الكمبيوتر في حياة الناس إلى هذا الحد،  
 مجرد محاسب (أي بحسب تسمية مجامع  
 اللغة العربية، لكنه شيئاً قريباً، ومع  
 الثورة المتسارعة في عالم الاتصالات  
 اكتسب أهمية متزايدة، هذه الأهمية نعتت  
 المؤلف لأن يكتب هذه السلسلة عن الزواج  
 بالكمبيوتر في شكل روايات إبداعية ذات  
 طابع فكاهي شعبي، يقوم فيها الكمبيوتر  
 بدور الخاطبة، القديم، فهل ينجح، وهل  
 يمكن أن تقوم علاقة إنسانية ناجحة وفق

حدد الطريقة وهذا يمكن أن تكون نسج  
 الروح بواسطة الكمبيوتر  
 حدد بعض أسئلة مطرحها المؤلف  
 مستخدماً ناصات الكمبيوتر وبحسب من  
 صميم الجاد، وسيلاب بين روى وأفكار  
 تقليدية وأخرى مستحدثة

## العلاقات الدبلوماسية بين الأندلس وبيزنطة

عبد الرحمن عيسى  
 أبو هنس إصدارات المجتمع العلمي  
 ٢٠٠٢، ١٢٢ صفحة



عشر سفارات المؤلف من  
 بيزنطة إلى قرطبة، حظي بعضها  
 باستحداث من الأندلس، وقد تتبع المؤلف  
 خط سير هذه السفارات في الشهاب  
 والإتياب، وألقى الضوء على ما تم فيها  
 والموضوعات التي ناقشتها والمجتمعات التي  
 احتوتها

ويلاحظ المؤلف أن الإمبراطورية  
 البيزنطية كانت في الساعية إلى المبادأة  
 بخطوة الأندلس، نظراً لما ارتأه البلاط  
 البيزنطي من منفعة يمكن أن تستحق  
 بتطويع هذه العلاقات، وقد كان لهذه  
 الإمبراطورية مواجهات وعلاقات مع  
 الدول الإسلامية منذ وقت مبكر من  
 تاريخها، وكانت كثير من البلدان الخاضعة  
 للإسلامية ميداناً للمفاوضات الإسلامية،  
 لكن النقص المتفوق لم تؤكد وجود  
 نشاط دبلوماسي من أي نوع، وإنما علاقات  
 ودية أنتجت سفارات متقطعة، هي التي  
 يرصدنا المؤلف

## مضارب الأهواء

إدوار الخراط  
 القاهرة دار البنات للنشر و لبيع  
 ٢٠٠٢، ١٦٢ صفحة



مجعوه قصصيه جديد صاحب  
 درامة والتين، ورائها زعفران، وأمواج  
 الدالي، وغيرها من الروايات والقصص،

بل و لخصاص، التي أحرز المؤلف فيها في  
 سوابق عمدة الأحرار لعدد ٦ مجموعات  
 شعريه كـ بعضها تويها في لعب  
 لونه لاصدانه في السابن لشكيبين  
 على عدلى روى لله واحد مرسى رسامى  
 مثل قصلا عن عشرات التراب السنيه  
 و لرحمده  
 قصه المحمودة : قصه قصصه  
 يقف فيها الراوى أمام جمال الوجود  
 وأصواله وأقدار الناس، هي شواوع  
 الإستدريه أو قرى الصميد، في الفاضه  
 أو في صحراء وادى المنظر، أمام الالم  
 والرحمة والمثقة بالحياه، تنسج جميعها في  
 كيان فنى متعدد تلهمه رؤية جمالية  
 وفكرية خاصة

## الوسواس القهري

و نى أوفسى  
 مكتبة علم، معرفة، ٢٠٠٢، ٢٥٠ صفحة



يصيب الوسواس القهري واحداً من  
 كل خمسين من البشر على مستوى العالم،  
 والعدل في ريادة مستمر، وبحسب أكثر  
 التقديرات تقارباً، فإن نحو ستة ملايين  
 عربي مصابون به، وإزاء انتشار المرض على  
 هذا النحو يركز المؤلف على التمييز بين  
 الوسواس الخناس والوسواس القهري،  
 مصححاً لمخاطبة الخاطبة في مجتمعاتنا،  
 ويميزاً بين ما هو من فعل التنشيط  
 الرجيح، وما هو اضطراب نفسي له علاج  
 ودوائى أو معرقل سلوكى.

ومشكلة الوسواس القهري، أنه  
 اضطراب كثيراً ما يتعثره المرض سرا  
 يعمد إلى إخفائه كي لا يتهم بالجنون أو  
 قلة الدين أو قلة الثقة بالنفس، إضافة  
 إلى أن كثيرين من المرضى لا يعرفون أنهم  
 مرضى، ويستسلمون له اعتقاداً منهم  
 أن هذا هو قدرهم وأن الله سبحانه  
 وتعالى خلقهم على هذا النحو لحكمة  
 يعلمها

إلى ذلك يتنامى المؤلف إسهامات  
 الباحثين العرب المعاصرين في هذا المجال  
 الخاص خصوصاً في مصر والكسويت  
 والسعودية والبحرين، فضلاً عن إسهامات  
 العلماء العرب القدامى وأبرزهم في  
 توجيهات العلم الحديث حول هذا المرض،  
 ويعرض كذلك التواريخ المرضية لتسبع  
 وتلاتين حالة وسواس قهري من المرضى  
 العرب

## الإغراء بالقراءة

فاروق شوشة

مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢، ٤١٨ صفحة



يجمع الكتاب المقالات التي نشرها المؤلف في رايوته الأسبوعية بجريدة الأهرام، والتي تنوعت موضوعاتها، بين نقد أدبي ومتابعات فكرية وثقافات تلقى أعضاء على إبداعات راحلين من معكرين وأدباء ونقاد، بالإضافة إلى نصوص شعرية تتحلل الدراسات يختارها المؤلف بعناية وحذق، وهو شاعر كبير ورئيس سابق للإذاعة المصرية.

يكتب المؤلف عن علي الزاوي وعبدالقادر القط وطه حبيب ويحيى حفي وعبد الرحيم منصور وطارق الملاذكة وصالح جاهد ومصطفى صوف وسيف الرحبي والفيتوري ونجيب محفوظ، يكتب عنهم من خلال أعمال يحللها ويخبر الناس بقراءاتها.

## حياة المصريين القدماء في عصر

الفراعنة

بيل عيد، حدى عمر  
القاهرة دار البستان، ٢٠٠٢، ١٥٧ صفحة



أول ما يلتفت النظر في هذا الكتاب أن مؤلفيه من المختصين في المجال الطبي أي أنهما ليسا باحثين في المصريات، لكنهما مع ذلك نجحا في أن يقدموا باختصار وبساطة صورة مبسطة عن الحياة في مصر القديمة منذ أكثر من خمسة آلاف عام، وقد كان للحضارة المصرية منذ هذا التاريخ المؤهل في القدم، دورها المهم والفاعل في نشر العلم والنور وأسباب الحياة في كل أرجاء المعمورة، ساعد على ذلك مناخ معتدل وخصوبة في التربة ووفرة في المياه، وموقع جغرافي متميز.

الكتاب يصف الحياة اليومية للمصري القديم، غذاءه، لباسه، صناعاته، الحرف التي أبتغها، عيافته، رحلاته، فنونه، رياضته، أفكاره عن المرأة وحقوقها،

أفكاره عن العدالة وروح القانون، أعياده، أدبه، ميله إلى المكالمة والمرح.. وذلك عبر عشرات الصور الجذابة والمجمعات والنون التي رنت جدران المعابد

## قضايا نحوية

مهدي المحزومي

أبولوبس: المجمع الثقافي، ٢٠٠٢، ٢١٢ صفحة



يشعر الدارسون بشغل وطأة قواعد اللغة العربية (النحو) عليهم، ربما بأكثر مما تصعب عليهم قواعد اللغة الإنجليزية أو الفرنسية، أما السبب، فهو، بحسب المؤلف، الحصار الذي فرضه أصحاب الفكر المحافظ المشدود إلى الوراء على اللغة واستعمالاتها بدعوى تقديس القديم، لكن اللغة أبسط وأجمل والقدر على الإحاطة، هنا ما يؤكد المؤلف، في دراسته البسيطة للمفصلة في الوقت نفسه، إنها مجادلات المناطقة، التي نفرت كثيراً من الدارسين، وهو في عسما يقدم نماذج تطبيقية وإشارات دالة، مستعينا برأس البلاغة، الفزان الكريم.

## ساميين روائياً ومخرجاً سينمائياً أفريقياً

وجدى كامل صالح

أبولوبس: المجمع الثقافي، ٢٠٠١، ٩٥ صفحة



يمثل عثمان ساميين ظاهرة فريدة في الثقافة الفنية الأفريقية، وهو بدأ أديباً وروائياً قبل أن يتجه إلى السينما، وكانت إبداعاته في الحائلي، مرآة صادقة لطاقت التمييز والتحول في القارة السوداء.. خرج ساميين من السنغال التي شملت موها متميزاً بين سائر المستعمرات الفرنسية، منحتها من تشكيل نخبة واسعة من السفاليين التابعين للسياسة الفرنسية، وقد استطاع ساميين الذي اختزل ذاكرته عشرات الأساطير والحكايات الشعبية عن

# لما تفكر..



تحول نظرك  
وتضمن وصولها

## خدمات تحويل البنك الأهلي المصري

- أسرع خدمات لتحويل الأموال من أي مكان (رسيد كاش، الأهلي ترانسفيرز)
- Rush Money، الحوالات المالية الفورية
- تلتخص المسائل بتحويل المدخرات مع أكبر المؤسسات المالية بالمسودية ولبنان والإمارات العربية المتحدة
- حوالات فورية في أسرع وقت ممكن
- شبكة الكترونية لمتابعة جميع التحويلات
- مسيرك فوري للتحويلات
- مسؤولية كاملة عن التحويل



البنك الأهلي المصري  
الأقرب إليك



## من منشوراتنا

مساعدة السفير / رواية

السلمة والمعارضة في الإسلام

الأعمال الروائية (مجلدان)

البيزيتية

موسوعة ياذا الجميلة (مجلدان)

## الحركة الوطنية الفلسطينية

المجلس المتنبئ

مغازي عبد الرحمن القصيبي

پیر هوارى

تمس الروايات

سعيد الديوب جي

على البواب

ابو الفخر

يوسف الشيراوي

سعود المجتمع العسكري العربي في مصر وبلاد الشام      شاكرو النابلسي

التوريث السياسي في الأنظمة الجمهورية العربية د. خليل أحمد خليل

مكتبة كايالي  
KÄYYÄLI BOOKSHOP



بدرت، الصناعم، شارع نيون، بناية عبد بن سالم، تلفاكس: ٧٥١٤٣٨ / ٧٥٢٣٠٨

مقام: الشمسان، شارع عبد الحميد شومان، بنارس، هاتف ٥٦٠٥٤٣٢، فاكس ٥٦٩٥٥٠١  
بريد إلكتروني: maxalyah@net.com.eg

بريد إلكتروني: [maajalyah@nets.com](mailto:maajalyah@nets.com)

## الطعم والهيضم



وتوقع السلوك السياسي الأمريكي. وذلك بتقديمه تحليلاً أنثروبولوجياً ونفسياً للشخصية الأمريكية.

## الاتصالات والمعلوماتية في مصر

المحرر - عبدالمنعم يوسف بلال  
القاهرة - المكتبة الأكاديمية. ٢٠٠٣ : ٢٢٢  
صفحة



يأتي الكتاب في إطار مشروع منتدى العالم الثالث ٢٠٠٢، الذي عقد فيه برنامج عديدة استشرفت الواقع المصري في عام ٢٠٠٢، وتوصل المسجل -الخاصة بسيرة المؤلفين- إلى حقيقة: أن الاقتصاد والمجالات الاجتماعية والمنوع وجميع المجالات الحياة. وتهدف هذه الدراسة إلى إرساء معالم مستقبل الاتصالات والمعلومات والصناعات الحدية في مصر، إضافة إلى إظهار الظروف المعيشية والتطورات العلمية في مجال الاتصالات والمعلوماتية والتجارة الخارجية من الدول الأخرى، خصوصا من الزيادة أهمية لشركاء الاقتصاد وتوفر السلع والخدمات التي التقطت الجديد، الكتاب يتألف من ثمانية فصول، يقدمها بسبيرانوهات استقرت، كما تقدم قائمة بالمصطلحات ذات الصلة بمجتمع المعلومات والأختصاصات الدالة عليها.

**الثقافة التفسيرية المتخصصة**

مجموعة من الباحثين  
طرابلس، لبنان، مركز الدراسات النفسية  
والنفسية الحسية، ٢٠٠٣، ١٦٠ صفحة



يتخصص العدد الجديد من هذه النورية المتخصصة مشاركات لباحثين ومختصين من دول عربية عدة في ملف يحمل عنوان «سيكولوجية الحروب العربية»، كما يتضمن مقالات متنوعة بينها: ثورة الحثوث، للدكتور يحيى الرخاوي ونحو مشروع معلوماتي نفسي

بلاذ، أن يفتت من هذا الحبيب، وإن يراكم  
خيرة إنسانية ومعرفة علمية، جعل منه  
الإنسان لاجتماع لاجتماع الألفة في  
مرميتها التي أرحل إليها ليعمل حالاً  
وتشارك عشرات الألوف من الأفارقة في  
العمل الشاق الذي يتخلف الفرنسيون  
من الإقدام عليها، هذا عبر عبر الأدب  
والسياسة مع هذه الحال، كما صوته مع  
استدعاء عدد حركة التحرر الوطني في  
أفريقيا، باعتبار أن الصوت والاعلان من  
أسر الاستعمار والتخلف في أن أملاً  
هذا الكتاب يتناول سيرة هذا الفنان  
المتنهل في روح حمانيه فصول، عارضته  
لإحارته الأدبية والسياسية.

النفيس النفسية.. سيكولوجية  
السياسة الأمريكية

بنان طرابلس، مركز الدراسات النفسية.  
٢٠٣



يبدأ المؤلف كتابه بتقديم تحليل  
نفس الشخصية والخصائص إلى  
أن التفكير بهذه الشخصية بسبب  
المتناقضات العرقية والسياسية الأمريكية،  
ويؤكد على أن المادة المتناقضة لهذا  
التركيبة هي الرخاء المادي الذي أدمنه  
الأمريكيون، ويكمل الدراسة بمناقشة  
نظرية الرأسمالية والبروليتاريا، على  
الأساطير أن الاقتصاد الأمريكي يشافى  
على النهوض ويكاد يصل بالعلم إلى حافة  
النهاية، ويكمل الكتاب الثلاثه الأسود  
الأمريكي في التحليل لوقت المؤلف.  
أيضا يتحدث المؤلف عن عرض  
نقدية القائمة من أهم كتب الاستراتيجية  
الأمريكية، التي تطعن القارئ على  
الاجتهاد الفكرية المتناقضة لترسم  
الاستراتيجية الأمريكية من الكتب التي  
يعرضها المؤلف، نهاية الكتاب، وبقية  
المنطق الكبير، وسياسة المعرفة.  
الحرب الأمريكية، وأزمة الاستراتيجية  
العالمية، والبروليتاريا ضد الحرب على  
أفريقيا، وتكتاب بطرس غالي، ست سنوات  
في بيت من وجع، وسيرة حياة مادلين  
أولبرايت، والخبرات في حق الشفاعة.  
منقول للمترجمين، وتكتاب توسموسكي  
الدول المارقة، وغيرها من الكتب التي  
تضع القارئ في أجواء سلطة القرار في  
الولايات المتحدة، ويختصر بطركه  
حول الخلفيات الفكرية والاستراتيجية  
الموجبة للقرار الأمريكي لكن العادلة  
لذلك الكتاب تكمل، في حقيقته علم،

## علي عبد الرزاق... الإسلام وأصول الحكم

كامل سعاد  
الدار المصرية للنساعة، ٢٠٠٣ ٩٥ صفحة



ولد الشيخ علي عبد الرزاق في عام ١٨٨٨، وهو من بيت عريق في العلم والقضاء. وقد أثار بكتلته «الإسلام وأصول الحكم» الذي أصدره عام ١٩٢٥ زوباع لم تهدأ يوماً حتى الآن، وحرك بهذا الحجر الذي ألقاه مباحاً راکدة في مصر والشرق كله، فقد حرّ عرش الملك فؤاد الذي كان يطعم من أن يترك خلفه المسلمين بعد سقوطها على يد التوروك في تركيا. كما أرعبت دعوته معالم حصن عديداً من المكاسب باستقرار الأوضاع على ما هي عليه، وعطل منافعهم في الإجماع بالدين، وورع من شأنه وميوله المحافظة، فقد كان الشيخ على فوراً مطبوع، مباحاً إلى الإصلاح والتجديد. وقد جهر على الأصول التي تروى عليها، وقد كان كتابه الصعير هذا مثل قنبلة، فقد أسقط وزارة وخص اختلافاً وأحدث تحولات محطيرة في السياسة المصرية

## عرب أوروبا بين القاضى والجلاد

سيد البسكي  
Benelux Middle East  
٢٠٠٣ ١٩٢ صفحة



ملايين العرب يعيشون في أوروبا اليوم، بينهم من هم مفكرون وباحثون في مجالات عديدة، هؤلاء يسمعون قطعاً إلى الحضارة الإنسانية

لكن هؤلاء، خصوصاً بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر يواجهن مشكلات عديدة، ويخطر إليهم بريبة وتوجس شديدين، والخوف الذي يقيم في هولندا منذ عقدين تقريباً، برسد حياة مجتمعات عرب أوروبا، وعصمتها الشرق والجدت والاستقامة بالترتيب والأدب التي يتمتعون بها لها من قبل حكوماتهم ومن قبل الحكومات الأوروبية ذاتها. كما يكثف من أسباب ضعف جماعات عرب أوروبا وحالات التهميش التي يعانيونها، ويتعرض لحالات التجنح والقتل لهؤلاء،

الأحزاب الكبيرة ذات التمثيل في مجلس الشعب والتشورى، والتي تملك جرائد تعبر عن وجهة نظرها في القضايا الختلفة، لكي توجد أحزاب صغيرة لا يعرفها حتى بعض المثقفين بالعمل السياسي والتفكير، وهي تعاني من المشاكل داخلية، ومن غلبة الطغاة العالمى أو القبلى على تكوينها، ومن غياب التقاليد الديمقراطية والحزبية التي تنظم عملها، وهذه الدراسات هي مجملها تبحث في النشأة التاريخية لهذه الأحزاب وبرايمها وسياساتها وأزماتها وعلاقاتها بالأحزاب الأخرى، في محاولة لتأسيس هذه الظاهرة من ظواهر الحياة الحزبية المصرية التي لا تزال تروح تحت قبضة عديدة، قانونية وأمنية وسياسية.

## أصواء على التسامح والتعصب

عاطلة على  
بهرت دار الفكر للنشأة، ٢٠٠٣ ١١٠ صفحات



يطرح المؤلف تساؤلاته الجديلة على هذا النحو، ما هو التسامح ومتى ظهر وأين ولماذا هو ضرورة وكيف يمكننا الأخذ به

وفي سميح للإجابة ينهل من روى هولثير ودراساته حول التسامح، ومن كتاب اليكس هالي «الجدور»، وهو لا يقتصر دعوته ومجال بحثه على العالم العربى ولا على لبنان الحبيب، وإنما يتنحها بعداً إنسانياً عالمياً، ويظهر في هذا الإطار إلى ما يجرى في الكثير من بلدان العالم، من بينها: أيرلندا وكوسوفو والتشيشان والبلقان والباسك وكوسوفو والباسك والمغرب وقسمطين ومصر، حيث لا حل إلا بقبول الآخر. بالتسامح

وهو يرى أن التزامات القومية العربية والعرقية والدينية منتشرة في كل قارات العالم، والعالم في عصر العولمة سيكون له شكل آخر، ولن يمكن لبلاد العالمى التماسي الاستفادة من الفرض التي تمتحها العولمة إلا بتبني قيم التسامح، في العالم كله كما هي في كل البلدان العربية، وحين يشهد المؤلف على قيم التسامح، وعلى العقلانية والفضيلة التي فازت بشدد أكثر على الديمقراطية والحرية بوصفها معام أمان للعلاقات الخلاق.

لهذا الحان في رادوا للبنان أن يضيء لكل إنسانه

## الاتجاهات الحديثة في إدارة وتنمية مقتنيات المكتبات ومراكز المعلومات

دريهنا السصيل موني  
المفارة دار مصر للنساعة، ٢٠٠٣ ١٧٠ صفحة



في عشرة فصول يتناول الكتاب المفاهيم الأساسية في إدارة المقتنيات ومحتوياتها، وهو يركز على القضايا المعاصرة ذات الصلة بتنمية المقتنيات، مثل الإلحة مستقبل المكتبة، والإلترنت وإدارة المقتنيات، والتقييم والمشاركة في المصادر، ودور النشر الإلكتروني في العالم المعاصر، والعلاقة بين الرقابة والحرية الفكرية، وإعادة هيكلة الميزانيات، والدور الجديد لأخصائي تسمية المقتنيات، وتعتبر المرفقة أن تنمية مجموعات المكتبة من أهم أنشطتها، ومن مقومات نجاحها في تأدية وظائفها، وهي لا تقتصر على المجموعات الموجودة فعلياً داخل المكتبة، وإنما تمتد لكل المواد التي تستطيع المكتبة أن تصل إليها لتلبية احتياجات روادها

## الأحزاب الصغيرة والنظام الحزبي في مصر

تحرور: عمرو هشام ربيع  
المفارة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالاهرام، ٢٠٠٣ ٢٧١ صفحة



لم تحضخ الخريطة الحزبية المصرية لدراسات أكاديمية رصينة إلا فيما ندر وغير طروحات جامعة عالمياً، وفي معقل الأحياء فإن الخطاب السياسي حول الأحزاب يقى خاضعاً لأعتبارات أيديولوجية وأطماعيات ذاتية، ومن أبرز جوانب ضعف المعرفة بالأحزاب، أن التركيز يدور دوماً على

عربي، يكتسه الدكتور جمال الزكي ونحت عيون، التعاطف في الإحساس بالآخر، يكتسه هانكو الرنسة، وتصمم مكتبة العدد عروضاً لأهم كتب الطب النفسي التي صدرت أخيراً، بينها كتب لعادل صادق وشايد ونوهلر ومحمد أحمد المناسي

## من ميشال عفلق إلى ميشال عون تجارب في علاقة مستحيلة

فيبر فري  
مفارة دار رياض مرس للنساعة، ٢٠٠٣ ٢٧ صفحة



عانت لبنان لعقدين أو يزيد من حروب أهلية شملت مصالح خارجية وساعر أممية مدعومة بعصيات قبلية ودينية وعرقية، أثرت هذه الحروب، وعوارثها ربما، في جسد الدولة، التي كانت حلاً كورموبوليتانياً، ونموجاً لتعاضيات بين أضعاد يضمهم وعلى واحد المؤلث ماروي الولادة والنشأ، لكنه عربي لعقيدة والالتقاء، عانى، بحسب قوله، من الشكاف الذي نطق به الأصوليون وأشباه التقدميين في كل العولف اللبنانية وأحزابها، وخلعها على تكريس نظام التعاضيات بين الأقليات شمعاً، وصمها سياسياً لحل هذه الإشكالات

والعلاقة المستحيلة التي صمها المؤلف في سيرته تلك، التي تنظمها بالضرورة تحارب سياسية وعلاقات متشابكة ذات دلالة في بين المسيحيين والعروية، وهل يتنقل هنا بين تحارب عديده أعطا مثله ملايين في النشأ، في لبنان والوطن العربي كله، متفلاً إلى حزب البعث العربي الاشتراكي، إلى الحركة الوطنية اللبنانية، إلى الثورة الفلسطينية إلى ميشال عون

والهدف هو فتح صنف الاحتشاد والتجديد لتبناه عند التعاضيات مؤسداً على علاقة ممكنة، بعد أن حوّلها الضلل المنكر إلى علاقة تشبه مستحيلة شمة إيجاباً، لا يحجب أبداً بين الظهور أو حتى بالتصريح المباشر بإحالة القارئ للكتاب، فالقارئ لا يرى بدلاً شمس لبنان، الرجل من وطنه ومجراته، إلا أنه يصل لبنان إلى صيغة تعاضيات في مجتمع مدني مؤسس على قيم علمانية حدانية، وإذا ما استمر إتراد المجتمع نحو الأصولية، وعلى المسلمين من مواطني لبنان، أن يصفطوا بدورهم في الإسراع بالتمكين

## Farewell, My Queen

(وداعا ملكتي)

Chantal Thomas

Translated by Morsheblack  
George Braziller 2003 239PP

\$ 22.50



حزانت مؤلفة هذا الكتاب، وهي مؤرخة فرنسية متخصصة في شؤون فرنسا في القرن الثامن عشر، عندما ربما كانت حقيقية أو متخيلة لتكون بمثابة الراوي إنها أجالي سيدون لايبو إيدي وصيحات الملكة ماري أنطونيت روجه لويس السادس عشر اللذين أعدتهما الثورة الفرنسية.

لقد تم اعتبار ماري أنطونيت الملوثة في فرنسا كيث فساد لكل مسالك إيدي وصيحات الملكة ماري أنطونيت ترى أن ماري أنطونيت لم تعمل شيئا حذرا

وقد صلت مع ملكة فرنسا لمدة ١١ عاما وتكثرت من الهرب من ١٦ يوليو

وبدأت تروي قصتها في حينها عام ١٨١٠ حيث أصيبت بعمرها ٢٥ عاما وقد انتهت الشجاعة أثناء تسجيل ذكرياتها عن هذه الأيام الأخيرة المريعة

في هذه الشخصية سواء كانت حقيقية أو متخيلة وهي على الأرجح متخيلة بارعة في سرد ما يحدث داخل قصر فرساي وكانت تسمع أكثر مما تحدث، كانت تسمع معظم وقتها في حجرتها تساهر عبر الشباك التي تحجبها بعد ذلك لسيدها الملكة، وكان دورها أن تقرأ للامراء حتى تمام لطفه، وصلت إلى القصر عام ١٧٧٨ في السنوات التي تلت كيف نفسها لتفوس القصر.

وفي اليوم التاريخي أي ١٤ يوليو ١٧٩٢ عندما أقيمت الجماهير سحق أنابستيل عندما طرد الملك لويس ماريته بثلاثة أيام لم تكن الرواية تتوقع ما سيحدث كان كل ما يشعده هو موعدها الصباحي مع الملكة ثم أصعبت بقية اليوم وذهبت إلى سريرها دون أن تدرك أن الثورة متدلعة بالفعل

وتعطي الرواية تفاصيل (٤٨ ساعة) أهميتها بعد ذلك بدون نوم تحسكي حاد حاد هناك لويس والقصر وكيف قلبت الثورة الأمور رأسا على عقب والشوارع التي أصبحت على كل لسان، وصل هي من يد النشائية للفرش الفرنسي؟

إن الكتاب هو من الخيال لكنه يعيد قصة واحدة وقمت بالفعل ثم

التي تسمى 'القصبة وحلقة لافايه' دولة عربية موحدة ساعدت على انسحاب أمريكا من إسرائيل وقد كتبها معها

ويشجع لوكس في 'التحول' الأمريكي التي حدث في العلاقة مع إسرائيل من خلال قصصه صوابين حول 'المصادرة' للطلاب التي وقعت وتدخل فيها ليل ليل بعد ذلك لاصحابه لخصمه وكذلك 'المرشد' وقد تم تشييد في البيت - بعد ما - بلجدة واحدة - دعاها أنه ليس لآل برينس وبها عذوبة حب كل ذلك ممسكا كل حساب قبل في أن إسرائيل قصة مصعد لإنتاج الأسلحة النووية في ديمونه والتسبب وتكن الإسرائيليين يدكاه من هرس ستار على الموضع

## When the King took Flight

(عندما طار الملك)

Limorh Tackett

Harvard, 288PP, # 16.50



يشاول المؤلف بشكل عميق دراسة وأسبوعية لمحنة حرجية في عصر الثورة الفرنسية وتحديد في يوليو عام ١٧٩١ عندما هرب الملك لويس السادس عشر وروجه ذات الأصل المسمواري ماري أنطونيت من باريس متجربة في ليلة مظلمة إلى الحدود الشرقية لفرنسا، وقد تحول الهروب إلى هزيمة يسيب بعد العربات التي رافقت الأسرة للملك عند الهروب، وكذلك سند سلوك الملك، قبل أن يصل الملك إلى هناك بوقت قصير تم توقيفه في إحدى الزواجر في إحدى نقاط المصير ثم يومئذ الملك لحسن عية مما أدى إلى كشف هويته فقد تعرف عليه أحد القضاء وصاح قائلا

صاحب الحلالة هنا كان من الملك الساجح إلا أن رد قائلا

نعم أنا عليك وقد جئت لأعيش معكم اسم اضل في 'المؤمن' الذين لي أحدهما

وعلى المؤلف من ثلاث كان لحظة زمرية له في عصر الثورة فالك بكسب عبيته عبر الديمقراطية وعدم منه على فكرة عصر حكمه بعدا، عن الحكم المطلق وهو أمر يصعب في قلب المواجعة بين المواطنين العاديين الذين كانوا على الملك وليس أسره الزورون التي تعتقد أن حكمها مستمد من السماء.

كلمة Posh، التي تشير إلى الأناقة حيث كانت تطلق على مصانع المرحه الأولى الفاخرة

وعن الواقع الحالي لفساد السويس، يرى المؤلف أنه واقع مؤسف حيث قضت فساد السويس الكثير من أهميتها منذ سوء إدارتها والتطور التكنولوجي الذي لحق بالماء البحري، مما يجعل طريق راس الرجاء الصالح أقل تكلفة، وأيضا يحل إجراءات توسيع القناة مغلوبة بشكل دائم بسبب الأحجام المتزايدة للسفن والنسب وهو يرى أن المدن التي تحيط بالقناة مثل مدينة السويس وبورسعيد والإسماعيلية في حاجة لتطوير كبير لكي تعود إلى جاذبيتها الأولى

## Support Any Friend:

Kennedy's Middle East and The Making of the U.S.- Israeli Alliance

Warren Bava

Oxford Univ. 2003, 336PP,

\$ 30.00

(شرق أوسط كيندي وتكوين التحالف الأمريكي الإسرائيلي)



أكثر من ١٠ سنوات بعد قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ ظلت العلاقات بينها وبين الولايات المتحدة مارة في بعض الأحيان صعبة، وعندما أرادت إسرائيل أن تحسم أمرها وتوجه للعرب، كما يقول مؤلف الكتاب، فإنها انتهت إلى أوروبا وليس أمريكا

وكان الرئيس الأمريكي دوايت أيزنهاور ووزير خارجيته جون فوستر دالاس يظنران أن إسرائيل باعتبارها 'صباح سيعقد علاقات أمريكا مع العالم العربي ويحقق عملية احتواء الاتحاد السوفيتي'

وقد بدأت ذلك في التغيير بعد فور جون كيندي للرئاسة عام ١٩٦١ لأنه كما يقول الكاتب فإن هذا التغيير لم يكن دراميا أو فوريا فقد كانت إدارة كيندي تتقلل من أزمة إلى أزمة فمن كوما إلى لاوس ثم الكونغو وكل لديها قليل من الوقت للتفكير في مشكلات الشرق الأوسط.

وعندما بدأ الاهتمام من جانب كيندي بالشرق الأوسط فإن ذلك انصب على مصر باعتبار أنها مركز الثقل في أي تحركه، ويعتقد الكاتب أن هجوم عبد

## Parting the Desert: The

Creation of the Suez Canal

(فراق الصحراء: إنشاء قناة السويس)

Zachary Karabell

Alfred A. Knopf, 2000, 310PP, \$ 27.50



جسدت عملية حصر قناة السويس حسب ما يقول مؤلف طموح الإنسان في العصر الحديث في السيطرة على العالم والطبيعة من حولها، فيها هو نتاج في ربط البحار وسد الأنهار، كما اكتسبت قناة السويس أهمية خاصة في عصر القوى الأوروبية الاستعمارية في تثبيت النفوذ وتوحيد الإمبراطوريات

يرى الكتاب قصة إنشاء قناة السويس مركزاً على جهود فرناند ديليسون وحكته الدبلوماسية في تدمير فكرة العبقرية، كما يسرد عملية انتقال السيادة على القناة إلى يد بريطانيا من فصل الصفحة التي قام بها الوزير البريطاني بتجاهل درواشيل، عندما اشترى حصص الحديد المصري الحديث مبلغ ٤ ملايين استرليني، بمساعدة المصورين روثشايد.

وتتوقف المؤلف عند عام ١٩٥٦، ذلك العام الحاسم في تاريخ القناة، وأيضا في تاريخ هبوط الإمبراطوريات العالمية فقد شهدت أحداث ١٩٥٦ على زوال نفوذ بريطانيا وفرنسا وحقيقة النفوذ الأمريكي البارز، والتغيرات التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية وظهور قوى الاستقلال الوطني، والتي تمثلت في الريع من قبل الناصر.

لا يكتفي المؤلف بتذكر تاريخ القناة، وإنما يقوم بتوضيح أهمية قناة السويس المصرية في التطور الاقتصادي والسياسي والاقتصادي الذي مر على تاريخها، ومن وجهة نظره، فإن قناة السويس اكتسبت هالة وسحرا خاصا بموقع أهميتها التجارية والاقتصادية، لأن قناة السويس، كشركة، وخيال، كانت تمنح ربط الشرق والغرب، القديم والحديث، أوروبا وآسيا.. الخ مما جعل أهميتها وتكلفتها السياسية تجعل كثيرا على قيمة إرثها المتواضعة نسبيا.

يحفل الكتاب بأصالة عديدة من الأعمال الفنية والروائية الغربية التي الخ مما جعل أهميتها وتكلفتها السياسية تجعل كثيرا على قيمة إرثها المتواضعة نسبيا. ذكرت قناة السويس، من لوسات وأعلام وروايات وأشعار بل وتكلفت درجت في القاصي القوي الإنجليزي يربح أصلها لشئ متعلق بقناة السويس، مثل

## Bad Elements: Chinese rebels from los angeles to Beijing

(عناصر سينية.. التمردون الصينيون من لوس أنجلوس إلى بكين)

Ian Buruma  
Phoenix, 2003, # 8 99



أصبحت قضية المثقفين الصعيبيين  
من الحكم الشيوعي أو كانت تكون  
مماثلة خارج سياق الأحداث فالغريب لم  
يعد يستخدم هذه القضية في تعامله  
مع الصينيين بعد أن أصبحت قضية  
اقتصادية ناهضة وواعدة وتحول الكلام  
إلى لعبة الاقتصاد والبيزنس مع أن  
ذلك لا يمنع الحديث ولو بصورة  
مقتضبة من سجل حقوق الإنسان في  
المجتمع.

وقد ظلت تلك المسألة أو قضية  
الفتن بين على الرأس جدول أعمال السياسة  
في الغرب إلى ما ملهمهم مع الصين حتى  
بداية الثمانينيات... وهذا الكوبج يوفق  
مساحة واسعة لتولاء الذين تحزوا ورفضوا  
النيكيتا تشووية الحزب الشيوعي ورفضوا  
سياساته ومفلساته الفكرية فكان  
جراؤهم التقني والمسج والتشدد  
والهروب أو التمس إلى الخارج. وقد التقى  
المؤلف مع كثير من المشيخ في الولايات  
المتحدة في تاوانج وهو كوبيج وحتى في  
إفريقية بكن.

وقد فوجئ المؤلف بأن هؤلاء الأشخاص رغم كل المعاناة النفسية والتعذيب فإنهم تحدثوا بشكل شجاع للغاية عن أزماتهم مع النظام الشيوعي. ويسأل المؤلف في كتابه ما الذي أعطى هؤلاء المشقيين القوة لكي يستمروا في الحياة بشكل صحي ونفسي سليم رغم

ولم يجد المؤلف إجابات حاسمة حول ذلك لكنه من خلال حواراته الذكية وأسلوبه العميقة استطاع أن يضع أمام القارئ صورة واضحة المعالم لصين ما بعد تيان انمين، أي بعد القمع الشديد للاقتضاة الطلاب في ميدان السلام السماوي وسط بكين في نهاية الثمانينات.

وقد تبدو هذه الصورة الآن باهتة بحسب الشيء فالصين ٢٠١٣ دولة مستمرة في تحقيق نمو اقتصادي يحسدها عليه العالم وتصدر منتجاتها إلى كل الدول بما في ذلك الولايات المتحدة واليابان وفي

السجلات إلى أن الأزمة التي واجهت أمريكا نفسها فيها هي في جزء كبير منها من صنع رعاياها. فهناك الخلافات داخل الإدارة حول الحرب وهناك الخلافات مع الكونغرس الأمر الذي أصاب في النهاية السياسة الأمريكية في هيتنام بما شبه انشغل.

إن هذه السجلات تبدو مثيرة بدرجة كبيرة حيث تكشف ديناميكيات العمل الدبلوماسية وقت الأزمات. ويُفسر إلى قصرات كينسجر التفاوضية الكبيرة خلالها.

### Victim: The Secret Tapes of Marilyn Monroe

(ضحية، الأشرطة السرية لمازلين  
مونرو)

Matthew Smith  
Century, 2003, 328PP., # 16.99



أصدر المؤلف كتاباً سابقاً بعنوان  
والرجال الدين قتلوا مارلين، وجادل  
المؤلف في ذلك الكتاب بأن للرجال  
المخابرات المركزية الأمريكية هم أكثر  
المرشحين رغبة في قتل مارلين مونرو من  
أجل تسوية وتدوير سمعة الرئيس جويل  
كيندي وشقيقه روبرت المدعى العام  
الأمريكي. لكن المؤلف لم يجد أدلة قاطعة  
ثبتت ما قال.

وبشأن مجموعة من الأشربة السرية  
سجلتها مجموعة مؤلفين موروثين في يومين  
من شهر ربيع الأول سنة تسع مئتين منها  
الذكوات عشرين ومن وطيب منها... وقد  
تضمن المؤلفان في الشريعة مخطوئتي  
بعض الأفكار والخواطر التي سجلتها  
مارلين موروث ولم تستطع أن تقوله  
بمباشرة الطبيب ناصحاً كما تعجب إلى  
مؤلفي الخرافات عنصراً كثيرة في كتابه  
عنه محترمين هذه الشريعة بالتأخير  
من أجل ما قالته ويحاول أن يتوصل إلى  
دليل جديد يقوده إلى معرفة ما بشأن من  
أقبل الشريعة في موروث... وهو أيضا يفترض  
أنه انخرط في مشور... وهذا ما فهمت  
منه أن تراجيدي ما سألوا أو ربما تعرضت  
للقتل.

وتكشف التسجيلات كيف أن مارلين رادت من الطبيب وزوجته تبنيها في أسرتهما بعد اكتمال علاجها وكيف تعرضت للإيذاء الجسدي والجنسي في أوضاعها.

Crises.. The Anatomy of two  
Major Foreign policy Crises  
(أزمات.. تشریح ازماتین کبیرویین فی  
السیاسة الخارجیة)

Henry Kissinger  
Simon and Schuster, 2003,  
564PP, \$ 30.00



خلال السنوات الماضية، أعاد وزير الخارجية الأمريكي ومستشار الأمن القومي الأسبق المكنون هنري كيسنجر الخروج على القارئ بمؤلفات بعضها يبعث عن جوابات نظرية أو فكرية تتعلق بالسياسة الخارجية وتصوره للعالم الأمريكي والبعض الآخر بالردود التي لعبه هو شخصياً خلال عمله الرسمي في دوائر نيكسون وفورد، والكتاب الجديد يقدم سجلاً لأزمات بين أزمات أزمات كيسنجر التي عاشها في البيت الأبيض مع الرئيسين جون إف. كينيدي وروبرت إف. كينيدي وخارج البيت الأبيض مع الرؤساء ليندون بي. جونسون وريتشارد ميلتون نيكسون وإسرائيل والثانية حرب ١٩٧٣ بين العرب وإسرائيل والثالثة بين صايونيين بعد استيلاء هيتلر على

من خلال عدد المجلات يظهر  
مستجسر كوادح من رجال الدولة  
التي هي في القرن العشرين من خلال  
بداية تأسيس الكتلون عندما أذمة  
في أكتوبر ١٩٧٣ مصادقات مستجسر  
التفويذات تستطلع وتحتد وتهدد كل  
طرف للتمية سواء كان الاتحاد الإفريقي  
السابق أو إسرائيل أو مصر أو برطانيا أو  
سجل بلوماسي الأمم المتحدة. وهو أيضاً  
يظهر مدى استعاضته عن أعضاء  
الوكسجرس أو البيروقراطية الأمريكية.  
فكان العلاقة بين الرئيس ريتشارد  
نيكسون والي حفص (في ذلك الوقت)  
فضيحة دول البيت.

ويظهر من الكتاب أن محاولة  
يكنسجر التوصل إلى وقف لإطلاق النار  
بين كل من مصر وسوريا مع إسرائيل  
سهدت تقليل النفوذ السوفيتي في  
الشرق الأوسط مع الحفاظ على الدعم  
الأمريكي لإسرائيل وتقوية الثقة  
لعربيه في قدرة الولايات المتحدة  
لتفاوضة

كما يتناول الكتاب أزمة حرب هيتمان  
في مراحلها الأخيرة فقد وجد كيسنجر  
فهمه محاصراً بين شبح اقتراب سقوطه،  
سايحون إلى كانت تحاصرها قوات فيتنام  
الشمالية وعدم استجابة الكونجرس  
لطلبات الإدارة الأمريكية بالموافقة على  
مساعدة عسكرية طارئة لمواجهة الموقف  
مثال

يسيح المؤلفة من خلالها وبحكم تخصصها في هذه الصفة من تاريخ فرنسا، صورة حية عما حدث للملكة ماري أنطوانيت

Food, inc.: Nundelta  
Mansanta.. The Promises and  
Perils of the Biotech Harvest  
(وعود ومخاطر الأغذية الوراثية)  
Peter Pringle  
Simon and Schuster, 2003.  
224PP \$ 25.00

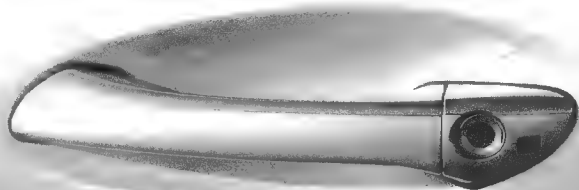


يخبرنا هذا الكتاب في قصصه  
شائعة للغاية ما زالت حتى الآن تثير  
جدلاً شديداً في الغرب. هذه القصة هي  
الأغذية الوراثية التي أصبحت منتشرة  
على أرفف محلات السوبر ماركت  
وبعضها يتم الإعلان عنه صراحة بأنه  
غذية وراثية على الأغلفة والبعض  
الأخر لا يعرف المستهلك عنه هذه  
الأمور.

ويشير الكتاب إلى مدى تعدد  
الظاهرة المرتبطة بالشركات الدولية  
والعلاقة بالحكومات وخاصة الإدارة  
الأمريكية  
وعند إعداد هذا الكتاب تحدث المؤلف  
مع أطراف عديدة من المؤيدين والمعارضين  
التيقى بالعلماء المدافعين وأيضا  
المعارضين.

إن هناك ٣ فئات تعارض الأيديولوجية المرفوضة، سيما في المثلث الأولي  
س منهم، وهم الجمهور الذي يشككون  
في هذه الفئة الأولى لأسباب دينية  
و تتعلق بالآمن والسلامة مع هتاف  
الأسلحة، الذين يطلقون بوسع  
الإعلامات و الكتابة في خطبة السلع  
توضح أن هذه أغلبية و لاية و عدة  
جديداً، هناك الفئة الثالثة و التي  
تصاحبها على الأغلبية العظمى  
فيهم يتكسبون روات واسعة، ثم  
يناقش المؤلف بعد ذلك وجهات نظر  
الجمهور لهذه الأيديولوجية و الضغوط التي  
تؤثرها على الحكومات لترويجها  
استيعابها، يستحل برز العناء العالي  
الرافعة لكي لا يقدم في النهاية خروطة  
طريقة لحد هذا البحث لا يتم  
تصحيحة هذا التقديم العلمي الكبير  
أيضاً، لا يتم التصحيحة بمقابل  
الاعراض بعد السهل

# استلم مفاتيح سيارة أحلامك



عرض سيارة البعيج والمستهلك

## مع قرض السيارة الجديدة والمستعملة من البنك العربي

أقل سعر فائدة

مدة تقسيط تصل إلى 10 أشهر

نسبة تمويل تصل إلى 85%

تأمين على الحياة

أسعار منافسة للتأمين على السيارة

تصل الأوامر 15100

يومياً من 9 صباحاً حتى 9 مساءً

www.arabbank.com

### البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية



تُرحب، وجهات نظر، بما يرد لها من رسائل تعليقاً على ما ينشر بها من موضوعات ومقالات، وتحرس على نشرها. مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء - مثلها مثل المقالات ذاتها - لا تعبر بالضرورة عن رأى المجلة أو هيئة تحريرها ٦٦

## من عاميل مصرى إلى الأستاذ هيك

الطبقة العاملة المصرية طبقية المظلومين والمنتجين بديل أن سلطة يوليو ارتبطت بجمهور عمال النقل المشترك ووظفته خلال الزيارة الأولى لوزير خارجية أمريكا مستر (دالاس) للسفارة وخلال أزمة مارس ١٩٥٤ مما أثبتت أقدام سلطة ثورة يوليو وأصبح الكباشى جمال عبد الناصر رئيس مصر وزعيم مصر والأمة العربية.

ولذلك فإن سلطة يوليو فى المرحلة الوطنية والمرحلة التقدمية والاشتراكية قدمت للشعب المصرى الطيز وفروسة ممثلاً فى الإصلاح الزراعى وثأيم قناة السويس وتصدير الاقتصاد الوطنى وفى التعليم والعلاج والخدمات العامة والتنمية وفى تصنيع التقدم والزراعة المتطورة والدعمه وفى الثأيمات والثأيمات وزيادة مكاسب العمال، وذلك دون أن تعطيه ذرة من الحرية مما جعل وطنية سلطة يوليو وطنية تنز بالطنجيان الذى تعددت معاهيره فى الحياة المصرية.

فالثورة وليست الثورة المضادة عيد للمظلومين. كيف يقتل ويشق المظلومون فى عيدهم حيث بادرت سلطة يوليو بعد قراءة خمسين يوماً من قيامها بحشد الجيش المصرى. جيش العمال والفلاحين إلى الصدام العنيف مع عمال كبرى الدواير الذين قاموا بمظاهرات متفرجة على التفكير منهم الفشارت يشق العمالان خمسين والبشرى بعد محاكمة عسكرية مشكلة من ضباط الجيش المصرى الأعضاء فى تنظيم الضباط الأحرار.

كما يجب أن ندعو الأستاذ قبل أن يتصرف أن يقدم للنعت المصرى والأمة العربية رأيه فى المحاكمات العسكرية السجون والاحتلالات والتعذيب. هذا القتل والتعذيب اللذان طالا سوريا ولبنان حيث اغتيل الجنرال اليسارى عفيف البزرى رئيس أركان الجيش السوري وقتل المناضل البزركى فرح الله الحلو أمين عام الحزب الشيوعى السوري واللبناني. وما يذكر أن الكثير

المصرى والأمة العربية بالكثير من الحقائق التى كان لابد من معرفتها حتى تحاط أجيال المصرية والعربية علماً بأمور تجعلها تقاتل من أجل حياة أفضل يتوافر فيها الخبز الحيز الخبز والحرية الحرية الحرية. فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان على حد قول السيد المسيح وهذا هو عتائى وعتائى.

العباب الأول.. بدأت كلامي بأن الانصراف أمر مكروه جداً لصاحب المكانة دون صاحب الوظيفة وخاصة شائل المكانة الشعبية وليست المكانة السلطوية. فالأستاذ هيك يحظى الآن بمكانة شعبية ولديها موهبة التى جعلت الناس حوله كرايد للوطنية المصرية التى تعاني محنة الإفساد والاحساد حيث هيبط المجتمع المصرى إلى الحضيض ويأتى أحساره العصامة أكثر بشاعة من المجتمع المصرى الملوخى والعثمانى. ولها انصراف الأستاذ لا يعنى الفروب ولكنه يعنى الاستفراغ الذى هو صنو الموت.

وليس من مات فاستراح بميت.. إسم الميت ميت الأحياء مع العلم أن الأستاذ يعيش حياة العرب والغروب توهجه الذى يتجلى فى شقه الأحمر الفانى والأشرف فهو يريد أن يفخر على توهجه وشقه إلى مرحلة الأولى أو الموت ولا يرضى أحد أن يقبب الأستاذ متفرجة التفكير والتأمل بالنظر إلى الهواء والنظر إلى الأمام.. ولكن هذا التفكير وثاك

التأمل لا يهدن من ثورة الفاضلين ولا يشجع جوع الجالعين فى مصر المعاصرة. العباب الثانى.. يقر الأستاذ بأن شرعية سلطة يوليو تعتبر تجربة إنسانية علماً بأنها تحريرة وطنية ولم نكتسب شعبيتها من الانقلاب العسكرى ضد الملك فاروق ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. بل اكتسبت شعبيتها من التفاف الشعب المصرى حولها واحتضانها لعدم وجود تنظيم شعبى لها.. وكان فى مضمة المرحبين

مجال الكرة والى وفى مجال السلطة والحياة النبائية وفى هذه الزحمة الكروية والكنبية هرل وهزال فى الحياة المصرية المعاصرة يبدو الأستاذ هيك مثل جبال الهمالايا فى مصر والوطن العربى لا لأنه صعد الصحافة العربية وعيد الادب السياسى المعاصر فى الوطن العربى ولا لأنه تألق وتأنق مصرياً وعربياً وعالمياً بعد خروجه من الصحافة وصحله مع قادة ثورة خيرية ومصلوواتية قبل ثورة الاتصالات والمعلومات الجديدة والمعاصرة.. ولكن لأنه شخصية مصرية عامة تحمل سمات أحمد عرابى، ومصطفى كامل، وسعد زغلول، ومصطفى النحاس وجمال عبد الناصر، وخالد محيى الدين. ومن ثم فإن انصرافه خطر على الأمة المصرية اليتيمة من الشخصية العامة الحليفة والقومية التى سوف تندب انصرافه قاتلة

حلا الجوع من صراخ الغفاب واستراح الغاف من صوت الأسد أما المطلق الحاضر فيبدو فى إحساسى أن الأستاذ هيك كان وراء الترحيب بشخصى وتقديرى ومعاملتى معاملة طيبة خالية من الدونية عندما شكك تردى على دار الأهرام بملابس التفت حيث أعمل كسارى مائيس وذلك خلال مشاركتى بانكثابة فى مجلة الطليعة اليسارية التى كان يشرف عليها الأستاذ المرحومان ططى الخولى وميشيل كامل.. كما لا ينسى له العمال التقانين اليساريون الذين ذهب معصم إلى مكته بالأهرام يطلب التدخل لوقف إعدام قادة الحزب الشيوعى السوداتى ومن بينهم التقانى العمالى البارز الشيخ أحمد الشيخ وحاول الرجل ولكنه لم يوفق.

من هذا المنطلق العام والخاص أعب على الأستاذ هيك أكثر من عتاب لانصرافه عنا لأنه لم يبع للشعب

إن الثمانين وبلغتها.. قد أوجت سمعى إلى ترجمان..

هكذا رد الشاعر المعمر والمخضرم لبيد بن ربيعة على معاوية بن أبى سفيان عندما سأله عن حاله.. فلم يقل له خلاص لقد بلغت الثمانين من العمر وفى العظم منى ولابد أن أركن فى ظل الحياة مولى وجهى نظراً وادى الزاخرة الأبدية.

ولكن لبيد قال ما معناه لقد بلغت الثمانين ولم يتسرنى إلا ضعف السمع. ولهذا أرغى غنى وأبلى وزعى وضرى وامشى فى الأسواق وأقول الشمر..

وإن سيف الله المسلول خالد بن الوليد كان حزيناً فى مرض موته لأنه كان يتمنى أن يموت فى معركة شاهرا سيغه. مما جعله يعزى نفسه عزاء مرأ يقول:

ها أنا ذا أموت على فراشى كالعير فلا تأمت أبهى الجبناء..

ويقول الشاعر أبو العلاء المهرى.. من السعد فى دنياك أن يهلك الفتى بهيجاً يفضى أهلها الطعن والضربا فإن قبيحاً بالسود ضحجة..

يشكو فيها إلى النقر الكريا هكذا يقول أبو العلاء أن الموت فى رضى المارك أكثر تقديراً واحتراماً من الموت على الفراش الوثير.. كما أن الطيل العربى الهرم والمعجور عمر المختار لم ينصرف من معاركه ضد الإيطاليين المحتلين ليبيا يائس أو يفير إن حتى قبض عليه وقتلوه ومات شهيداً.

أقول قولى هذا من منطلق عام وآخر خاص. فالمنطلق العام يتجلى فى الأستاذ هيك موضوع تقدير من عمال مصر التقانين واليساريين لما تتوافر فى شخصه من صفات لا تتوافر لغيره فى هذا الزمى الردى والخمسين الذى اعدمت فى رحابه، الشخصية المصرية العامة على المستوى المحلى والقومى.. ولكن ظهرت فيه الشخصية المشهورة وتكاثرت فيه تكاثراً بغات الطير من نعوش ودياب ويراعية. هذه الشخصية المشهورة التى ارحمت بها مصر فى



ذات الحديث بأنه يؤمن بمبادئ هذا المشروع.

والأمر الغريب الذي لا يعرف سره إلا الأستاذ هيكل هو مبادرة الرئيس جمال عبدالناصر بشأن اختيار النور السادات ثانياً لرئيس الجمهورية رغم الشائعة التي قالت عنه أنه على صلة وثيقة برئيس المخابرات السعودية كميل أدهم راعي شؤون المخابرات الأمريكية في الوطن العربي.. وأصبح السادات رئيساً للجمهورية برضى كل الناصريين رجالاً ونساءً ثم انقلب المصري والأمة العربية بحرب أكتوبر الجديدة وانتظر ما سيفعل الأستاذ خفايا الخلاف بين الرئيس السادات وبين الفريق سعد الدين الشاذلي وكذلك خفايا معاهدة كامب ديفيد التي لم تطرح حتى الآن..

العتاب الأخير.. لا جدال في أن حديث الانصراف الذي نشره الأستاذ هيكل على صفحات جريدة الأهرام القومية هو حديث الدواع لأستاذ السادات.. لا يجب أن ينشر بجريدة الأهرام الحكومية حتى لا يفلح الحياء صراحة الأستاذ فيقول ما عنده للشعب المصري والأمة العربية بشأن أوضاع مصر المعاصرة.. ولكن صراحة الأستاذ قد غلبت بنشر حديث وداعه في جريدة الأهرام.. ولهذا فإن الانصراف الأستاذ وداعه لا تفسير لهما إلا أن الأستاذ لم ينو الغروب ولكنه ينوى الاغتراب لإحباطه من واقع الحال في مصر المعاصرة.. دون أن يسوئ بها بصراحة التي يبدو أنها مغلوطة.. بل بآحياء..

ولذلك فالأستاذ قد حرم الشعب المصري والأمة العربية من معرفة رأيه بشأن مصر التي أصبحت تعاني من انهيار دستوري بسبب أحكام القضاء وأراء فقهاء الدستور بخصوص بطلان الاستفتاءات والانتخابات الشيابية طوال العقدين الماضيين.. وبشأن الخراب والفساد والاستبداد وانفواق الجماعة الصارخة.

العامل  
عظمية  
ميت عمر

المحروسة بتجريس مقالها النووي رغم علمها بأن إسرائيل قد أنتجت قنابلها النووية لردع الشعب المصري والأمة العربية.

العتاب السادس.. من يستطيع غير الأستاذ أن يكشف للمصريين لغز العلاقة بين الرئيس عبدالناصر وبين المشير عبدالحكيم عامر حيث يحظى الرئيس بشعبية قوية وسلطة شعولية ومع هذا فلم يقدر أن يبعد المشير عن القوات المسلحة إلا بعد هزيمتنا في سنة ١٩٦٧ أمام إسرائيل.. فهل كان ذلك مجاملة الصديق للصديق أو خوف الصديق من الصديق المهيمن على الجيش المصري المتعبد.

العتاب السابع.. اعترف الأستاذ في حديث الصرافه.. بأن علاقته ببعض اطراف السلطة كانت مشدودة.. وخلافاً له بعد الانحياز الاشتراكي وتنظيمه الطليعى كانت متواترة.. ثم قال بأنه بعد وفاة عبدالناصر وقف بكل جوارحه مع الرئيس أنور السادات..

ومن هذا المنطلق فقد شارك الأستاذ في انقلاب السادات الذي أطاح بالقيادات الناصرية بزعيرة ثورة التصحيح.. هذه الثورة المضادة التي كانت مدمرة لا غشياً الاشتراكية الناصرية التي هي مشروع الرئيس عبدالناصر الذي اعترف الأستاذ في

المصرية القادمة التصدي لهاتين الظاهرتين.

العتاب الرابع.. لماذا لم يقدنا الأستاذ عن سبب خلاف الرئيس عبدالناصر مع الرئيس العراقي عبدالكريم قاسم زعيم الثورة العراقية التي أطاحت بالنظام الملكي العراقي.. هل كان يرسيد الرئيس جمال عبدالناصر إيجاب العراق على الوحدة مع مصر وسوريا.. وهذا هو الأمر المرجح.. بدليل تدخل الصحفي الهندي الصديق والكبير كراچاجيا الذي نصح الرئيس عبدالناصر بضرورة وقف هذا الخلاف وما صاحبه من ضجة إعلامية ومظاهرات تهتف بسقوط قاسم العراق.. لأن هذا الخلاف في مصلحة إسرائيل وقد ثبتت صحة ذلك كما ثبتت صحة موقف الرئيس عبدالكريم قاسم من رفض الوحدة بعد انفصال سوريا بانقلاب عسكري.

العتاب الخامس.. نشاذ الأستاذ أن يبحث الرأي العام المصري والعربي عن غيبة المشروع النووي المصري حيث تفضلت علينا دولة الاشتراكية السوفيتية بمفاعل نووي وتوأمته بمفاعل نووي آخر للهند الهندي بالصنيع النووي وانتجت القنبلة الذرية كما بادرت بصناعة المفاعلات النووية بينما بادرت دولة مصر

من الذين تعرضوا للقتل والتعذيب كانوا من المختلفين فقط مع الرئيس جمال عبدالناصر مع أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.. ولهذا فالأستاذ مطالب بتبرير وتفسير هذه الظواهر التي وقعت في ظل السلطة الناصرية والتي نتمنى أن تعود بوطنيتها واشتراكيها خالية من شوائبها الاستبدادية..

العتاب الثالث.. يقول الأستاذ بوجود علاقة خاصة بالرئيس جمال عبدالناصر.. وهذا صحيح تماماً.. ولكن هذه العلاقة الحميمة لم يكن مصدرها الصداقة فقط.. بل كان مصدرها الرئيسي.. هو دور الأستاذ هيكل في رسم سياسات دولة الاشتراكية الناصرية حيث كان يحظى بلقب المفكر الأول والمظهر الأول والفيلسوف الأول للرئيس جمال عبدالناصر وذلك بجانب الكثير من المحققين والمفكرين الملتقيين حول الرئيس مثل القاضى الشيوخي أحمد فؤاد والدكتور راشد البراوي وفتحى رضوان وسليمان حافظ والدكتور السنهوري وغيرهم.. ولهذا يقال إن الأستاذ هو الذى خط بقلمه كتاب فلسفة الثورة ووضع المقدمة الرائعة والطويلة لدستور ١٩٥٦.. ووضع أيضاً الميثاق الوطنى ٣٠ مارس..

ولذلك ينبغي على الأستاذ أن يصالح الشعب المصري والأمة العربية بمواقفه من منهج الحكم الذى مارسه الرئيس عبدالناصر حيث حكم مصر بفكرة السيادة دون فكرة الحرية رغم شعبيته وذلك من خلال القبض بيد من حديد على سلطات الدولة الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية مما أدى إلى بروز ظاهرة الوحدانية السلطوية والاسيادية وإلى بروز ظاهرة توريث المسكر للمسكر فى حكم مصر وفقاً للقانون الموقى الذى يقضى إلى قيام الحكم على الحكم على أكتاف حملة السلاح الذين لا سياسة لساوهم.. ولعل أستاذنا يعلم أن هاتين الظاهرتين السلطويتين هما مصيبة المصائب التي حاقت بمصر المعاصرة مما يدعو إلى مطالبة الأستاذ أن يبدل بدلوه فيها حتى تحاول الأجيال

## تصويبات

الموضوعية.. فلا أحب أن ينسب إلى قول يتضمن تحيزاً مثله: «والخط الطليعى الثانى جاء فى ذكر تاريخ الكتاب الذى قدمت عرضاً له وهو كتاب «روية ٢٠١٧/٢٠١٨: دروس القرن العشرين» للفرق الواحد والعشرين».. والتاريخ الصحيح للنشر هو سنة ٢٠٠٣، وليس ٢٠٠٠.

جلال أمين

فى العدد الأخير (عدد أكتوبر ٢٠٠٠) وقع خطأ مطبعيان مهمان (فى رايسى) فى طباعة مقالى: مستقبل الرأسمالية أحدهما وصف الرأسمالية (فى صلب الموضوع وفى أحد المتطافات البارزة) بالنظام الرأسمالى النيجي وصحته النظام الرأسمالى القحج.. وحيث أنى ذكرت ذلك فى مناسبة فترجى مؤلف الكتاب الذى أقدم عرضاً له.. بالتحيز المفرط وعدم

## الحالة « الفكرية » بين العراق والكويت

== كنا حشدًا من رؤساء التحرير وكبار الكتاب والإعلاميين وأصحاب الأعمدة عرباً وأجانب، وعدد من طلاب الإعلام، أو بالأحرى طاباياته المجندات، أخذاً بالكثيرة. من جامعات إماراتية. وكانت المناسبة: منتدى الإعلام العربي، الذي يبرع ناذي دبي للصحافة، وكان الموضوع، تحت العنوان الأكبر «الإعلام والحرب» حول «تغطية الإعلام العربي للحرب على العراق». وكان المشهد داعياً للتأمل والتوقف... والتأمل.

القاعة امتلأت، هذه المرة - من آخرها. رؤساء تحرير الصحف الكويتية متكاثرون أخذوا صفاً أول، مستعدين. استيفاءً. للمشاركة. ومن كان من ضيوف المنتدى «العرب»، قد فاتته، لتسبب أو لأخر جلسات أخرى، حرص على أن يكون حاضراً وشاهدًا، أو بالأحرى «متفرجاً»، في تلك الجلسة.

وبومها بالذات كانت الصحف التي احتسبناها (جميعاً) مع قهوة الصباح، قبل أن نضمنا جلسة النقاش، أو الذي يُفترض أنه نقاش تقول: «بعد يومين من الاعتداء الإسرائيلي على سوريا... شارون يهدد باستعداد إسرائيل للضرب في أي مكان آخر بالمنطقة. والجيش الإسرائيلي ينشر وحدات للمدفعية على الحدود مع سوريا ولبنان» (الأهرام ١٠/٨/٢٠٠٣)، «وزير إسرائيلي يهدد بإحراق دمشق وبيروت... وواشنطن تتجه لعقوبات على سورية» (الشرق الأوسط).

وبومها بالذات أيضاً، كانت الأنباء قد جاءت بأن وزير الخارجية العراقي، عضو مجلس «الحكم»، صرح بأننا نرفض وجود قوات عسكرية لدول الجوار في العراق، ورغمًا عن ذلك، أو عن أنفه. لك أن تختار، كان الأمريكيون «البحروريون للعراق، قد أقروا، واتفقوا مع الجار العتيق، والتخير للجدل، تركيا. على أن ترسل أفرة عشرة آلاف جندي للعراق. كفاتحة... ربما. لتتابع لزلزال، خليجي، هز مستطقتنا التي اعتقدناها لمقود هادئة كاصحراء في هذا المساء الداسي من ليلة العشرين من مارس ٢٠٠٣. ويحكم الطبيعة. وهي قاهرة. لا بد لكل زلزال من توابيع. ورغم الغافلين والأبهر... والواهمين بالتمنى.



هكذا كانت الأنباء، وهذا ما كان في الصحف صباح اليوم الذي تم تخصيص إحدى جلساته لمناقشة: «التغطية الإعلامية للحرب على العراق».

كان هذا مناخاً وطقساً، ومحيماً وأرضاً. أو هذا ما كان ينبغي أن يكون - لما جرى هذا الصباح في قاعة فندق السلام، في مدينة الجيمرية، إلا أنه بدا بعيداً كل البعد... تالافس، عن كل هذا الجدل القديم... والتعقيم الذي استغرق المتحدثين «المترصين»، عن كل هذا الصباح والصخب... والذاتية. وكان الاستقطاب الحاد والتعصب، واستحضار «أحس والغبراء» بسبب أو بدونه، أصبح تقليداً عربياً وسمعة فكرية أصيلة... لا استثنى أحداً... وكأنه، بعد كل ما حدث. وتغير. ومثلنا وافقين عند الزاوية الأولى: «الحالة بين العراق والكويت»، هذا التصيير المعقري في دبلوماسيته، والذي احتل. كيند تقنيته لا يد منه. جدول أعمال الاجتماعات العربية لعقد كامل من الزمان.

وفي حين بدأ الجميع «مبتازين...» وصاخبين، تبتقى حقيقة أن الجميع - على الأضين «خاسرون» سواء من اعترفوا بذلك، أو من امتدقوا بغير ذلك، يستوى في ذلك من قال: «ثم، فقد»، ومن شارك، ثم عاد بلا غنيمته، وإن أقهموه غير ذلك.

ويستوى في ذلك، وتلك هي المارقة - من أيّد، ومن ندد... ومن حرص على «ذهب الصمت».

بدا المشهد - على أية حال - عبثياً. ودأ على الحالة الثقافية العربية. كما

قالت طالبة صغيرة حرصت على أن «تقف، لتتبع» «الكبار» إلى أنهم خرجوا عن الموضوع. ولعلها. بعد أن تتطلع على تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٣ الصادر عن UNDP. تنبههم إلى أنهم للأسف ربما كانوا قد خرجوا - منذ زمن - من «المحلة».

هل يتحاور المثقفون العرب أم يتشاجرون؟ سألتني إحدى الطالبات خارج القاعة. وكنت قد رأيت السؤال ذاته على وجوه الفريبيين الذين حضروا «المناقشة»، ولم يكن السؤال - رغم قسوته - بالتأكيد وليد ساعته. فشيء مما حدث في دبي، حدث قبل أشهر في القاهرة حين دعى إلى مؤتمر للثقافة العربية... وقبل أسابيع حين دعى إلى مهرجان للرواية في المغرب. وبعدها حين عُقد مؤتمر في باريس، تحت لافتة «تجديد الفكر الديني». ويحدث كل يوم على شاشات الفضائيات العربية. بل وشاهدنا جميعاً في قمة شرم الشيخ قبل العدوان الأمريكي على العراق. ولعلنا حدث الآن في التعليق (وبعضه غير بزيء) على «وفاة» صنع الله إبراهيم على منصة دار الأوبرا المصرية!!

في كثير من هذا. أو في كثير مما دار حوله، لم يكن ما جرى بحال من الأحوال «حواراً».

ففي الحوار. ولعل لنا هنا أن نُعيد كلاماً قديماً: يُعبد الناس - ابتداءً - حول ماذا بالضبط يتحاورون. وما هي نقاط الاتفاق. وما هي تلك التي مازالت موضعاً للخلاف. ومن ثم «موضوعاً» للحوار. ثم ما هي المرجعيات «المشتركة» التي يليق أن يكون متفقاً عليها ابتداءً. وما هي التعريفات «المحددة» لما سيستخدمونه مصطلحات. وساعاتها فقط. يمكن أن نتوقع تبادلاً «حقيقياً» لوجهات النظر. بين أطراف يُفترض أنها تعلم أن «الحوار» يعني بالضروة أن هناك «رأياً» آخر، ليس لنا - بالتأني - أن نثير من الإنصات إليه، بمقل يدين، وقلب يسمح واستعداد لكي نقبل منه كما نرفض.

كل هذا. للأسف. ذراه بعيداً كل البعد عن كثير مما يجري، سواء على صفحات الصحف، أو شاشات التلفزيون، أو في الشارع وعلى منابر المساجد، أو حتى تحت قبة البرلمان، فأسباب تعددت متابعها، وتباعدت أهدافها، وفي مناخ لم يعد حيادية، العلم، وغاب عنه تراثه «الشرعي» من المطلق، يترك الحوار بالتحريف، مكانه لما يبدو صخباً عالي الصوت. وتحقق الكلمات. التي يُفترض أن تكون أداة لتبادل الرأي. حين تبتعد عن معانيها الاصطلاحية. ويصبح الاستقطاب حاداً. وشهد. في أكثر من مناسبة. من يفت في مريع لا يعكس في واقع الأمر «رأيه» اللائح في الموضوع، بل «سوقه» المسبق من الآخر. وكان «الحالة بين العراق والكويت» أصبحت حالة ثقافية عامة.



وهذه هي الحال، يصبح يسيراً على من يفت على مسافة مناسبة من المشهد، أن يلاحظ أن جانباً كبيراً مما يقرأ أو يسمع، لم يكن أبداً «في الموضوع» بل يدور فعلياً على هامشه. فعلا ورد فعل، صدى ورجع صدى. ويصبح طبيعياً أن تتوارى كعادتها تقاليد الحوار في خضم الصباح والضجيج. وأن يجرعنا «الجدل المستنزف» للطاقات، ونستغرقنا الأجواء المحيطة به. ثم تختفي القضية الأصلية. إذا كان ثمة من «هضبة».

وللأسف، وعلى غير عادة «الحوار»، ينتهي «الشجار» عادة تاركاً كل الأسئلة - وراه - مفتوحة. ودون إجابة «مطلوبة» يقدمها مجتمع رقيق، في احتياج وأمل. سأسته ومفكره.

أيمن الصياد

## تاريخ عشتة



كُتِبَ هَازِي رُدهام كلتون، بصراحة، عن نشأتها في أمريكا في خمسينيات القرن العشرين، أمريكا الطبقة الوسطى. وكتبت عن تاريخها ناشطة في الحركة الطلابية في أواخر الستينيات؛ فقد كان زمن زاخر بالتعبير الاجتماعي والسياسي الصاحب في أمريكا. وثقت طريقها غير مساري بكر -

وعاشت أعاصير أمريكا الكبرى من حرب فيتنام ووترغيت حتى دخلت البيت الأبيض سيّدة أولى مثيرة للجدل، ولأنها سيدة أولى غير عادية، فقد اضططعت بدور رئيسي في صياغة التشريعات الداخلية الأمريكية. وجاءت أرجاء الأرض مدافعة عن حقوق النساء وحقوق الإنسان. «تاريخ عشتة» كتاب ذكرياتها الكاشفة عن تفاصيل سنوات حياتها التي أمضتها في البيت الأبيض، وتاريخها الغنيش التاريخ مع بل كلتون، ولغفارة حب وسياسة استمرت بعد أن نجت من أعاصير التحية الشخصية، وصعفات التحقيقات الحزبية الطالعة، وعمليات التضييق المتطفلة التي تُعزّض لها مع زوجها طيلة فترتي رئاسته. لقد أنقذت الرئاسة من إدانة غير دستورية ذات دوافع سياسية ضمتها خصوم زوجها وخصومها من أساطين الحزب الجمهوري.

ترجم الكتاب (ويترجم) إلى 26 لغة من لغات العالم.

• ضمن النسخة المجلدة 225 • ضمن النسخة بالغلاف 145

بالضغوط النفسية على نحو مريح وفعل.

• ضمن النسخة بالغلاف 8,55

## الدولة المارقة - الدفع

الأحادي في السياسة

الخارجية الأمريكية

تأليف كلايد پرستون

ترتيب فاضل جتكر



إن أحاديّة القرار الأمريكيّة في طبيعتها كما هي فطيرة التفاح الأمريكيّة. يروي المؤلف أن هذه الأحاديّة ليست إجراءً أمريكيّاً عداًياً جليداً تجاه باقي أمم الأرض، فالديمقراطية أمل العالم - غير أن حلفاء أمريكا برؤيتها تهيّج هذه المشق يوماً بعد يوم. إن أمريكا اليوم تنظر إلى الأمور بضيق يتحكّم في رؤيتها لشروط أسوأ العسكري والاقتصادي. فقد باتت تتجاهل الإجماع الدولي ومنظمة الأمم المتحدة معتبرة أنها غير صالحة ومثقة لمصالحها، وصارت تعيضي في تصرفها الشنقر وتُعطي قليلاً من الاعتبار أو الإدراك لحاجات أمم أخرى وغاياتها.

إن كتاب «الدولة المارقة» ليس مناقشة عند السيطرة الأمريكية أو ضدّ ممارسة القوة الأمريكية. إنه مناقشة للظفرسة والجهل في ممارسة القوة الأمريكية. يبين المؤلف في كتابه الجذور التاريخية للدفع الأحادي وسطورة هذا الدفع على كل موقع ذي أهمية من مواقع السياسة الخارجية الأمريكية: السياسة الخارجية والاقتصادية، ومراقبة التسليح، والطاقة، والبيئة والزراعة.

• ضمن النسخة المجلدة 12,55 • ضمن النسخة بالغلاف 8,55

## رحمتك يا الله! صفحات مجهولة من التاريخ الأمريكي

تأليف يواخيم فرناو



يعرض مؤلف الكتاب، بأسلوبه الخاص، وقته في عرض أحداث ما جرى في أمريكا؛ تلك البلاد ذات الإمكانات التي لا تعرف حدوداً، بطريقته الساخرة. يكشف فرناو للفراى عن خفايا ما جرى في أمريكا قبل الاستقلال وبعدّه، ثم يبحث في تشكيل هذا الشعب من الولايات بعد الاستقلال، وكيف صنع الدستور، ومشكلات الأفارقة الذين سبقوا عبداً إلى أمريكا. ويدخل المؤلف في تفاصيل محاور القوى الاقتصادية والناقلة التي تُحرّك السياسات الأمريكية، والتي أثّرت في مجرى التاريخ الأمريكي إلى يومنا هذا.

ترجم الكتاب إلى أربع لغات.

• ضمن النسخة المجلدة 125 • ضمن النسخة بالغلاف 8,55

## سكينة الروح - صفاء الفيش في حلو الأيام وممرها

تأليف د. ت. بيرم كرسو.



كيف الوصول إلى غيش ملوّة السعادة الحقيقية تحقّق فيه ما نصبو إليه، غيش نسود فيه سكينة تَبْثُ فيها اليهجة؟ كيف نتمكّن من إدخال بُعد روحي إلى حياتنا في كل يوم؟ في هذا الكتاب الرائع، يُحاول المؤلف الإجابة عن تلك الأسئلة ويقوم بدور مُرشد لنا في رحلة غير مالوفة نستكشف فيها الخير الذي يتخلل في أعماق النفس الإنسانية. «سكينة الروح» هو كتاب عميق آسر يُسِمُّ بأفكار تتم مع بصيرة نقادة، توجه إلى كل من يسعى إلى تحقيق وجود ذي بُعد أكثر غنى.

• ضمن النسخة المجلدة 12,55 • ضمن النسخة بالغلاف 8,55



## تتمّع بالاسترخاء وخذ الأمور بالروية

تأليف كامرون جونستون

لقد اتّاد الوُف من رجال أعمال رُزاد وآخرون يعملون في مجالات الصحة العامة، من النظرة التي يعالج فيها المؤلف طرائق التحكّم

شركة الحوار الثقافي ع.م.  
بيروت، ص.ب. 6750 13 لبنان

هاتف: +961-1-802444 • فاكس: +961-1-790718

E-mail: info@interculturalbooks.com • http://www.interculturalbooks.com

تطلب كتب شركة الحوار الثقافي من  
دار الأوراق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان  
E-mail: warak@interculturalbooks.com

# إنتشار شبكة صرافاتنا غطى فوق الأرض...



## وتحت الأرض.



لأول مرة

خدمة صراف الي بمترو الأنفاق  
محطة السادات

لأول مرة

خدمة صراف الي بمحطات سكن  
حديد رمسيس والجيزة والإسكندرية

# FAST CASH

صرافاتنا تقبل البطاقات التي تحمل العلامات الآتية:



مع إمكانية التعامل على شبكة

إتصل الآن على ١٩١٠٠ أو ٣٣١٩٩٢٢

يوميًا من ٩ صباحاً حتى ٩ مساءً

www.arabbank.com

## البنك العربي

أكبر شبكة مصرفية عربية

